المختصر في أخبار البشر
لأبي الفدا

ذخائر العرب
(٦٩)

المختصر في أخبار البشر

للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل
ابن على المعروف بأبى الفدا
٦٧٢ - ٧٣٢ هـ/ ١٢٧٣ - ١٣٣١ م

تحقيق

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

الأستاذ يحيى سيد حسين / الدكتور محمد فخرى الوصيف

تقديم الدكتور حسين مؤنس

الجزء الأول

الطبعة الأولى



دار المعارف

الجزء الأول
من كتاب المختصر فى أخبار البشر

وهو ذلك التاريخ الذى سرت بذكره الركبان وأثنى عليه أرباب هذا الفن فى كل زمان حتى كان عمدتهم الذى يرجعون إليه فى إحقاق الحق إليه ، ويعولون فى مهمات منقولاتهم عليه .

تأليف الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبى الفدا صاحب حماة ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ رحمه الله تعالى .

تولى تحقيق هذا الكتاب نخبة من العاملين بدار المعارف وهم الأساتذة :

الدكتور / محمد زينهم محمد عزب

الأستاذ / يحيى سيد حسين

الدكتور / محمد فخرى الوصيف

بإشراف :

د . حسين مؤنس

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة تحقيق كتاب
المختصر فى أخبار البشر
لإسماعيل بن على بن محمود بن عمر بن شاهنشاه أبى الفدا
بقلم / الدكتور حسين مؤنس

تكاد المكتبة التاريخية أن تكون ربع المكتبة العربية ، لأن الناس يحبون قراءة التاريخ ، والمؤلفون يستسهلون التأليف فيه ، والواحد منهم إذا عجز عن العثور على موضوع يكتب فيه كتابا اتجه إلى التاريخ يؤلف فيه ، ونحن فى الغالب نجد أن ما يؤلفونه فيه لا قيمة علمية له ، وفى كثير من الأحيان نجد المؤلف قد نسخ كتابا آخر وكتب عليه اسمه ، وهذه كلها أشياء تقلل قيمة المكتبة التاريخية العربية فى مجموعها ، ولكن المكتبة التاريخية العربية رغم ذلك تضم روائع من المؤلفات التاريخية ، وإذا استثنينا مقدمة تاريخ ابن خلدون ، وهى درة من درر التفكير فى علم التاريخ ، وجدنا أن لدينا ثلاثة كتب تعتبر فعلا من عيون كتب التاريخ العالمية ، وهى تاريخ الطبرى المسمى تاريخ الرسل والملوك ، وتاريخ ابن الأثير المسمى بالكامل فى التاريخ ، وتاريخ أبى الفدا المسمى بالمختصر فى أخبار البشر ، وقد رتبتها هنا على أساس طولها وأهميتها ، فإن تاريخ ابن خلدون نحو ثلاثين جزءًا ، وتاريخ ابن الأثير نحو عشرة أجزاء ، فى حين أن تاريخ أبى الفدا أربعة أجزاء فى مخطوطاته التى ضاع معظمها ، وليس لدينا منها كاملا إلا ثلاثة مخطوطات فى مكتبات القاهرة وباريس ولندن .

وأبو الفداء وهو إسماعيل بن على بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن عماد الدين الأيوبى ، أمير أيوبى ولد فى جمادى الأولى سنة ٦٢٧ هـ / نوفمبر ١٢٧٣ م فى دمشق ، وكان والده الملك المنصور أميرًا على دمشق ، وكانت حماة إذذاك توصف بأنها مملكة ، وكان والد أبى الفدا وهو على بن محمود بن عمر الملقب بالمنصور أميراً عليها ، وقد فر منها أمام المغول .

وقد اشتهر أبو الفدا بالجدية التامة فى عمله فى الحكم والعلم ، وذلك واضح ، فبدأ فى حياته بدراسة متقنة للتاريخ ، لأن هوايته له كانت عظيمة ، ثم اشترك فى الحروب الصليبية ، ولكن عندما توفى ابن أخيه محمود الثانى أمير حماة فى ٢١ من ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ / ٢٠ أغسطس سنة ١٢٩٥ م دون أن يخلف أولادًا انتقل العرش الأيوبى فى الشام إلى أولاد أخيه الأمير سنقر ، وهنا نجد أبا الفدا ينتقل إلى خدمة الملك الناصر أمير الشام مخلصا له ، فعينه أميراً على حماة فى ١٨ جمادى الأولى سنة ٧١٠ هـ / ١٨ أكتوبر ١٣١٠ م ، وكان أبو الفدا

رجلا عاملا جادًا ، وبعد سنتين من ولايته زار القاهرة فوهبه السلطان الأيوبى لقب الملك الصالح .

وقد اشتهر أبو الفدا بالاجتهاد والجدية فى عمله كله ، وذلك واضح من تقدير الحكومة له ومنحها إياه لقب الملك الصالح ، أما فى العلم فإن كتابه « المختصر » من أوفى كتب التاريخ وأدقها ، ويبدو أنه كان يستعين فى دراسته للتاريخ بمذكرات وملاحظات مدونة فى بطاقات ، لأننا نجد أن المعلومات التى يوردها متقنة ومضبوطة دائما ، وكان مجتهداً محسناً كذلك فى أمور ، ولكن أبا الفدا توفى فى ٢٣ محرم ٧٣٢ هـ / ٢٧ أكتوبر ١٣٣١ م فى حماه ، فكأن هذا الرجل العظيم لم يعش إلا ثمانية وخمسين عاما عمل فيها الشىء الكثير .

* * *

ويستوقف نظرنا أن أبا الفدا مع مشاغله السياسية كان عالما ، كأنه أستاذ تاريخ مجيد فى جامعة ، وقد قال أبو الفدا فى مقدمة كتابه « المختصر » هذا : إنه يريد أن يكتب كتابا فى التاريخ ، وذكر مراجعه ، وهى تاريخ الرسل والملوك للطبرى ، وكتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، وتاريخ ابن عيسى ، وهو كتاب مجهول منا ولا نكاد نعرف عنه شيئا ، ولكن يبدو أنه مختصر فى تاريخ البشر ، وقد اعتمد أبو الفدا كذلك على كتب المؤلف المشهور على بن سعيد الأندلسى ، ومروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودى ، وتاريخ سنى ملوك الأرض لحمزة الأصفهانى ، وسيرة ابن هشام وكتاب الفتوح للواقدى ، ويبدو كذلك أنه درس التوراة والإنجيل دراسة متقنة ، إلى جانب دراسته المتقنة للقرآن الكريم ، وقد بذل أبو الفدا جهداً كبيراً فى اختصار كتابه ، وإذا كان هذا الاختصار الشديد لم يضر بتاريخه للإسلام إلا أنه أضر كثيراً بتاريخه لما قبل الإسلام ، لأن أبا الفدا اختصر تاريخ ما قبل الإسلام فجعله جداول لملوك بابل من النبط والسريان وتاريخ الموصل ونينوى ومن جاء بعدهم كالأقباط مثلا وهم عنده المصريون القدماء ، وربما تحسن هذا الوضع بعض الشىء عندما يقص أبو الفدا تاريخ بنى إسرائيل فهو يقول فى بداية تاريخهم : « فلما كان لهم من النبوة والملك وتغلبهم على الأرض اهتممنا بإحصاء ملوكهم » وهذا الإحصاء دقيق ولكنه ليس إلا جداول بملوكهم وعدد سنوات كل منهم ، ونحن فى الحقيقة ماذا نعمل بهذه الجداول ، ثم إننا نعرف أن اليهود لا يؤيدون كلام المسلمين بشأن تاريخهم ولهم أسلوب آخر فى كتابة تاريخهم ، ومن هنا فنحن أوردنا هذا الجدول من تاريخ ملوك بنى إسرائيل فى هذا التحقيق كما أورده ، فربما انتفع به بعض الناس . ولا شك أن أبا الفدا اعتمد على مؤرخين يهود وقد يكون من المفيد أن يتجه مؤرخو المسلمين ببحوث فيما كتبه المسلمون عن بنى إسرائيل وتاريخهم ، وربما كان من المفيد هنا أن نقول إن تواريخ المسلمين لبنى إسرائيل أصح من تواريخ اليهود لأنفسهم ، لأن اليهود فى كل كتاباتهم سياسيون شخصيون ولا يعنيهم ما يقوله الآخرون عنهم .

والذى يهمنا فى هذا التاريخ هو تاريخ الإسلام ، وتاريخ الإسلام كما كتبه أبو الفدا تاريخ جيد له قيمته مع اختصاره ، وقد كان الناس مهتمين به من زمن بعيد . وقد طبع هذا التاريخ طبعة كاملة فى الآستانة سنة ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م ، ولكن هذه الطبعة غير محققة ، وقد عنى نفر من المستشرقين بنشر أجزاء من تاريخ أبى الفدا ، وقد تبين أهل الغرب أهميته ، ومن هؤلاء الذين عنوا بأبى الفدا فلوتشر Fleischer (Leigsig Muhammcdanis . 1831): De Historia ct pebus gestis . وقد ترجم هذا التاريخ إلى اللاتينية ، وقد قام J. Yanier بنشر هذه الترجمة اللاتينية مع مقدمة لاتينية فى أوكسفورد ١٧٢٢ م .

ولكن سيرة الرسول ﷺ التى وردت فى تاريخ أبى الفدا استلفتت اهتمام العلماء فى الغرب ، وكان لها أهمية كبرى عندهم عندما رأوا دقة هذا الرجل وحسابه للسنوات والأحداث ، وهذه الدقة أقنعتهم بأنه يكتب عن شىء حقيقى . وقد كان الكثيرون من أهل الغرب - اتباعا لدعاية الكنيسة الكاثوليكية - يشكون فى سيرة الرسول ويقولون : إنها أسطورة يدعيها المسلمون ، ولكن دقة أبى الفدا وربطه بين حوادث السيرة وحوادث التاريخ العالمى جعلتهم يرون أنه لابد أن يكون إنساناً حقيقيا عاش ودعا إلى الإسلام وقال للناس إن الله سبحانه اصطفاه ليحمل سيرته إلى البشر ، وأعاد المستشرقون النظر فى القرآن الكريم ورأوا أنه لا يمكن أن يكون كتابا عاديا وإن لم يسلموا بأنه من عند الله ، وقال بعضهم إنهم لابد أن يدرسوه وحاولوا أن يجدوا تفسيرا لما يقول ، ومن هنا فإن كتاب « المختصر » لأبى الفدا كتاب فريد فى بابه ، ولا يمكن أن تنظر إليه على أنه كتاب عادى يشبه الكثير مما كتب المسلمون فى السيرة . وقد رأينا أن الكثير من المستشرقين غيروا آراءهم فى الإسلام بعد قراءته ، وكان هذا هو السبب فى اهتمامى الدائم به وبنشره نشرة محققة ، ولهذا فقد بذلت جهداً عظيماً فى إعداده للنشر ، وعمل معى فيه زملاء من قسم نشر التراث فى دار المعارف هم محمد فخرى الوصيف ويحيى سيد حسين ومحمد زينهم محمد عزب ، وأعتقد أننا نقدم الآن عملا علميا عظيما فى خدمة تاريخ الإسلام ، لأن الطبعة المصرية التجارية الجارية بين أيدى الناس فى مصر والعالم العربى طبعة ضعيفة جدا وغير محققة ، فى حين أن طبعتنا هذه محققة تحقيقاً تاما ، وهى فى غاية الدقة ، وقد راجعنا لإعدادها المخطوطات الموجودة فى دار الكتب المصرية ، ومخطوطات هذا الكتاب فى مكتبات باريس ولندن ، لأننا رأينا أنه من العار ألا تكون عندنا لتاريخ أبى الفدا طبعة محققة دقيقة جديرة بمكانة مؤلفه .

وقد راجعت المعلومات التى أوردها أبو الفدا عن اليهود والنصارى وقارنتها بالأصول اليهودية والنصرانية ، فتبينت أن الرجل قد رجع إليها ، ومن الطبيعى أن يكون هناك خلاف بين ما تقوله الأصول اليهودية والنصرانية مع ما يقوله أبو الفدا ، ولكننا نستطيع القول أنها

تدل على أن الرجل مؤرخ محقق فعلا ، فالمعلومات التى يوردها وافرة ، وليس هناك ما يمنع أن تكون هذه هى المعلومات الحقيقية ، وهذا هو السبب فى كراهة قساوسة النصارى لهذه المعلومات ، لأنها تتعارض تماما مع المعلومات الأسطورية التى وضعها مؤسسو المسيحية وخاصة بولس الذى وضع أسس النصرانية كما يؤمن بها الناس فى الغرب . وأرى أن هذا التحقيق لأبى الفدا فرصة طيبة لكى نراجع نحن المسلمين مقالات مؤرخينا ، وكلها تسير وفق ما ورد فى القرآن الكريم . ولابد أن نصارح أنفسنا - بأننا نحن المسلمين مهملون فى دراسة تراثنا الدينى ، وهذا أمر لا يليق .

* * *

أما بقية الكتاب فليس فيه جديد إلا الدقة التى أشرنا إليها ، وتلك مناسبة طيبة لكى ندرس السيرة النبوية كما رواها أبو الفدا فى كتابه ، لأنها فى الحقيقة فى غاية الدقة والإتقان ، ولا شك فى ان عقلية أبى الفدا العلمية كانت دقيقة جدا ، وقد أحسست وأنا أعد هذه الطبعة أننى فعلا أعمل مع مؤرخ علامة ، وهو من غير شك من مفاخر هذه الأمة . وإذا كنا قد أهملنا أبا الفدا فى الماضى فلا يجوز أن يستمر هذا الإهمال ، وقد رأينا اهتمام أهل الغرب بسيرة أبى الفدا ، فلا أقل أن نهتم بنصه مثلهم .

وقد راجعنا هذا الأصل على كل المراجع الميسورة لنا ، ووجدنا أن الجزء الأخير من أبى الفدا ربما كان أضعف أجزائه ، ونحن نعرف أن أبا الفدا عاش فى الربع الأخير من ا لقرن الثالث عشر الميلادى ، ولد فى ١٣ محرم ٧٣٢ هـ (أول نوفمبر ١٢٧٣ م) ومات فى الثلث الأول من القرن الرابع عشر الميلادى (ت ٢٧ أكتوبر ١٣٣١ م) وهذا القرن هو قرن انتقال السلطان فى مصر من الأيوبيين إلى المماليك ، وكانت أحداث مصر إذ ذاك غامضة ، ونحن فى حاجة إلى معلومات جديدة توضح لنا كيف تم هذا التغير فى تاريخ مصر ، لأن مراجعنا العادية لا تبين هذا الانتقال بوضوح ، بل إن الإنسان يشعر أن فكرة الاستيلاء على الحكم لم تكن تخطر على بال المماليك ، ولكن شجرة الدر - آخر المماليك - أرادت أن تقضى على المماليك لأنها كانت تخافهم ، ثم إن ركن الدين بيبرس غدر بقطز وشجرة الدر ، وكل أهل السلطان لكى يصل إلى سلطنة مصر ، ووصل فعلاً كما نعرف .

وقد كنت أتمنى أن أجد عند أبى الفدا تفاصيل توضح هذه الحقيقة الغامضة من تاريخ مصر ، ولكنى لم أجد ، وربما كان السبب فى ذلك أن أبا الفدا كان حريصاً على الأجيال ، فانصرف عن تفاصيل أحداث عاصر الكثير منها ، وربما كان الرجل مريضًا فى أواخر سنوات عمره ، فلم يتسع وقته لتفصيل ذلك الانتقال الخطير فى تاريخ مصر ، وعلى أى حال فإن الرجل وصل فى تاريخه إلى سنة ١٣٢٠ م . وأعطانا عن عصره بعض التفاصيل النافعة التى لا نجدها عند

غيره . وقد استمتعت بهذه المعلومات وحمدت الله على أن يسر لى القيام بعمل علمى طالما كنت أتمنى عمله وهو تحقيق « المختصر » لأبى الفدا ونشره .

وقبل أن أختم هذا التقديم أحب أن أقول : إن كتاب « المختصر فى أخبار البشر » لأبى الفدا يعتبر أساسًا من أسس الوصل التاريخية العربية رغم اختصاره . وقد اختصرت فى التعليقات لأننى لم أشأ أن تزيد الطبعة على الحجم الذى خرجت فيه ، ولابد أن أشكر هنا الأستاذ الكبير صلاح منتصر والزميل جمال بدران رئيس قسم النشر فى دار المعارف لعنايتهما بهذا الكتاب . وأرجو القارئ أن يتفضل بتصحيح ما عسى أن يكون قد وقعنا فيه من الأخطاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د . حسين مؤنس

[ق ١ /أ] مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى حكم على الأعمار بالآجال ، وتفرد بالعظمة والبقاء والجلال [و][١] علا عن أن يكون له نظير أو مثال ، وجلّ أن يحيط به وهم أو يمثله خيال ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث لتبيين الحرام من الحلال ، والمخصوص من بين [كافة] الخلق بالفضل والكمال ، والمحبوّ بأوضح برهان وأفصح مقال ، وعلى آله خير آل ، وعلى صحابته المختصين بالتأييد والإفضال ، صلاة تدوم على مر الأيام والليالى ، وبعد :

فيقول العبد الفقير [إلى الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين أبى الحسن] بن على بن [السلطان الملك المظفر تقى الدين أبى الفتح] محمود بن [السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبى المعالى] محمد بن [السلطان الملك المظفر تقى الدين أبى الخطاب] عمر بن شاهانشاه أيوب - [لا زالت علومه مشهورة فى المغارب والمشارق] ورأفته شاملة لكافة الخلائق ، أعز الله أنصاره ، وضاعف جلاله - أنه سنح لى أن أورد [فى] كتابى هذا شيئاً من التواريخ فى الأمم الماضية والطبقات الإسلامية ؛ يكون تذكرة يغنينى عن مراجعة الكتب المطوّلة ، فاخترته واختصرته من :

(**الكامل**) [تأليف] الشيخ عز الدين على المعروف بابن الأثير الجزرى[٢] ، وهو تاريخ ذكر فيه [من] ابتداء الزمان إلى سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وهو نحو ثلاثة عشر مجلدًا[٣] ومن (**تجارب الأمم**) لأبى على أحمد بن مسكويه[٤] .

ومن تاريخ أبى عيسى أحمد بن على المنجم [المسمى **بكتاب البيان**][٥] عن تاريخ سنى زمان العالم على سبيل الحجة والبرهان ، ذكر فيه التواريخ القديمة ، وهو مجلد لطيف .

ومن (**التاريخ المظفرى**) للقاضى شهاب الدين بن أبى الدم الحموى[٦] . وهو تاريخ يختص بالملة الإسلامية فى نحو ست مجلدات .

---

(١) ما بين معقوفتين فى كل موضع زيادة من ط إلا إذا ذكر غير ذلك فيشار إليه .

(٢) (الكامل فى التاريخ لأبى الحسن على بن محمد بن محمد عزالدين المعروف بابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ) .

(٣) الكتاب فى اثنى عشر مجلدًا وليس فى ثلاثة عشر ، ويقف فى حوادثه حتى نهاية سنة ٦٢٨ هـ .

(٤) تجارب الأمم وتعاقب الهمم : لأبى على أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ) ، وقد اختلف المؤرخون فى لقب مسكويه هل كان له أم لأبيه ، وتتوقف أحداث الكتاب حتى سنة ٣٧٢ هـ ، وذكره أبو الفدا فيما يلى بعنوان (تجارب الأمم وعواقب الهمم) .

(٥) لم يعثر عليه حتى الآن .

(٦) لم يعثر عليه حتى الآن .

ومن تاريخ القاضي شمس الدين بن خلكان المسمى بـ (**وفيات الأعيان**)[١] رتبه على الحروف ، وهو نحو أربعة مجلدات .

ومن (**تاريخ اليمن**) [للفقيه] عمارة اليمنى[٢] وهو مجلد لطيف .

ومن (**تاريخ القيروان المسمى بالجمع والبيان**) للصنهاجى[٣] .

ومن (تاريخ الدول المنقطعة) لابن [أبي] منصور[٤] . وهو نحو أربعة مجلدات .

ومن تاريخ على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المغربى الأندلسى [المسمى] (كتاب [لذة] **الأحلام فى تاريخ أمم الأعجام**)[٥] ، وهو نحو مجلدين .

ومن كتاب ابن سعيد المذكور المسمى بـ (**المغرب فى أخبار أهل المغرب**[٦] ، وهو نحو ثلاثة[٧] عشر مجلداً .

ومن (**مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب**) للقاضى جمال الدين بن واصل[٨] ، وهو نحو ثلاثة مجلدات ؛ ومن تاريخ [حمزة] **الأصفهانى**[٩] . وهو مجلد لطيف .

ومن (**تاريخ خلاط**) تأليف شرف بن أبي المطهر الأنصارى[١٠] .

ومن سفر قضاة بنى إسرائيل [وسفر ملوكهم] من أصل الكتب الأربعة والعشرين الثابتة عند اليهود بالتواتر[١١] .

وألفت التواريخ القديمة [من] هذا الكتاب على مقدمة وفصول خمسة . وأما التواريخ الإسلامية / [ق ١ / ب] [فرتبتها] على السنين حسب تأليف (الكامل) لابن الأثير . ولما تكامل هذا الكتاب سميته (المختصر فى أخبار البشر) .

---

(١) (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لشمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) .
(٢) سقطت فى ط ، وهو أبو محمد عمارة بن الحسن بن زيدان الحكمى القحطانى (ت ٥٦٩ هـ) .
(٣) لم نعثر على هذا الكتاب .
(٤) هناك نسخة غير كاملة بدار الكتب المصرية .
(٥) هذا الكتاب مفقود .
(٦) كذا فى ص ط والصحيح (المغرب فى حُلى المغرب) .
(٧) ط : خمسة .
(٨) هو القاضى جمال الدين محمد بن سالم الحموى الشافعى (ت ٦٩٧ هـ) .
(٩) (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء) لحمزة بن الحسن الأصفهانى .
(١٠) غير موجود .
(١١) لم نعثر على هذا الكتاب .

أما المقدمة فتتضمن ثلاثة أمور :

الأمر الأول :

أنه ينبغى لمتأمل التواريخ القديمة أن يعلم أن الاختلاف فيها بين المؤرخين كثير جداً : قال ابن الأثير فى ذكر ولادة المسيح إن ولادته عليه السلام كانت بعد خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر عند المجوس ؛ وأما عند النصارى فكانت ولادته بعد ثلثمائة وثلاث سنين من غلبة الإسكندر[١] ؛ وهذا تفاوت فاحش ؛ وكذلك [عند أبى معشر وكوشيار] وغيرهما من المنجمين أن بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرين [سنة ، وهو] الثابت فى الزيجات[٢] مثل (الزيج المأمونى)[٣] وغيره ، وأما المحققون من المؤرخين فيقولون إن بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وسبعمائة[٤] وأربع وسبعين سنة ، فيكون التفاوت بينهما مائتين وتسع وأربعين [سنة ، وسبب هذا الاختلاف أن من هبوط آدم إلى وفاة موسى لا يعلم إلا من التوراة ، والتوراة مختلفة على ثلاث نسخ على ما سنقف] على ذلك إن شاء الله تعالى . وأما ما بين وفاة وموسى عليه السلام إلى [ابتداء ملك بُخْتَنَصَّر] ، فيعلم من المنجمين ؛ قال أبو عيسى : ويعلم من قرانات[٥] زحل والمشترى فى المثلثات ، وهم أيضاً مختلفون فى ذلك ؛ ويعلم أيضاً من سفر (قضاة بنى اسرائيل) . وهو أيضاً غير محصل . وأما ما يؤخذ عن المؤرخين قبل الإسلام ، فهو أيضاً مضطرب ، لأنهم كانوا يؤرخون من ابتداء ملك كل من يتملك منهم ، فكثرت ابتداءات تواريخهم ؛ قال حمزة الأصفهانى : وفسدت تواريخهم بسبب ذلك فساداً لا مطمع فى إصلاحه[٦] . مع ما انضم إلى ذلك من بعد العهد [وتغير اللهجات] وقدم الكتب المؤلفة فى هذا الفن ، فصار تحقيق التواريخ القديمة بسبب ذلك متعذراً أو فى غاية التعسر .

الأمر الثانى :

فى معرفة نسخ التوراة ، وهى ثلاث نسخ : (السامرية) و (العبرانية) و (اليونانية) . أما (السامرية) فتنبىء أن من هبوط آدم إلى الطوفان ألفاً وثلثمائة وسبع

(١) انظر الكامل طبعة بيروت : ١ / ٣٠٧ .
(٢) سقط من الناسخ .
(٣) إضافة من تاريخ الأصفهانى .
(٤) ط : تسعمائة .
(٥) إضافة من المطبوع .
(٦) انظر تاريخ سنى ملوك الأرض : ١٢٥ .

سنين[١] . وكان الطوفان لستمائة سنة خلت من عمر نوح ، وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة باتفاق ، فيكون نوح على حكم هذه التوراة قد أدرك من عمر آدم فوق مائتى سنة . فنوح قد أدرك جميع آبائه إلى آدم . وهذا غاية المنكر ، وتنبىء هذه النسخة أن من انقضاء الطوفان إلى ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام تسعمائة وسبع وثلاثين سنة ، وأن من ولادة إبراهيم إلى وفاة موسى خمسمائة وخمس وأربعين سنة ، فمن آدم إلى وفاة موسى / [ق ٢ / أ] حينئذ ألفان وتسعمائة وخمس وأربعين سنة[٢] ؛ وأما [ما] بين وفاة موسى وبين الهجرة ففيه مذهبان ، أحدهما : اختيار المؤرخين . والآخر : اختيار المنجمين ، فإذا ضممنا إلى ذلك ما بين وفاة موسى والهجرة كان بين هبوط آدم وبين الهجرة على حكم [اختيار] المؤرخين وحكم توراة السامرية خمسة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة ؛ وأما اختيار المنجمين فيُنْقِصُ عن هذه الجملة مائة[٣] وتسعًا وأربعين سنة ؛ فقد ظهر لك [فساد] هذه [التوراة من] كونها تقتضى إدراك نوحٍ آدمَ وعيشه معه المدة الطويلة .

وأما (التوراة العبرانية) فهى أيضًا مفسودة ، وذلك أنها تنبىء أن ما بين هبوط آدم وبين الطوفان ألف وخمسمائة وست وخمسين سنة . وبين الطوفان وُبين ولادة إبراهيم مائتان واثنتان وتسعون سنة ، وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة باتفاق ؛ (فالتوراة العبرانية) [تنبئ أن] نوحاً أدرك [من عمر] إبراهيم الخليل ثمانية وخمسين سنة ؛ وهذا أيضاً غاية المنكر ، فإن نوحاً لم يدرك إبراهيم أصلاً ولا يجوز ذلك ، لأن قوم هود أمةٌ نجمت بعد قوم نوح ، وأمة صالح نجمت بعد أمة هود ، [و] إبراهيم وأمته بعد أمة صالح ؛ ومما يدل على ذلك قوله تعالى يخبر عن هود فيما يعظ به قومه وهم قوم عاد : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة ﴾[٤] ، [وكذلك] قوله[٥] تعالى عن صالح فيما يعظ به قومه وهم ثمود قال : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتَنْحِتُون الجبال بيوتًا ﴾ ، فقد ظهر فيه فساد هذه (التوراة العبرانية) بذلك وهى التوراة التى بيد اليهود إلى زماننا هذا وعليها اعتمادهم ، [ولنستوف ماتنبىء به] من جملة سنى العالم .

فقد تقدم أنها تنبىء أن ما بين هبوط آدم وبين الطوفان ألفًا وخمسمائة وست وخمسين سنة . و [أن] بين الطوفان وبين ولادة إبراهيم عليه السلام مائتين واثنتين وتسعين سنة ، وبين ولادة

---

(١) انظر التوراة السامرية ، سفر التكوين ، الإصحاح ٦٠٥ ، آية ٦ .
(٢) ط : ألفان وسبعمائة وتسع وثمانون ، وهوَ صواب لأنه يساوى مجموع السنوات سابقة الذكر فى المتن .
(٣) ط : مائتين .
(٤) الأعراف : من الآية ٦٩ .
(٥) الأعراف : من الآية ٧٤ .

إبراهيم وبين وفاة موسى عليه السلام خمسمائة وخمس وأربعين سنة باتفاق. وما بين وفاة موسى عليه السلام وبين الهجرة [فيه] المذهبان المذكوران؛ فعلى اختيار المؤرخين ومقتضى العبرانية يكون بين آدم وبين الهجرة أربعة آلاف وسبعمائة وإحدى وأربعون سنة ؛ وأما على اختيار المنجمين فينقص من هذه الجملة مائتان وتسعمائة وأربعون سنة.، فيكون من آدم إلى الهجرة على ذلك أربعة آلاف وأربعمائة واثنتان وتسعون سنة ، وجملة سنى هذه التوراة تنقص عن (التوراة اليونانية) – وهى التى عليها العمل – ألفًا وأربعمائة وخمساً وسبعين سنة . وهذه الجملة هى القدر الذى نقصه اليهود من الماضى من سنى العالم ؛ فنقصوا من قبل الطوفان ستمائة [ق ٢ / ب] وستًا وثمانين سنة ، ومن بعد الطوفان سبعمائة وتسعًا وثمانين سنة ، الجملة ألف وأربعمائة وخمس وسبعون سنة ، وصورة ما اعتمده اليهود فى ذلك أنهم نقلوا من عمر كل واحد من آدم وبنيه مائة سنة من قبل ميلاد ابنه إلى بعد الميلاد ، فلم تتغير جملة عمر ذلك الشخص ونقصت مدة الزمان ؛ فإن آدم لما صار له مائتان وثلاثون سنة ولد له شِيث . وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة باتفاق ، فأخذ اليهود مائة سنة من عمر آدم قبل أن يولد شِيث جعلوها بعد مولد شيث ، فلم تتغير جملة عمر آدم وجعلوه أنه أولد شيث لمضى مائة وثلاثين سنة من عمره ، وكذلك اعتمدوا فى [كل] من بعده ، فنقص من سنى العالم القدر المذكور .

قالوا ، والذى دعا اليهود إلى ذلك أن التوراة وغيرها من كتب بنى إسرائيل بشرت بالمسيح وأنه يجىء فى أواخر الزمان ، وكان مجىء المسيح فى الألف السادس . فلما فعلوا ذلك صار المسيح فى أول الألف الخامس ؛ فيكون مجىء المسيح فى وسط الزمان لا فى آواخره ، بناء على أن عمر الزمان جميعه سبعة آلاف سنة .

وأما (التوراة اليونانية) . فهى التوراة التى اختارها المحققون من المؤرخين ، وليس فيها ما يقتضى الإنكار من جهة الماضى من عمر الزمان ، وهى توراة نقلها اثنان وسبعون حبرًا قبل ولادة المسيح بقريب ثلثمائة سنة لبطلميوس اليونانى [الذى] كان بعد الإسكندر ببطلميوس واحد ، وسنذكر فى أواخر أخبار بنى إسرائيل صورة نقل هذه التوراة من العبرانية إلى اليونانية على ما ستقف على ذلك إن شاء الله تعالى ؛ فلذلك اعتمدنا على هذه التوراة دون غيرها .

والذى تنبىء به هذه (التوراة اليونانية) أن ما بين هبوط آدم والطوفان ألفان ومائتان واثنتان وأربعون سنة ، وما بين الطوفان – وكان لستمائة سنة مضت من عمر نوح – وبين مولد إبراهيم الخليل ألف وإحدى وثمانون سنة ؛ وبين مولد إبراهيم ووفاة موسى خمسمائة وخمس وأربعون سنة باتفاق نسخ التوراة جميعها ، و [ما] بين وفاة موسى وبين ابتداء ملك بختنصر [فيه خلاف بين المنجمين والمؤرخين ، والذى اختاره المؤرخون أن بين وفاة موسى

وبين ابتداء ملك بختنصر] تسعمائة وثمانيا وسبعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يوماً . وأما ما بين ابتداء ملك بختنصر وبين الهجرة فهو ألف وثلثمائة وتسع وستون [سنة] ومائة وسبعة عشر يوماً . وليس فيه خلاف ؛ لأن بطلميوس أثبته فى المجسطى وأرخ به رصيده ؛ فيكون بين الهجرة وبين هبوط آدم ستة آلاف سنة ومائتان وست عشرة سنة ؛ وهذا القدر هو المختار وعليه نبنى كتابنا ، وأما الذى اختاره المنجمون فأثبتوه فى الزيجات من المدة بين وفاة موسى وبين بختنصر ، فإنها تنقص عما ذكرناه مائتين وتسعاً وأربعين سنة .

الأمر الثالث :

فى معرفة جدول اقترحناه يتضمن ما بين التواريخ المشهورة من المدد ، ومتى أردت [ق ٣ / أ] معرفة ما بين أى تاريخين منها ، فأدخل فى الجدول إلى ا لبيت الذى يلتقيان فيه ، ومهما كان فيه من العدد ، فهو ما بينها بعد الاجتهاد البالغ فى تحقيقه وتحريره . وينبغى أن تعلم أن المحققين والمؤرخين قد اختلفوا فى المدة التى بين وفاة موسى عليه السلام وابتداء ملك بختنصر اختلافاً كثيراً ؛ فذهب أبو عيسى والمحققون من المؤرخين إلى أن بينهما تسعمائة وثمانياً وسبعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يوماً ، وهو الذى اخترناه وأثبتناه فى جدولنا هذا ، وجعلنا الأيام المذكورة على سبيل الجبر ، فصار المثبت فى الجدول تسعمائة وتسعًا وسبعين سنة ؛ وأما أبو معشر وكوشيار وغيرهما من كبار المنجمين ، فإنهم أثبتوا فى الزيجات أن بين وفاة موسى وابتداء ملك بختنصر سبعمائة وعشرين سنة ، وذلك ينقص عما اختاره أبو عيسى وغيره من المحققين مائتين وتسعًا وأربعين سنة ، وإذا نقص ما بين وفاة موسى وبختنصر المدة المذكورة نقص ما بين الطوفان والهجرة قطعاً ، فلذلك تجد فى (الزيج المأمونى) وغيره من الزيجات أن بين الطوفان وبين الهجرة ثلاث آلاف وسبعمائة وخمساً وعشرين سنة ، وتجد ما بين الطوفان وبين الهجرة فى كتابنا وَجَدْوَلنا هذا ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربعًا وسبعين سنة ، فيكون ما فى جَدْوَلنا أزيد مما فى الزيجات بمائتين وتسع وأربعين سنة . فاعلم ذلك لئلا تتوهم أن الزيجات هى الصحيحة وأن كتابنا غلط . فإن الأمر فيه على ما ذكرته لك ؛ وأما بمقتضى سفر قضاة بنى إسرائيل وسفر ملوكهم إذا جمعنا مدد ولا ياتهم ، فان بين وفاة موسى وبين ملك بُخْتَنَصّر بمقتضى ذلك اثنتين وخمسين وتسعمائة سنة ؛ وأما من بُخْتَنَصّر إلى الهجرة ، فلم يختلف فيه ، لأن بطلميوس أثبته فى (المجسطى) وأما تاريخ فيلبس فهو مشهور ، وقد أرّخ به بطلميوس فى المجسطى غالب أرصاده ، ولكننا تركناه للاختصار لقربه من تاريخ الإسكندر ، لأنه متقدم على تاريخ الإسكندر باثنتى عشرة سنة ، فإذا زدتَ على تاريخ الإسكندر اثنتى عشرة سنة خرج (تاريخ) فيلبس ، وأما أزدشير بن بابك فبين ملكه وبين الإسكندر خمسمائة واثنتا عشرة سنة تقريباً ، وبينه وبين الهجرة أربعمائة واثنتان وعشرون سنة تركناه للاختصار أيضاً :

وهذا هو الجدول :

بين	هبوط آدم	الطوفان	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الهجرة
هبوط آدم	ساقط	٢٢٤٢ سنه	٣٣٢٣ سنه	٣٨٦٨ سنه	٤٨٤٧ سنه	٥٢٨١ سنه	٥٥٦٣ سنه	٥٥٨٤ سنه	٥٨٧٦ سنه	٦٢١٦ سنه
الطوفان	٢٢٤٢ سنه	ساقط	١٠٨١ سنه	١٦٢٦ سنه	٢٦٠٥ سنين	٣٠٣٩ سنه	٣٣٢١ سنه	٣٣٤٢ سنه	٣٦٣٤ سنه	٣٩٧٤ سنه
[illegible]	٣٣٢٣ سنه	١٠٨١ سنه	ساقط	٥٤٥ سنه	١٥٢٤ سنه	١٩٥٨ سنه	٢٢٤٠ سنه	٢٢٦١ سنه	٢٥٥٣ سنه	٢٨٩٣ سنه
[illegible]	٣٨٦٨ سنه	١٦٢٦ سنه	٥٤٥ سنه	ساقط	٩٧٩ سنه	١٤١٣ سنه	١٦٩٥ سنه	١٧١٦ سنه	٢٠٠٨ سنين	٢٣٤٨ سنه
[illegible]	٤٨٤٧ سنه	٢٦٠٥ سنين	١٥٢٤ سنه	٩٧٩ سنه	ساقط	٤٣٥ سنه	٧١٧ سنه	٧٣٨ سنه	١٠٣١ سنه	١٣٦٩ سنه
[illegible]	٥٢٨١ سنه	٣٠٣٩ سنه	١٩٥٨ سنه	١٤١٣ سنه	٤٣٥ سنه	ساقط	٢٨٢ سنه	٣٠٣ سنين	٥٩٥ سنه	٩٣٤ سنه
[illegible]	٥٥٦٣ سنه	٣٣٢١ سنه	٢٢٤٠ سنه	١٦٩٥ سنه	٧١٧ سنه	٢٨٢ سنه	ساقط	٩١ سنه	٣١٣ سنه	٦٥٢ سنه
[illegible]	٥٥٨٤ سنه	٣٣٤٢ سنه	٢٢٦١ سنه	١٧١٦ سنه	٧٣٧ سنه	٣٠٣ سنين	٩١ سنه	ساقط	٢٨٢ سنه	٦٣١ سنه
[illegible]	٥٨٧٦ سنه	٣٦٣٤ سنه	٢٥٥٣ سنه	٢٠٠٨ سنين	١٠٣١ سنه	٥٩٥ سنه	٣١٣ سنه	٢٨٢ سنه	ساقط	٣٣٩ سنه
الهجرة	٦٢١٦ سنه	٣٩٩٤ سنه	٢٨٩٢ سنه	٢٣٤٨ سنه	١٣٦٩ سنه	٩٣٤ سنه	٦٥٢ سنه	٦٣١ سنه	٣٣٩ سنه	ساقط

/ انتهى الكلام فى المقدمة [ق ٣ / ب] :

وأما الفصول فخمسة :

الأول : فى عمود التواريخ القديمة وذكر الأنبياء عليهم السلام وحكام بنى إسرائيل .

والثانى : فى ذكر ملوك الفرس ومن يليق إيراده معهم .

والثالث : فى ذكر الفراعنة وملوك اليونان وملوك الروم القياصرة .

والرابع : فى ذكر ملوك العرب .

والخامس : فى ذكر [أمم] العالم .

الفصل الأول

فى عمود التواريخ القديمة وذكر الأنبياء على الترتيب
ذكر آدم وبنيه إلى نوح

من (الكامل) لابن الأثير قال ، قال النبى ﷺ : « إن الله [تعالى][1] خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك ، ومنهم السهل والحزن [والخبيث والطيب][2] وبين ذلك . وإنما سُمى آدم لأنه خلق من [أديم] الأرض ، وخلق الله تعالى جسد آدم وتركه أربعين ليلة ، وقيل أربعين سنة ملقى بغير روح ، وقال الله تعالى للملائكة : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾[3] ، فلما نفخ الروح فسجد له الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، ولم يسجد كبرًا وبغياً وحسدًا فأوقع الله تعالى على إبليس اللعنة والإياس من رحمته وجعله شيطاناً رجيماً وأخرجه من الجنة بعد أن كان ملكاً على سماء الدنيا والأرض وخازناً من خزان الجنة ، وأسكن الله تعالى آدم الجنة[4] .

ثم خلق الله تعالى من ضلع آدم حواء زوجته ، وسميت حواء لأنها خلقت من شىء حى[5] فقال الله تعالى له : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾[6] ثم إن إبليس أراد دخول الجنة ليوسوس لآدم ، فمنعته الخزنة ، فعرض نفسه على الدواب أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجه ، فكل الدواب أبى ذلك غير الحية فإنها أدخلته الجنة بين نابيها ، وكانت الحية إذ ذاك على غير شكلها الآن[7] ؛ فلما دخل إبليس الجنة وسوس لآدم وزوجه ، وحسَّن عندهما الأكل من الشجرة التى نهاهما الله عنها وهى الحنطة ، وقرر عندهما أنهما إن أكلا منها خُلِّدا ولم يموتا ، فأكلا منها ، فبدت لهما سوآتهما ، فقال الله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾[8] آدم وإبليس والحية ، وأهبطهم

---

(١) تكملة من الكامل لابن الأثير .
(٢) تكملة من الكامل لابن الأثير ، وانظر فيه أيضًا نص الحديث بتمامه (١ / ٢٨) .
(٣) الحجر : الآية ٢٩ .
(٤) انظر الكامل : ١ / ٢٨ - ٣٠ ، ٣٢ .
(٥) انظر الكامل : ١ / ٣٢ - ٣٣ .
(٦) البقرة : الآية ٣٥ .
(٧) انظر الكامل : ١ : ٣٣ .
(٨) سورة الأعراف : من الآية ٢٤ .

الله من ا لجنة إلى الأرض [وسلب آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة][١] .

[ولما هبط آدم إلى الأرض] ، كان له ولدان : هابيل وقابيل ، ويسمى قابيل[٢] قاين أيضًا ، فقرّب كل من هابيل وقابيل قرباناً ، وكان قربان هابيل خيراً من قربان قابيل ، فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل ، [ق ٤ / أ] فحسده على [ذلك] ، [وقتل] قابيل هابيل ؛ وقيل بل كان لقابيل أخت توأمة ، وكانت أحسن من توأمة هابيل ، وأراد آدم أن يزوج توأمة قابيل بهابيل ، وتوأمة هابيل بقابيل ، فلم يطب لقابيل ذلك ، فقتل أخاه هابيل . فأخذ قابيل توأمته وهرب بها[٣] .

وبعد قتل هابيل ، ولد لآدم : شيث ، وكانت ولادة شيث لمضى مائتين [وخمس][٤] وثلاثين سنة من عمر آدم وهو وصى آدم ، وتفسير شيث هبة الله ، وإلى شيث تنتهى أنساب بنى آدم كلهم ولما صار لشيث من العمر مائتان وخمس سنين ولد له أنوش[٥] . وكانت ولادة أنوش لمضى أربعمائة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم ؛ وتقول الصابئة إنه ولد لشيث ابن آخر اسمه صابى ابن شيث[٦] ، وإليه تنسب الصابئة . ولما صار لأنوش من العمر مائة وتسعون سنة ولد له قينان ، وذلك لمضى ستمائة وخمس وعشرين سنة من عمر آدم – ولما صار لقينان مائة وسبعون سنة ولد له مَهلائيل ، وذلك لمضى سبعمائة وخمس وتسعين سنة من عمر آدم . ولما مضى من عمر مهلائيل مائة وخمس وثلاثون سنة توفى آدم ، وذلك لمضى تسعمائة وثلاثين سنة من عمر آدم ، وهو جملة عمر آدم[٧] .

قال ابن سعيد ونقله عن ابن الجوزى : إن آدم عند موته كان قد بلغ عدة ولده وولد ولده أربعين ألفًا . ولما صار لمهلائيل من العمر مائة وخمس وستون سنة ولد له يَرْد – بالدال المهملة والذال المعجمة أيضاً . ولما صار ليرد مائة واثنتان وستون سنة ولد له حنوخ[٨] بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة . ولمضى عشرين سنة من عمر حنوخ توفى شيث وعمره تسعمائة واثنتا عشرة سنة ، وكانت وفاة شيث لمضى سنة ألف ومائة واثنتين وأربعين لهبوط آدم ، واسم شيث عند الصابئة عاديمون ..ولما صار لحنوخ مائة وخمس وستون سنة من العمر ولد له مَتُوشَلَخ –

---

(١) تكملة من الكامل (١ / ٣٥) .
(٢) وقيل اسمه أيضًا : قين وقائين (الكامل : ٢١ / ٤١) .
(٣) انظر الكامل : (١ / ٤١ – ٤٣) .
(٤) تكملة من الكامل : ١ / ٥٤ وفى موضع آخر :« كانت ولادته بعدمضى مائة وعسرين سنة لآدم (١ / ٤٧) .
(٥) فى الكامل كان مولد أنوش بعد أن مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين (١ / ٥٤) .
(٦) قيل : صابى بن متوشلخ (الكامل : ١ / ٦٢ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى : ١ / ٢٢٩) .
(٧) وقيل : كان عمر آدم تسعمائة وستا وثلاثين سنة (الكامل : ١ / ٥١) ، وقيل غير ذلك (انظر سبط الجوزى ، مرآة الزمان : (١ / ٢٢١ – ٢٢٢) .
(٨) وقيل : أخنوع وأخوخ (مرآة الزمان : ١ / ٢٢٦) .

بتاء مثناة من فوقها وقيل بثاء مثلثة وآخره خاء مهملة . ولما مضى من عمر مَتُوشَلخ ثلاث وخمسون سنة توفى أنوش بن شيث ، وكان عمر أنوش لما توفى تسعمائة وخمسين سنة ، ولما صار لمتوشَلَخ من العمر مائة وسبع وستون سنة ولد له لا مخ ، ويقال له لا مك ولمك أيضًا . ولما مضى إحدى وستون سنة من عمر لامخ توفى قينان بن أنوش وعمره [تسعمائة] وعشر سنين . ولما صار للامخ من العمر مائة وثمانون سنة ولد له نوح ، وكانت ولادة نوح بعد أن مضى ألف وستمائة واثنتان وأربعون سنة من هبوط آدم [ق ٤ / ب] ولما مضى من عمر نوح أربع وثلاثون سنة توفى مهلائيل بن قينان ، وكان عمر مهلائيل لما توفى ثمانمائة وخمسًا وتسعين سنة . ولما مضى من عمر نوح مائتان وست وستون سنة توفى يرد بن مهلائيل ، وكان عمر يرد لما توفى تسعمائة واثنتين وستين سنة . وأما حنوخ وهو إدريس ، فإنه رفع لما صار له من العمر ثلثمائة وخمس وستون سنة ، رفعه الله إلى السماء ، وكان ذلك لمضى ثلاث عشرة سنة من عمر لامخ قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة ، ونبأ الله إدريس المذكور وانكشفت له الأسرار السماوية وله صحف[1] منها : « لا ترموا أن تحيطوا بالله خبرة فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين إلا من آثاره » ، وأما متوشلخ بن حنوخ فإنه توفى لمضى ستمائة سنة من عمر نوح وذلك عند ابتداء مجيء الطوفان ، وكان عمر متوشلخ لما توفى تسعمائة وتسعًا وستين سنة . ولما صار لنوح خمسمائة سنة من العمر ولد له : سام وحام ويافث[2] . ولما مضى من عمر نوح ستمائة سنة كان الطوفان ، وذلك لمضى ألفين ومائتين واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم .

ذكر نوح وولده

من الكامل لابن الأثير أن الله تعالى أرسل نوحاً إلى قومه ، وقد اختلف فى ديانتهم وأصح ذلك ما نطق به الكتاب العزيز بأنهم كانوا أهل أوثان ؛ قال الله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سُواعًا ولا يغوثَ ويعوقَ ونَسْرًا وقد أضَلُّوا كثيرًا﴾[3] وصار نوح يدعوهم إلى طاعة الله [تعالى] وهم لا يلتفتون ، وكان قوم نوح يخنقون نوحاً حتى يغمى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون . وبقى لا يأتى قرن منهم إلا كان أخبث من الذى قبله ، وكانوا يضربونه حتى يظنون أنه قد مات ، فإذا أفاق نوح اغتسل

---

(١) انظر الكامل : ١ / ٥٩ - ٦٠ ، ٦٢ ومرآة الزمان : ١ / ٢٢٦ - ٢٢٩ .
(٢) انظر الكامل : ١ / ٦٣ .
(٣) نوح الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

وأقبل إليهم يدعوهم إلى الله [تعالى] ، فلما طال ذلك عليه شكاهم إلى الله تعالى ، فأوحى الله إليه : ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن . ﴾[1] فلما يئس نوح منهم دعا عليهم ، فقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دَيَّارًا ﴾[2] فأوحى الله إلى نوح أن يصنع السفينة ، فصار قومه يسخرون منه ويقولون : يانوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ، وصنع السفينة من خشب الساج . فلما فار التنور وكان هو الآية من نوح ومن ربه حمل نوح من أمره الله بحمله ، وكان منهم أولاد نوح الثلاثة وهم : سام وحام ويافث ونساؤهم ، وقد حمل أيضاً ستة أناسى ، وقيل ثمانين رجلاً أحدهم جُرْهُم كلهم من بنى شيث ، ثم أدخل ما أمره الله [تعالى] من الدواب . وتخلف عن نوح ابنه يام ، وكان كافراً ، وارتفع [ق ٥ / أ] الماء وطمى ، وجعلت الفلك تجرى بهم فى موج كالجبال ، وعلا الماء على رءوس الجبال خمس عشرة ذراعًا ، فهلك ما على وجه الأرض من حيوان ونبات ، وكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن غاض ستة أشهر وعشر ليال . وقيل إن ركوب نوح فى السفينة كان لعشر ليال مضت من رجب ، وكان ذلك أيضاً لعشر ليال خلت من آب ، وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم ، وكان استقرار السفينة على الجودى من أرض الموصل .

قال ابن الجَوْزِى[3] : وأما المجوس فلا يعرفون الطوفان ، وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم أنه كان فى إقليم بابل وما قرب منه ، وأن مساكن ولد خيومرث كانت بالمشرق ، فلم يصل ذلك إليهم ، وكذلك جميع الأمم المشرقية من الهند والفرس والصين لا يعترفون بالطوفان ، وبعض الفرس يعترف به ويقول لم يكن عَامًّا ولم يتعدَّ عقبة حلوان . والصحيح أن جميع أهل الأرض من ولد نوح ، لقوله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾[4] ، فجميع الناس من ولد سام وحام ويافث أولاد نوح : فسام أبو العرب وفارس والروم ، وحام أبو السوذان ، ويافث أبو الترك ، ويأجوج ومأجوج والفرنج والقبط من ولد قوط بن حام[5] .

وولد لحام أيضاً مازيغ ، وولد لمازيغ كنعان وبنو كنعان كانوا أصحاب الشام حتى غزتهم بنو إسرائيل ، كذا نقل ابن الأثير أن بنى كنعان من ولد سام ، والله أعلم .

وولد لسام عدة أولاد منهم : لا وذ بن سام ، وولد للاوذ فارس وجرجان وطسم وعمليق الذى هو أبو العماليق ؛ ومنهم كانت الجبابرة بالشام والفراعنة بمصر . وسكنت بنو طسم اليمامة إلى البحرين . ومن ولد سام أيضاً أرم بن سام ، وولد لأرم عدة أولاد ، فمنهم : عابر بن أرم : فمن ولد عابر : ثمود وجديس ؛ وولد أيضا لأرم [غوص] : ومن غوص

---

(١) هود : الآية ٣٦ .
(٢) نوح : الآية ٢٦ .
(٣) فى ط : ابن الأثير
(٤) الصافات : الآية ٧٧.
(٥) فى ط : نوح بن حام .

عاد . وكان كلام ولد أرَم العربية ، وسكنت بنو عاد الرمل إلى حضر موت ؛ وسكنت ثمود الحجر بين الحجاز والشام .

ولنرجع إلى ذكر من هو على عمود النسب من نوح إلى إبراهيم ، فنقول : ولد لنوح سام وحام ويافث لمضى خمسمائة سنة من عمر نوح ؛ وكان الطوفان لستمائة سنة من عمر نوح . وولد لسام أَرْفَخْشَذْ بعد أن مضى مائة وسنتان من عمر سام ، وذلك بعد الطوفان بسنتين . ولما صار [ق ٥ / ب] لأَرْفَخْشذ من العمر مائة وخمس وثلاثون سنة ولد له قينَان ، فولادة قينان تكون لمضى مائة وسبع وثلاثين سنة للطوفان . ولما صار لقينان مائة وتسع وثلاثون سنة ولد له شالح ، فتكون ولادة شالح لمضى مائتين وست وسبعين سنة من الطوفان . ولما مضت سنة ثلثمائة وخمسين للطوفان توفى نوح عليه السلام وعمره تسعمائة وخمسون سنة ، فتكون وفاة نوح لمضى أربع وسبعين من عمر شالح ، ثم ولد لشالح عابر لما صار لشالح[1] من العمر مائة وثلاثون سنة ، وذلك لمضى أربعمائة وست سنين للطوفان . ثم ولد لعابر فالغ لما صار لعابر مائة وأربع وثلاثون سنة ، وذلك لمضى خمسمائة وأربعين سنة للطوفان . ثم ولد لفالغ رعو ، ولفالغ مائة وثلاثون سنة ؛ وعند مولد رعو تبلبلت الألسن وقسمت الأرض وتفرقت بنو نوح ، وذلك لمضى ستمائة وسبعين سنة للطوفان . ولما صار لرعو مائة واثنتان وثلاثون سنة ولد له ساروع ، واسمه فى التوراة سرور ، وذلك [بعد] مضى ثمانمائة وسنتان للطوفان . ولما صار لساروع مائة وثلاثون سنة ولد له ياجور[2] ، [وذلك] لمضى سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة للطوفان ، ولما صار لتارح سبعون سنة ولد له إبراهيم الخليل عليه السلام ، وذلك لمضى ألف وإحدى وثمانين سنة للطوفان .

وأما جملة أعمار المذكورين ، فعاش سام ستمائة سنة ، فيكون وفاته بعد وفاة نوح بمائة وخمسين سنة ؛ وعاش أَرْفَخْشَذْ أربعمائة وخمسًا وستين سنة ؛ وعاش قينان أربعمائة وثلاثين سنة ؛ وعاش شالح أربعمائة وستين سنة ؛ وعابر أربعمائة وأربعًا وستين سنة ؛ وفالغ ثلثمائة وتسعاً وثلاثين سنة ؛ ورعو ثلثمائة وتسعًا وثلاثين سنة ؛ وسارع ثلثمائة وثلاثين سنة ؛ وياجور مائتين وثمان سنين ؛ وتارح مائتين وخمس سنين .

وأما سبب تبلبل الألسن ؛ فقد ذكر أبو عيسى أن بنى نوح الذين نشأوا بعد الطوفان اجتمعوا على بناء حصن يتحرزون به خوفاً من مجىء الطوفان مرة ثانية ؛ والذى وقع رأيهم عليه أن يبنوا صرحاً شامخاً تبلغ رأسه السماء ؛ فجعلوا [ق ٦ / أ] له اثنين وسبعين برجاً ؛ وجعلوا على كل برج كبيراً منهم يستحث على العمل ؛ فانتقم الله تعالى منهم وبلبل ألسنتهم إلى

---

(١) ص : شالخ - بخاء معجمة .

(٢) كذا فى ص ، وفى ط : ناحور وكذلك فى باقى المواضع .

لغات شتى ؛ ولم يوافقهم عابر على ذلك واستمر على طاعة الله [تعالى] ؛ فبقّاه الله تعالى على اللغة العبرانية ، ولم ينقله عنها .

ولما افترقت بنو نوح صار لولد سام العراق وفارس وما يلى ذلك إلى الهند ؛ وصار لولد حام الجنوب مما يلى مصر على النيل وكذلك مَقْرِبًا إلى منتهى المغرب ؛ [وصار لولد يافث مما يلى بحر الخزر وكذلك مشرقاً إلى جهة الصين] ؛ وكانت شعوب أولاد نوح الثلاثة عند تبلبل الألسن اثنتين وسبعين شعباً .

ذكر هود وصالح

وهما نبيان [أرسلا] بعد نوح وقبل إبراهيم الخليل [عليه السلام] . أما هود ، فقد قيل إنه عابر بن شالح المذكور ؛ وأرسل الله هوداً إلى عاد ؛ وكانوا أهل أصنام ثلاثة ؛ وكان عاد وثمود جبارين طوال القامات كما أخبر التنزيل به[1] ؛ قال الله تعالى : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة ﴾[2] ودعا هود قوم عاد فلم يؤمن منهم إلا القليل ؛ فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سبع ليالى وثمانية أيام حسوماً ؛ والحسوم الدائم ؛ فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك غير هود والمؤمنين معه فإنهم اعتزلوا فى حظيرة ؛ وبقى هود كذلك حتى مات وقبره بحضر موت ؛ وقيل بالحجر من مكة . ويروى أنه كان من قوم عاد شخص اسمه لقمان ، وهو غير لقمان الحكيم الذى كان على عهد داود النبى عليه السلام . وكان قد حصل لعاد – قبل أن يهلكهم الله – الجدب ؛ فأرسلوا جماعة منهم إلى مكة يستسقون لهم ؛ وكان من جملة الجماعة المذكورين لقمان المذكور . فلما هلكت عاد – كما ذكرنا – بقى لقمان بالحرم ؛ فقال له الله [تعالى] : اختر ولا سبيل إلى الخلود ؛ فقال يارب أعطنى عمر سبعة أنسر ، فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى إذا مات أخذ غيره ؛ وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة ؛ وكان اسم النسر السابع لبد ؛ فلما مات لبد مات لقمان معه ، وقد أكثر الناس والعرب فى أشعارهم من ذكر هذه الواقعة ، فلذلك ذكرناها .

وأما صالح ، فأرسله الله إلى ثمود ؛ وهو صالح بن عبيد بن أنيف بن ماشج بن عبيد بن حادر بن ثمود . فدعا صالح قوم ثمود إلى التوحيد – وكان مسكن ثمود بالحجر كما [ق ٦ / ب] تقدم ذكره – فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون ؛ ثم إن كفارهم عاهدوا صالحاً على أنه إن أتى بما يقترحونه عليه آمنوابه ؛ واقترحوا عليه أن يخرج من صخرة منيعة[3] ناقة .

---

(١) فى ط : كما أخبر الله فى التنزيل عنهم .
(٢) الأعراف : من الآية ٦٩ .
(٣) ط : معينة .

فسأل صالح الله تعالى فى ذلك ؛ فخرج من تلك الصخرة ناقة ؛ وولدت فصيلا ؛ فلم يؤمنوا . وآخر الحال أنهم عقروا الناقة ؛ فأهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة ؛ فتقطعت قلوبهم ، فأصّبحوا فى ديارهم جاثمين . وسار صالح إلى فلسطين ، ثم انتقل إلى الحجاز يعبد الله إلى أن مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

ذكر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه

وهو إبراهيم بن تارح ؛ وهو آزر بن ياجور[1] بن ساروع بن رعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ؛ وقد أسقط ذكر قينان بن أرفخشذ – وهو الحقيقة من عمود النسب ؛ قيل بسبب أنه كان ساحراً فأسقطوه من الذكر وقالوا شالح بن أرفخشذ ، وهو فى الحقيقة شالح بن قينان بن أرفخشذ ؛ فاعلم ذلك . وولد إبراهيم بالأهواز ، وقيل ببابل وهى العراق . وكان آزر أبو إبراهيم يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها ؛ وكان إبراهيم يقول من يشترى ما يضره ولا ينفعه . [ثم] لما أمر الله تعالى إبراهيم أن يدعو قومه إلى التوحيد دعا أباه فلم يُجِبْه ؛ ودعا قومه ، فلما فشا أمره واتصل بنمرود بن كوش[2] وهو ملك تلك البلاد – وكان نمرود عاملاً على سواد العراق وما اتصل به للضحاك ، وقيل بل كان النمر ود ملكاً مستقلاً برأسه – فأخذ نمرود إبراهيم الخليل ورماه فى نار عظيمة ؛ فكانت النار عليه برداً وسلاماً ؛ وخرج إبراهيم من النار بعد أيام ، ثم آمن به رجال [من قومه] على خوف من نمرود ؛ وآمنت به زوجته سارة ؛ وهى ابنة عمه هاران .

ثم إن إبراهيم ومن آمن معه – وأباه على كفره – فارقوا قومهم ، وهاجروا إلى حَرَّان ، وأقاموا بها مدة ، ثم سار إبراهيم إلى مصر وصاحبها فرعون – قيل كان اسمه [سنان] بن علوان ، وقيل طوليس – فذُكر جمال سارة لفرعون وهو طوليس المذكور ؛ فأحضر سارة إليه وسأل إبراهيم عنها ، فقال هذه أختى يعنى فى الإسلام ؛فهمَّ فرعون المذكور بها فأيبس الله يديه ورجليه ؛ فلما تخلى عنها أطلقه الله [تعالى] ؛ ثم همَّ بها فجرى له كذلك ، فأطلق سارة وقال : « لا ينبغى لهذه أن تخدم نفسها » ووهبها هاجر جارية لها فأخذتها وجاءت إلى إبراهيم . ثم سار إبراهيم من مصر إلى الشام وأقام بين الرملة وإيليا ؛ وكانت [ق ٧ / أ] سارة لا تلد فوهبت إبراهيم هاجر ، ووقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل ؛ ومعنى إسماعيل بالعبرانى مطيع الله ؛ وكانت ولادة إسماعيل لمضى ست وثمانين سنة من عمر إبراهيم ؛ فحزنت سارة لذلك فوهبها الله إسحاق وولدته سارة ولها تسعون سنة ، ثم غارت سارة من هاجر وابنها وقالت : ابن الأمة لا يرث مع ابنى ، وطلبت من إبراهيم أن يخرجها عنها ، فأخذ

(١) ط : ناحور .

(٢) ط : لوش .

إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل وسار بهما إلى الحجاز وتركهما بمكة ، وبقى إسماعيل بها وتزوج من جرهم امرأة . وماتت أمه هاجر بمكة ، وقدم إليه أبوه إبراهيم وبنيا الكعبة وهو بيت الله الحرام . ثم أمر الله إبراهيم أن يذبح ولده ، وقد اختلف فى الذبيح ، هل هو إسحاق أم إسماعيل ، وفداه [الله] بكبش . وكان إبراهيم فى أواخر بيوراسب المسمى بالضحاك الذى سنذكره مع ملوك الفرس إن إشاء الله تعالى .

وفى أول ملك أفريدون ، كان النمرود عاملًا له حسبما ذكرناه . وكان لإبراهيم أخوان وهما : هاران وناحور أولاد آزر ؛ فهاران أولد لوطا ؛ [وأما ناحور أولد بتويل ، وبتويل أولد لابان ، ولابان أولد ليا وراحيل زوجتى يعقوب] . ومن زعم أن الذبيح إسحاق يقول كان موضع الذبح بالشام على ميلين من إيليا وهى بيت المقدس ؛ ومن يقول إنه إسماعيل يقول إن ذلك كان بمكة ، وقد اختلف في الأمور التى ابتلى الله [إبراهيم] بها فقيل هى هجرته من وطنه والختان وذبح ابنه ، وقيل غير ذلك ، وفى أيام إبراهيم توفيت زوجته سارة بعد وفاة هاجر ، وفى ذلك خلاف . وتزوج إبراهيم - بعد وفاة سارة - امرأة من الكنعانيين ، وولدت من إبراهيم ستة نفر ، فكان جملة أولاد إبراهيم ثمانية إسماعيل وإسحاق وستة من الكنعانية على خلاف فى ذلك .

ذكر بنى إبراهيم الذين على عمود النسب إلى موسى عليه السلام

أما مولد إبراهيم ، فقد تقدم فى ذكر نوح أن إبراهيم ولد لمضى ألف وإحدى وثمانين سنة من الطوفان . ولما صار لإبراهيم مائة سنة ولد له إسحاق ، ولما صار لإسحاق ستون سنة ولد له يعقوب ، ولما صار ليعقوب ست وثمانون سنة ولد له لاوى ؛ ولما صار للاوى ست وأربعون سنة ولد له قاهاث ؛ ولما صار لقاهاث ثلاث وستون سنة ولد له عمران ؛ ولما صار لعمران سبعون سنة ولد له موسى عليه السلام . فيكون ولادة موسى لمضى أربعمائة وخمس وعشرين سنة من مولد إبراهيم ، وعاش موسى مائة وعشرين سنة ، فيكون ما بين ولادة إبراهيم ووفاة موسى خمسمائة [وخمسًا] وأربعين سنة . وأما جملة أعمار المذكورين ، [ق ٧ / ب] فإن إبراهيم عاش مائة وخمسًا وسبعين سنة ؛ وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة ؛ ويعقوب مائة وسبعًا وأربعين سنة ؛ ولاوى مائة وسبعًا وثلاثين سنة ؛ وعاش قاهاث مائة وسبعًا وعشرين سنة ؛ وعمران مائة وستاً وثلاثين سنة ، ومات إبراهيم ولإسحاق خمس وسبعون سنة ؛ ومات إسحاق وليعقوب مائة وعشرون سنة ؛ ومات يعقوب وللاوى ستون سنة ؛ ومات لاوى ولقاهاث إحدى وثمانون سنة ؛ ومات قاهاث ولعمران أربع وستون سنة ؛ ومات عمران ولموسى ست وستون سنة بناء على أن جملة عمر عمران مائة وست وثلاثون سنة .

وقد اختلف فى معنى الصحف التى أنزلها الله تعالى على إبراهيم ؛ وقد روى أبو ذر عن النبى ﷺ أنها أمثال . فمنها : أيها [المسلط] المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فإنى لا أردها ولو كانت من كافر ؛ وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظًا للسانه ؛ ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . وإبراهيم أول من اختتن ، وأضاف الضيف ؛ ولبس السراويل .

ذكر لوط عليه السلام

أما لوط فهو ابن أخى إبراهيم الخليل ؛ وهو لوط بن هاران بن آزر ؛ وآزر هو تارح ؛ وباقى النسب قد مر عند ذكر إبراهيم الخليل . وكان لوط ممن آمن بعمه إبراهيم ، وهاجر معه إلى مصر ، وعاد إلى الشام . وأرسل الله تعالى لوطاً إلى أهل سدوم ؛ وكانوا أهل كفر وفاحشة ؛ ودام لوط يدعوهم إلى الله تعالى وينهاهم فلم يلتفتوا إليه ؛ وكانوا على ما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى : ﴿ إنكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين أَئِنَّكُمْ لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر ﴾[1] . وكان قطعهم للطريق أنه إذا مر بهم المسافر أمسكوه وفعلوا فيه اللواط ؛ وكان لوط ينهاهم ويتوعدهم على الإصرار ؛ فلا يزيدهم وعظه إلا تماديا . فلما طال ذلك عليه سأل الله تعالى النصرة عليهم ؛ فأرسل الله الملائكة لقلب سدوم وقراها الخمس . وكان بسدوم أربعمائة ألف بشرى . وأما قراها فهى : صبغة ، وعمره ؛ وآدما ؛ وصبويم ؛ وبالغ .

وكان الملائكة قد أعلموا إبراهيم الخليل بما أمرهم الله تعالى به من الخسف بقوم لوط ؛ فسأل إبراهيم جبريل فيهم ؛ وقال له أرأيت إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؛ فقال : جبريل إن كان فيهم خمسون لا نعذبهم ؛ فقال إبراهيم : وأربعون ، قال وأربعون ، قال : إبراهيم : وثلاثون ؛ قال ؛ وثلاثون [ق ٨ / أ] وكذلك حتى قال إبراهيم : وعشرة ؛ فقال جبريل : وعشرة ؛ فقال إبراهيم : إن هناك لوطًا ؛ فقال جبريل والملائكة : نحن أعلم بمن فيها . فلما وصلت الملائكة إلى لوط هَمَّ قومه أن يلوطوا بهم فأعماهم جبريل بجناحيه ؛ وقال الملائكة للوط نحن رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فلما خرج لوط بأهله ؛ قال للملائكة : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ؟ فلما كان الصبح قلبت الملائكة سدوم وقراها الخمس بمن فيها ، وسمعت امرأة لوط الهدَّ ؛ فقالت : واقوماه ! فأدركها حجر فقتلها ؛ وأمطر الله الحجارة على من لم يكن بالقرى فأهلكهم .

---

(١) العنكبوت : الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

ذكر إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام

وولد إسماعيل لإبراهيم لما كان لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة ، ولما صار لإسماعيل ثلاث عشرة سنة تطهر هو وأبوه إبراهيم ؛ ولما صار لإبراهيم مائة سنة [و] ولد له إسحاق أخرج إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة بسبب غيرة سارة منها وقولها : أخرج إسماعيل وأمه ، إن ابن الأمة لا يرث مع ابني . وسكن مكة مع إسماعيل من العرب قبائل جرهم ؛ وكانوا قبله بالقرب من مكة ؛ فلما سكنها إسماعيل اختلطوا به ، وتزوج إسماعيل امرأة من جرهم ورزق منها اثنا عشر ولدًا . ولما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة وهى البيت الحرام ؛ سار من الشام وقدم على ابنه إسماعيل بمكة ؛ وقال : يا إسماعيل إن الله تعالى أمرنى أن أبنى له بيتاً ؛ فقال إسماعيل : أطع ربك ؛ فقال إبراهيم : وقد أمرك أن تعيننى عليه ، قال : إذن أفعل . فقام إسماعيل معه ؛ وجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة ؛ وكان كلما بنيا دعوا ، فقالا : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾[1] . وكان وقوف إبراهيم على حجر وهو يبنى ؛ وذلك الموضع هو مقام إبراهيم . واستمر البيت على ما بناه إبراهيم إلى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبنوه ؛ وكان بناء الكعبة بعد مضى مائة سنة من عمر إبراهيم بمدة ؛ فيكون - بالتقريب - بين ذلك وبين الهجرة ألفان وسبعمائة ونحو ثلاث وتسعين سنة . وأرسل الله إسماعيل إلى قبائل اليمن وإلى العماليق . وزوج إسماعيل ابنته من ابن أخيه العيص بن إسحاق . وعاش إسماعيل مائة وسبعاً وثلاثين سنة ؛ ومات بمكة ودفن عند قبر أمه هاجر بالحجر ، وكانت وفاة إسماعيل بعد وفاة أبيه إبراهيم بثمان وأربعين سنة .

ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام

[ق ٨ / ب] قد تقدم مولد إسحاق عند ذكر أبيه ؛ ثم إن إسحاق تزوج بنت عمه ؛ فولدت له العيص ويعقوب ؛ ويقال ليعقوب إسرائيل . ونكح العيص بنت عمه إسماعيل ، ورزق منها جملة أولاد . ونكح يعقوب ليَا بنت لابان بن بتويل بن ناحور بن آزر والد إبراهيم الخليل : فولدت ليَا روبيل ، وهو أكبر أولاد يعقوب ؛ ثم ولدت شمعون ، ولاوى ، ويهوذا ؛

---

(١) البقرة : من الآية ١٢٧ .

ثم تزوج يعقوب عليها أختها راحيل ؛ فولدت له يوسف ، وبنيامين ؛ وكذلك ولد ليعقوب من سريتين كانتا له ستة أولاد ؛ فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلاً هم آباء الأسباط . وأقام إسحاق بالشام حتى توفى وعمره مائة وثمانون سنة ؛ ودفن عند أبيه إبراهيم الخليل صلوات الله عليه . وأما أسماء آباء الأسباط الاثنى عشر [أولاد] يعقوب ؛ فهم : روبيل ؛ ثم شمعون ؛ ثم لاوى ؛ ثم يهوذا ؛ ثم يساخر ؛ ثم زبولون ؛ ثم يوسف ؛ ثم بنيامين ؛ ثم دان ؛ ثم نفتالى ، ثم كاذ ثم أشار .

ذكر أيوب عليه السلام

وهو رجل عده المؤرخون من أمة الروم ، لأنه من ولد العيص ؛ وهو أيوب بن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ؛ وكان لأيوب زوجة اسمها رحمة ؛ وكان صاحب أموال عظيمة ؛ وكان لأيوب البثنية جميعها من أعمال دمشق ملكا . فابتلاه الله تعالى بأن أذهب أمواله حتى صار فقيرا ، وهو مع ذلك على عبادته وشكره . ثم ابتلاه الله تعالى فى جسده حتى تجذم ودود وبقى [مرميًا] على مزبلة لا يطيق أحد أن يشم رائحته ؛ وكانت زوجته رحمة تخدمه وهى صابرة على حاله ؛ فتراءى لها إبليس وأراها ما ذهب لهم ؛ وقال لها : اسجدى لى لأرد مالكم إليكم ؛ فاستأذنت أيوب ، فغضب وحلف ليضربنها مائة (ثم إن الله تعالى عافى أيوب ، ورزقه ، ورد إلى امرأته شبابها وحسنها ، وولدت لأيوب ستة وعشرين ذكراً ، ولما عوفى أيوب أمره الله تعالى أن يأخذ عرجوناً من النخل فيه مائة شمراخ ، فيضرب به زوجته ليبر فى يمينه ؛ ففعل ذلك ، وكان أيوب نبيًا فى عهد يعقوب فى قول بعضهم ، وذكر أن أيوب عاش ثلاثاً وتسعين سنة ؛ ومن ولد أيوب ابنه بشر ؛ وبعث الله تعالى بشراً بعد أيوب وسماه ذا الكفل ؛ وكان مقامه بالشام .

ذكر يوسف

وولد ليعقوب يوسف لما كان ليعقوب من العمر إحدى وتسعون سنة ؛ ولما صار ليوسف من العمر ثمانى عشرة سنة كان فراقه ليعقوب ، وبقيا مفترقين إحدى وعشرين سنة . ثم اجتمع يعقوب بيوسف فى مصر ؛ وليعقوب من العمر مائة وثلاثون سنة ؛ وبقيا مجتمعين سبع عشرة سنة . فكان عمر يوسف لما توفى يعقوب ستاً وخمسين سنة ، وعاش يوسف مائة وعشر سنين ، فيكون مولد يوسف لمضى مائتين [ق ٩ / أ] وإحدى وخمسين سنة من مولد إبراهيم ؛ ويكون وفاته لمضى ثلثمائة وإحدى وستين سنة من مولد إبراهيم ؛ ويكون وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة محققاً .

وأما قصة فراقه من أبيه ، فإنه لما كان ليوسف من الحسن ومن حب أبيه على ما اشتهر [به] حسدته إخوته وألقوه فى الجب ؛ وكان فى الجب ماء وبه صخرة ؛ فآوى إليها ، وأقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام ، ومرت به السيارة ، فأخرجته من الجب ، وأخذوه معهم ، وجاء يهوذا أحد إخوته إلى الجب بطعام ليوسف فلم يجده ورآه عند تلك السيارة ، وأخبر يهوذا إخوته بذلك ، فأتوا إلى السيارة وقالوا هذا عبدنا أبق منا ، وخافهم يوسف ولم يذكر حاله فاشتروه من إخوته بثمن بخس قيل عشرون درهمًا وقيل أربعون ، وذهبوا به إلى مصر ، فباعه أستاذه ، فاشتراه الذى على خزائن مصر واسمه العزيز . وكان فرعون مصر حينئذ الريان بن الوليد رجلًا من العماليق ، والعماليق من ولد عملاق بن سام بن نوح حسبما تقدم ذكره . ولما اشترى العزيز يوسف هويته امرأته ، وكان اسمها راعيل ، وراودته عن نفسها ، فأبى وهرب منها ، ولحقته من خلفه ، وأمسكته بقميصه ، فانقد قميصه ، ووصل أمرهما إلى زوجها العزيز وابن عمها [تبيان] ، فظهر لهما براءة يوسف وأن راعيل هى التى راودته . ثم بعد ذلك ما زالت تشكو إلى زوجها من يوسف وتقول : يقول الناس إننى راودته عن نفسه وقد فضحنى بين الناس ؛ فحبسه زوجها ، ودام فى السجن سبع سنين ؛ ثم أخرجه فرعون مصر بسبب تعبير الرؤيا التى أريها .

ثم لما مات العزيز الذى كان اشترى يوسف جعل فرعون يوسف موضعه على خزائنه كلها ، وجعل القضاء إليه وحكمه نافذاً ؛ ودعا يوسف الريان فرعون [مصر] المذكور إلى الإيمان ؛ فآمن به ، وبقى كذلك إلى أن مات الريان المذكور . وملك بعده مصر قابوس بن مصعب من العمالقة أيضاً ؛ ولم يؤمن ، وتوفى يوسف عليه السلام فى ملكه بعد أن وصل إليه أبوه يعقوب وإخوته جميعهم من أرض كنعان وهى الشام بسبب المَحْل ؛ وعاش معهم مجتمعين سبع عشرة سنة . ومات يعقوب وأوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ذلك ، وسار به إلى الشام ودفنه عند أبيه ، ثم عاد إلى مصر . وكان وفاة يوسف بمصر ، ودفن بها حتى كان من موسى وفرعون ما كان ؛ فلما سار موسى من مصر ببنى إسرائيل إلى التيه نبش قبر يوسف وحمله معه فى التيه حتى مات موسى ؛ فلما قدم يوشع ببنى إسرائيل إلى الشام دفنه بالقرب من نابلس وقيل عند الخليل [عليه السلام] .

ذكر شعيب

ثم بعث الله تعالى شعيبًا عليه السلام إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين : وقد اختلف فى نسب شعيب ، فقيل إنه من ولد [ق ٩ / ب] إبراهيم الخليل ، وقيل من ولد بعض الذين آمنوا بإبراهيم . وكانت الأيكة من شجر ملتف ؛ فلم يؤمنوا ، فأهلك الله أصحاب الأيكة بسحابة مطرت عليهم ناراً يوم الظلة ؛ وأهلك الله أهل مدين [بالزلزلة] .

ذكر موسى عليه السلام

ثم أرسل الله تعالى موسى بن عمران بن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام نبيًا بشريعة بنى إسرائيل ؛ وكان من أمره أنه لما ولدته أمه كان قد أمر فرعون مصر واسمه الوليد بقتل الأطفال ، فخافت عليه أمه ، وألقى الله تعالى فى قلبها أن تلقيه فى النيل ، فجعلته فى تابوت وألقته . والتقطته . آسية امرأة فرعون ، وربته ، وكبر ؛ فبينا هو يمشى فى بعض الأيام إذ وجد إسرائيليا وقبطياً يختصمان ؛ فوكز القبطى فقتله ، ثم اشتهر ذلك ، وخاف موسى من فرعون ، فهرب وقصد نحو مدين ، واتصل بشعيب وزوّجه ابنته ، واسمها صفورة . وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين . ثم سار موسى بأهله [فى زمن الشتاء]، وأخطأ الطريق ، وكانت امرأته حاملاً ، فأخذها الطلق فى ليلة شاتية ، فأخرج زنده ليقدح ، فلم يظهر له نار ، وأعيا بما يقدح ، فرفعت له نار ، فقال لأهله : امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو [آتيكم] بشهاب قبس لعلكم تصطلون . فلما دنا منها رأى نوراً ممتداً من السماء إلى شجرة عظيمة من العوسج ، وقيل من العناب ؛ فتحير [موسى] ، وخاف ورجع ، فنودى منها ؛ ولما سمع الصوت استأنس وعاد ؛ فلما أتاها نودى من جانب الواد الأيمن من الشجرة [أن] يا موسى إنى أنا الله رب العالمين ؛ ولما رأى تلك الهيبة علم أنه ربه ، فخفق قلبه وكلّ لسانه وضعفت بنيته ؛ ثم شد الله تعالى قلبه ، ولما عاد قلبه نودى أن اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وجعل الله عصاه ويده آيتين .

ثم أقبل موسى إلى أهله ، فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً واجتمع به هارون وسأله من أنت ، فقال : أنا موسى ، فاعتنقا وتعارفا ؛ ثم قال موسى : يا هارون إن الله أرسلنا إلى فرعون فانطلق معى إليه ؛ فقال هارون : سمعاً وطاعة . فانطلقا إليه ، وأراه موسى عصاه ثعباناً فاغراً فاه حتى خاف منه فرعون ، فأحدث فى ثيابه ؛ ثم أدخل يده فى جيبه وأخرجها وهى بيضاء لها نور تَكِلّ منه الأبصار ، فلم يستطع فرعون النظر إليها ، ثم ردها إلى جيبه وأخرجها ، فإذا هى على لونها الأول . ثم أحضر لهما فرعون السحرة ، وعملوا الحيات ، وألقى موسى عصاه فتلقفت ذلك ؛ وآمن به السحرة ، فقتلهم فرعون عن آخرهم ثم أراهم الآيات من القمل والضفادع وصيرورة الماء دمًا ؛ فلم يؤمن فرعون ولا أصحابه .

وآخر الحال أن فرعون أطلق لبنى إسرائيل أن يسيروا مع موسى ؛ وسار موسى ببنى إسرائيل ؛ ثم ندم فرعون ، وسار بعسكره حتى لحقهم عند بحر القلزم ؛ فضرب موسى [ق ١٠ / أ] بعصاه البحر ، فانشق ودخل فيه هو وبنو إسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده ، فانطبق البحر على فرعون وجنوده وغرقوا عن آخرهم .

ومن جملة المعجزات التى أعطاها الله عز وجل موسى قصته مع قارون .

من (الكامل) قال : وكان قارون ابن عم موسى وكان الله تعالى قد رزق المذكور مالاً عظيما يضرب به المثل على طول الدهر ؛ قيل إن مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا وبنى داراً عظيمة [وصفحها] بالذهب وجعل أبوابها ذهباً ، وقد قيل عن ماله شيء يخرج عن الحصر ، فتكبر بسبب كثرة ماله على موسى واتفق مع بنى إسرائيل على تذفه والخروج عن طاعته ، وأحضر امرأة بغياً وهى القحبة وجعل لها جُعلاً وأمرها بقذف موسى بنفسها واتفق معها على ذلك .

ثم أتى موسى فقال : إن قومك قد اجتمعوا ، فخرج إليهم موسى وقال : من سرق قطعناه ، ومن افترى جلدناه ، ومن زنى رجمناه . فقال له قارون : وإن كنت أنت ، قال موسى : نعم وإن كنت أنا . قال : فإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة . قال موسى [فادعوها] فإن قالت فهو كما قالت ؛ فلما جاءت ، قال لها موسى : أقسمت عليك بالذى أنزل التوراة إلا صدقت ، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء . قالت : لا ، كذبوا ولكن جعلوا لى جعلاً على أن أقذفك . فأوحى الله تعالى إلى موسى مر الأرض بما شئت تعطك ؛ فقال : يا أرض خذيهم ، فجعل قارون يقول : يا موسى ارحمنى ، وموسى يقول : يا أرض خذيهم فابتلعتهم الأرض ، ثم خسف بهم وبدار قارون .

ولما أهلك الله تعالى فرعون وجنوده قصد موسى [المسير] ببنى إسرائيل إلى مدينة الجبارين وهى أريحا ؛ فقالت بنو إسرائيل : يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، يا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . فغضب موسى ودعا عليهم ؛ فقال : رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ؛ فقال الله تعالى فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ؛ فبقوا فى التيه ، فأنزل الله عليهم المن والسلوى ، ثم أوحى الله تعالى إلى موسى أنى متوف هارون ، فأت به إلى جبل كذا وكذا ؛ فانطلقا نحوه فإذا هما بسرير فناما عليه ، وأخذ هارون الموت ورُفع إلى السماء ؛ ورجع موسى إلى بنى إسرائيل ، فقالوا له أنت قتلت هارون لحبنا إياه ، قال موسى : ويحكم أفترونى أقتل أخى ؛ فلما أكثروا عليه سأل الله فأنزل السرير وعليه هارون ، وقال لهم إنى مت ولم يقتلنى موسى . ثم توفى موسى ، واختلف فى صورة وفاته ؛ قيل كان هو ويوشع يتمشيان فظهرت غمامة سوداء فخافها يوشع واعتنق موسى ، فانسل موسى من قماشه وبقى يوشع معتنقاً الثياب وعدم موسى ، وأتى يوشع بالقماش إلى بنى إسرائيل فقالوا أنت قتلت موسى ووكلوا به ، فسأل يوشع الله تعالى أن يبين براءته فرأى كل رجل كان موكلاً عليه فى منامه أن يوشع لم يقتل موسى فإنا رفعناه إلينا وتركوه ؛ وقيل بل تنبأ يوشع وأوحى الله تعالى [ق ١٠ / ب]

إليه وبقى موسى يسأله فلم يخبره فعظم ذلك على موسى وسأل الله الموت فمات ؛ وقيل غير ذلك . وكان وفاة موسى فى التيه فى سابع آزار لمضى ألف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان فى أيام منوجهر الملك .

وكان موت موسى بعد هارون أخيه بأحد عشر شهراً ، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين ، وكان مولد موسى لمضى أربعمائة وخمس وعشرين سنة من مولد إبراهيم ، وكان بين وفاة إبراهيم ومولد موسى مائتان وخمسون سنة ، وولد موسى لمضى ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان ، وكان عمره لما خرج ببنى إسرائيل من مصر ثمانين سنة وأقام فى التيه أربعين سنة ، فيكون عمر موسى مائة وعشرين سنة . وأما بنو إسرائيل ، فكانوا قبل أن يخرجهم موسى تحت حكم فراعنة مصر رعية لهم ، وكانوا على بقايا من دينهم الذى شرعه يعقوب ويوسف عليهما السلام ؛ وكان أول قدومهم إلى مصر لمضى تسع وثلاثين سنة من عمر يوسف ؛ فأقاموا فى مصر بقية عمر يوسف وهو إحدى وسبعون سنة لأن عمر يوسف كان مائة وعشر سنين فإذا أنقصنا منها تسعًا وثلاثين سنة بقى إحدى وسبعون سنة ؛ وأقاموا أيضا مدة ما كان بين وفاة يوسف ومولد موسى وهو أربع وستون سنة ؛ وأقاموا أيضاً ثمانين سنة من عمر موسى [خرج بهم] ؛ فيكون جملة مقام بنى إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى مائتين وخمس عشرة سنة .

ذكر حكام [بنى إسرائيل] ثم ملوكهم

لما مات موسى عليه السلام لم يتول على بنى إسرائيل ملك ، بل كان لهم حكام سدوا مسد [الملوك] ، ولم يزالوا على ذلك حتى قام فيهم طالوت ، فكان أول ملوكهم على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى . وهذا الفصل أعنى حكام بنى إسرائيل وملوكهم قد كثر الغلط فيه لبعد عهده ولكونه باللغة العبرانية فتعسر النطق بألفاظه على الصحة ، ولم أجد فى نسخ التواريخ التى وقعت لى فى هذا الفن ما أعتمد على صحته ، لأن كل نسخة وقعت عليها فى هذا الفن وجدتها تخالف الأخرى إما فى أسماء الحكام وإما فى عددهم وإما فى مدد استيلائهم ، ولليهود الكتب الأربعة والعشرون ، وهى عندهم متواترة قديمة ولم تُعَرَّب إلى الآن ، بل هى باللغة العِبرانية ، فأحضرت منها سِفرى قضاة بنى إسرائيل وملوكها ، وأحضرت إنساناً عارفاً باللغة العبرانية [والعربية] وتركته يقرؤها ، وأحضرت بها ثلاث نسخ ، وكتبت منها ما ظهر عندى صحته ، وضبطت الأسماء بالحروف والحركات حسب الطاقة والله الموفق للصواب .

ذكر يوشع

ولما مات موسى عليه السلام قام بتدبير بنى إسرائيل يوشع بن نون بن اليشاماع بن عميهود بن لقدان بن تاحر بن تالح بن راشف بن رافع بن بريعا بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب ، وأقام ببنى إسرائيل فى التيه ثلاثة أيام ثم ارتحل يوشع ببنى إسرائيل وأتى بهم إلى الشريعة ، وهى النهر الذى بالغور واسمه الأردن فى عاشر نيسان من السنة التى توفى فيها موسى ، فلم يجد للعبور سبيلاً ، فأمر يوشع [ق ١١ / أ] حاملى صندوق الشهادة الذى فيه الألواح بأن ينزلوا إلى حافة الشريعة ، فوقفت الشريعة حتى انكشف أرضها ، وعبر بنو إسرائيل ، ثم بعد ذلك عادت الشريعة إلى ما كانت عليه ، ونزل يوشع ببنى إسرائيل على أريحا محاصراً لها ، وصار فى كل يوم يدور حولها مرة واحدة ، وفى اليوم السابع أمر بنى إسرائيل أن يطوفوا حول أريحا سبع مرات وأن يصوتوا بالقرون ، فعندما فعلوا ذلك هبطت الأسوار ورسخت وتساوت الخنادق بها ، ودخل بنو إسرائيل أريحا بالسيف وقتلوا أهلها ، وبعد فراغه من أريحا سار إلى نابلس إلى المكان الذى بيع فيه يوسف ، فدفن عظام يوسف هناك ، وكان موسى قد استخرج يوسف من نيل مصر ، واستصحبه معه إلى التيه فبقى معهم أربعين سنة وتسلمه يوشع ، فلما فرغ من أريحا سار به ودفنه هناك وملك يوشع الشام ، وفرق عماله فيه واستمر يوشع يدبر بنى إسرائيل نحو ثمان وعشرين سنة ، ثم توفى يوشع ، ودفن فى كفر حارس وله من العمر مائة وعشر سنين .

ورأيت فى تاريخ ابن سعيد المغربى أن يوشع مدفون بالمعرة ، فلا أعلم هل نقل ذلك أم أثبته على ما هو مشهور الآن . أقول كانت وفاة يوشع سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى .

(فينحاس)*

وبعد وفاة يوشع قام بتدبيرهم فينحاس بن العزر بن هارون بن عمران ، وكالات بن تيوفنا؛ وكان فينحاس هو الإمام ؛ وكان كالات يحكم بينهم ، وكان أمرهما فى بنى إسرائيل ضعيفا . ودام بنو إسرائيل على ذلك سبع عشرة سنة ؛ ثم طغوا وعصوا الله ؛ فسلط الله عليهم كوشان ملك الجزيرة ؛ قيل إنها جزيرة قبرس ، وقيل بل كان كوشان المذكور ملك الأرمن ، وكان من ولد العيص بن إسحاق ؛ فاستولى على بنى إسرائيل واستعبدهم ثمان سنين ، فاستغاثوا [إلى] الله تعالى . وكان لكالات أخ من أمه يُقال له عثنيال بن قناز ، فأقام كالات

(*) العنوان من عندنا .

المذكور أخاه عثنيال على بنى إسرائيل . أقول فكا [ن] خلا [ص بنى] إسرائيل من كوشان المذكور فى سنة اثنتين وخمسين لوفاة موسى عليه السلام ؛ لأن كوشان حكم عليهم [ثمان] سنين ، وفينحاس بفاء [مشربة بباء موحدة] ثم ياء مثناة من تحتها ممالة ثم نون ساكنة ثم حاء مهملة ثم ألف ممالة وسين مهملة .

(عِثْنِيَال)*

ثم قام فيهم بعد استيلاء كوشان ، عثنيال بن قناز من سبط يهوذا ، وأزال ما كان على بنى إسرائيل لصاحب الجزيرة من القطيعة وأصلح حال بنى إسرائيل ، وكان عثنيال رجلاً صالحاً واستمر يدبر أمر بنى إسرائيل أربعين سنة ، وتوفى ؛ أقول فيكون وفاته فى أواخر سنة اثنتين وتسعين لوفاة موسى . عِثْنِيال بعين مهملة وثاء مثلثة ساكنة ونون مكسورة وياء مثناة من تحتها مهموزة وألف ولام .

(عَغْلُون)*

ثم من بعد وفاة عِثْنِيَال أكثر بنو إسرائيل المعاصى وعبدوا الأصنام ، فسلط الله عليهم عَغْلُون ملك ماب من ولد لوط ، واستعبد بنى إسرائيل ، فاستغاثت بنو إسرائيل إلى الله أن ينقذهم من عغلون [ق ١١ / ب] المذكور ، واستمر بنو إسرائيل تحت مضايقة عغلون ثمانى عشرة سنة ، فيكون خلاصهم منه فى أواخر سنة عشر ومائة لوفاة موسى . عغلون بفتح العين المهملة وسكون الغين المعجمة وضم اللام وسكون الواو ثم نون .

(أَهُوْذ)*

ثم أقام الله لبنى إسرائيل أهوذ من سبط بنيامين ، وكف أهوذ عنهم [أذية عغلون ومضايقته وأقام أهوذ يدبرهم ثمانين سنة فيكون وفاة أهوذ] فى أواخر سنة تسعين ومائة لوفاة موسى . أَهُوْذ بفتح الهمزة وضم الهاء [وسكون الواو] ثم ذال معجمة .

(شَمْكَارْ)*

ولما مات أهُوْذ قام بتدبيرهم بعده شمكار بن عنوث دون سنة ، أقول فيكون ولاية شمكار ووفاته فى سنة إحدى وتسعين ومائة لوفاة موسى عليه السلام . شمكار بفتح الشين المثلثة وسكون الميم وكاف وألف وراء مهملة .

(يابين)

ثم طغى بنو إسرائيل فأسلمهم الله تعالى فى يد بعض ملوك الشام واسمه يابين ، فاستعبدهم عشرين سنة حتى خلصوا منه ، فيكون خلاصهم من يابين المذكور فى أواخر سنة إحدى عشرة ومائتين لوفاة موسى .

(باراق)

ثم قام فيهم رجلٌ من سبط نفتالى يقال له باراق بن أبى نعم وامرأة يقال لها دبوار ، فقهرا يابين ودبرا أمور بنى إسرائيل أربعين سنة ، أقول فيكون انقضاء مدتهما فى أواخر سنة إحدى وخمسين ومائتين لوفاة موسى عليه السلام . باراق بباء موحدة من تحتها وألف وراء مهملة وألف وقاف .

(كَذْعُون)

ثم إن بنى إسرائيل أخطئوا وارتكبوا المعاصى بغير مدبر لهم من بنى إسرائيل مدة سبع سنين ، واستولى عليهم أعداؤهم من أهل مدين فى تلك المدة ، أقول فيكون آخر مدة هذه الفترة فى أواخر سنة ثمان وخمسين ومائتين من وفاة موسى عليه السلام ، فاستغاثوا إلى الله تعالى ، فأقام فيهم كذعون بن يواش ، فقتل أعداءهم وأقام منار دينهم واستمر فيهم كذلك أربعين سنة ، أقول فيكون وفاته فى أواخر [سنة] ثمان وتسعين ومائتين لوفاة موسى . كذعون بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة وضم العين المهملة وواو ونون .

(إبيمالخ)

ثم قام فيهم بعد كذعون ابنه إبيمالخ ثلاث سنين ، فيكون وفاته فى أواخر سنة إحدى

(*) هذا العنوان وغيره من العناوين المماثلة من عندنا إلى ص ٤٦ .

وثلثمائة لوفاة موسى عليه السلام . إبيمالخ بهمزة وباء موحدة من تحتها ، ثم ياء مثناة من تحتها وميم وألف ولام وخاء معجمة .

(يؤإير)

ثم قام فيهم بعد إبيمالخ المذكور رجل من سبط يشسوخر يُقال له يؤاإير الجرَشِيّ اثنين وعشرين سنة ، فيكون وفاته لمضى ثلثمائة وثلاث وعشرين سنة من وفاة موسى . يُؤَاإير بضم الياء المثناة من تحتها ، وهمزة مفتوحة ثم ألف ثم همزة مكسورة وياء مثناة من تحتها وراء مهملة .

(يُفْتح الجُرَشِيّ)

ثم إن بنى إسرائيل أخطئوا وارتكبوا المعاصى ، فسلط الله تعالى عليهم بنى عمون ، وهم من ولد لوط ، وكان ملك بنى عمون إذ ذاك يقال له أمونيطو ، فاستولى على بنى إسرائيل ثمانى عشرة سنة حتى خلصوا منه فيكون انقضاء مدته فى أواخر [ق ١٢ / أ] سنة إحدى وأربعين وثلثمائة لوفاة موسى [عليه السلام] . ثم استغاث بنو إسرائيل إلى الله تعالى ، فأقام [فيهم] رجلاً اسمه يُفْتَح الجرشى من سبط منشا فكفاهم شر بنى عمون وقتل من بنى عمون خلقاً كثيراً ودبرهم ست سنين ، فتكون وفاته فى أواخر سنة ثلثمائة وسبع وأربعين . يُفتح بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الفاء وضم التاء المثناة من فوق وحاء مهملة .

(أَبْصُن)

ثم قام فيهم من بعد يُفتح رجل من سبط يهوذا اسمه أبصن سبع سنين ، فيكون وفاته فى أواخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة لوفاة موسى عليه السلام . أَبْصُن بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة من تحتها وضم الصاد المهملة ثم نون .

(آلُون)

ثم دبرهم بعد أبصن رجل اسمه آلون - من سبط زبولون - عشر سنين ، فيكون وفاته فى سنة أربع وستين وثلثمائة لوفاة موسى عليه السلام ، آلُون بهمزة ممدودة مماله وضم اللام ، ثم واو ونون .

(عَبْدون)

ثم دبرهم بعد آلون رجل اسمه عبدون بن هلال من سبط إفرايم بن يوسف ثمان سنين ، فيكون وفاته فى أواخر سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة لوفاة موسى عليه السلام ، عبدون بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وضم الدال المهملة ، ثم واو ونون .

(شَمْشُون)

ثم أخطئوا وعملوا المعاصى ، فسلط الله عليهم أهل فلسطين واستولوا عليهم أربعين سنة ، فيكون آخر استيلاء أهل فلسطين عليهم فى أواخر [سنة] اثنتى عشرة وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام ، فاستغاثوا إلى الله عز وجل ، فأقام فيهم رجلاً اسمه شمشون بن ما نوح من سبط دان . وكان لشمشون المذكور قوة عظيمة ويعرف بشمشون الجبار ، فدافع أهل فلسطين ودبر بنى إسرائيل عشرين سنة ، ثم غلبه أهل فلسطين وأسروه ودخلوا به إلى كنيستهم ، وكانت مُركبة على أعمدة ، فأمسك العواميد وحركها بقوة حتى وقعت الكنيسة فقتلته وقتلت من كان فيها من أهل فلسطين ، وكان منهم جماعة من كبارهم ، فيكون انقضاء مدة تدبير شمشون المذكور لهم فى أواخر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة لوفاة موسى . شمشون بفتح الشين المعجمة وسكون الميم ثم شين معجمة مضمومة ثم واو ونون .

(عالى الكاهن)

تم [كانت فترة] وصار بنو إسرائيل بغير مدبر منهم عشر سنين ، فيكون انقضاء مدة الفترة فى أواخر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام ، ثم قام فيهم رجل من ولد ايثامور بن هارون بن عمرانٍ اسمه عالى الكاهن ، وأصل الكاهن فى لغتهم كُوهن ومعناه الإمام ، وكان عالى المذكور رجلاً صالحاً ، فدبر بنى إسرائيل أربعين سنة وكان عمره لما ولى ثمانيا وخمسين سنة ، فيكون مدة عمره ثمانيا وتسعين سنة . وفى أول سنة من ولايته ولد شمويل النبى بقرية على باب القدس يقال لها شيلو . وفى السنة الثالثة والعشرين من ولاية عالى المذكور ولد داود النبى عليه السلام [ق ١٢ / ب] فيكون وفاة عالى المذكور فى أواخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة لوفاة موسى . عالى بعين مهملة على وزن فاعل .

(شمويل)

ثم دبر بنى إسرائيل شمويل النبى ، وكان قد [تنبأ] لما صار له من العمر أربعون سنة ، وذلك عند وفاة عالى ، فدبر شمويل بنى إسرائيل إحدى عشرة سنة ، ومنتهى هذه الإحدى عشرة آخر سنى حكام بنى إسرائيل وقضاتهم ، فإن جميع من ذكر من حكام بنى إسرائيل كانوا بمنزلة القضاة وسدوا مسد ملوكهم ، وبعهد الإحدى عشرة سنة التى دبرهم شمويل المذكور [فيها] قام لبنى إسرائيل ملوك على ما سنذكره إن شاء الله تعالى . فيكون انقضاء سنى حكامهم فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى .

(شاول)

ثم حضر بنو إسرائيل إلى شمويل وسألوه أن يقيم فيهم ملكًا ، فأقام فيهم شاول وهو طالوت بن قيش من سبط بنيامين ولم يكن طالوت من أعيانهم ، قيل إنه كان راعياً ، وقيل سقاء ، وقيل دباغاً ، فملك طالوت سنتين ، واقتتل هو وجالوت ، وكان جالوت من جبابرة الكنعانيين ، وكان ملكه بجهات فلسطين ، وكان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم ، فلما برز للقتال لم يقدر على مبارزته أحد ، فذكر شمويل علامة الشخص الذى يقتل جالوت ، فاعتبر طالوت جميع عسكره ، فلم يكن فيهم من توافقه تلك العلامة ، وكان داود عليه السلام أصغر بنى أبيه وكان يرعى غنم أبيه وإخوته فطلبه طالوت واعتبره شمويل بالعلامة وهى دهن كان يستدير على رأس من يكون فيه السر ، وأحضر أيضًا تنور حديد ، وقال الشخص الذى يقتل جالوت يكون ملء هذا التنور ، فلما اعتبر داود ملء [التنور] واستدار الدهن على رأسه ، ولما تحقق ذلك بالعلامة أمره طالوت بمبارزة جالوت فبارزه وقتل داود جالوت ، وكان عمر داود إذ ذاك ثلاثين سنة .

ثم بعد ذلك مات شمويل فدفنته بنو إسرائيل فى الليل وناحوا عليه ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة ، وأحب الناس داود ومالوا إليه فحسده طالوت وقصد قتله مرة بعد أخرى ، فهرب داود منه وبقى متحرزاً على نفسه . وفى آخر الحال أن طالوت ندم على ما كان منه من قصد قتل داود وغير ذلك مما وقع منه ، وقصد أن يكفر الله تعالى [عنه] ذنوبه بموته فى الغزاة فقصد الفلسطينيين وقتلهم حتى قتل هو وأولاده فى الغزاة ، فيكون موت طالوت فى أواخر سنة خمس وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى .

(إيش بوشت)

ولما قتل طالوت افترقت الأسباط ، فملك على أحد عشر سبطاً إيش بوشت بن طالوت ، واستمر إيش بوشت ملكاً على الأسباط المذكورين ثلاث سنين .

(داود)

وانفرد عن إيش بوشت [سبط] يهوذا فقط ، وملك عليهم داود بن [بيشار] بن عوفيد بن يُعَز بن [سلمون] بن نحشون [بن] عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام . وحزن داود على طالوت ، ولعن موضع مصرعه ، وكان مقام داود بحبرون ، فلما استوثق له الملك ، ودخلت جميع الأسباط تحت طاعته وذلك فى سنة ثمان وثلاثين من عمر داود ، انتقل إلى القدس ، ثم إن داود فتح فى الشام فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وبلد عمان وماب وحلب ونصيبين [ق ١٣٠/ أ] وبلاد الأرمن وغير ذلك ، ولما أوقع داود بصاحب حلب وعسكره ، وكان صاحب حماة إذ ذاك اسمه ثاعو ، وكان بينه وبين صاحب حلب عداوة ، فأرسل صاحب حماه ثاعو المذكور وزيره بالسلام والدعاء إلى داود ، وأرسل معه هدايا كثيرة فرحاً بقتل صاحب حلب .

ولما صار لداود ثمان وخمسون سنة وهى السنة الثامنة والعشرون من ملكه ، كانت قصته مع أوريا وزوجته وهى واقعة مشهورة ، وفى سنة ستين من عمر داود خرج عليه ابنه ابشولوم بن داود ، فقتله بعض قواد بنى إسرائيل وملك داود أربعين سنة . ولما صار لداود سبعون سنة توفى . فيكون وفاة داود فى أواخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى ، وأوصى داود قبل موته بالملك إلى سليمان ولده ، وأوصاه بعمارة بيت المقدس ، وعين لذلك عدة بيوت أموال تحتوى على جمل كثيرة من الذهب .

(سليمان)

فلما مات داود ملك سليمان وعمره اثنتا عشرة سنة ، وآتاه الله من الحكمة والملك مالم يؤته لأحد سواه على ما أخبر الله عز وجل به فى محكم كتابه العزيز ، وفى السنة الرابعة من ملكه فى شهر آيار وهى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى ابتدأ سليمان عليه السلام فى عمارة بيت المقدس حسبما تقدمت [به] وصية أبيه إليه ، وأقام سليمان فى عمارة بيت المقدس سبع

سنين ، وفرغ منه فى السنة الحادية عشرة من ملكه ، فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس فى أواخر سنة ست وأربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ، وكان ارتفاع البيت الذى غمره سليمان ثلاثين ذراعًا وطوله ستون ذراعًا فى عرض عشرين ذراعاً ، وعمل خارج البيت سورًا محيطًا به امتداده خمسمائة ذراع فى خمسمائة ذراع . ثم بعد ذلك شرع سليمان فى بناء دار مملكة بالقدس واجتهد فى عمارتها وتشييدها ، وفرغ منها فى مدة ثلاث عشرة سنة ، وانتهت عمارتها فى السنة الرابعة والعشرين من ملكه ، وفى السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن ومن معها ، وأطاعه جميع ملوك الأرض ، وحملوا إليه نفائس أموالهم ، واستمر سليمان على ذلك حتى توفى وعمره اثنتان وخمسون سنة فيكون [مدة ملكه أربعين سنة] ، فيكون وفاة سليمان عليه السلام فى أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى .

(رحُبْعُم)

ولما توفى سليمان ملك بعده ابنه رحبعم ، وكان رحبعم المذكور ردىء الشكل شنيع المنظر ، فلما تولى حضر إليه كبراء بنى إسرائيل وقالوا له : إن أباك سليمان كان ثقيل الوطأة علينا وحملنا أموراً صعبة ، فإن أنت خففت الوطأة علينا وأزلت عنا ما كان أبوك قد قرره علينا سمعنا لك وأطعناك ، فأخر رحبعم جوابهم إلى ثلاثة أيام [ق ١٣ / ب] ، واستشار كبراء دولة أبيه فى جوابهم ، فأشاروا بتطييب قلوبهم وإزالة ما يشكونه ، ثم إن رحبعم استشار الأحداث ومن لم يكن له معرفة ، فأشاروا بإظهار الصلابة والتشديد على بنى إسرائيل لئلا يحصل لهم الطمع ، فلما حضروا إلى رحبعم ليسمعوا جوابه ، قال [لهم] أنا خنصرى أغلظ من ظهر أبى ومهما كنتم تخشونه من أبى ، فإننى أعاقبكم بأشد منه ، فعند ذلك خرج عن طاعته عشرة أسباط ، ولم يبق مع رحبعم غير سبطى يهوذا وبنيامين فقط . ومَلَّكَ على الأسباط العشرة رجل من عبيد أبيه سليمان اسمه يربعم ، وكان يربعم المذكور فاسقاً كافراً ، وافترقت حينئذ مملكة بنى إسرائيل ، واستقر لولد داود الملك على السبطين فقط ، أعنى سبطى يهوذا وبنيامين ، وصار للأسباط العشرة ملوك تعرف بملوك الأسباط ، واستمر الحال على ذلك نحو مائتين وإحدى وستين سنة .

وكانت (منزلة) ولد سليمان فى بنى إسرائيل بمنزلة الخلفاء للإسلام ، لأنهم أهل الولاية ، وكانت [ملوك] الأسباط مثل ملوك الأطراف والخوارج ، وارتحلت الأسباط إلى جهات فلسطين وغيرها بالشام ، واستقر ولد داود ببيت المقدس .

ونحن نقدم ذكر بنى داود إلى حيث اجتمعت لهم المملكة على جميع الأسباط ، ثم بعد ذلك نذكر ملوك الأسباط متتابعين إن شاء الله تعالى فنقول :

واستمر رحبعم ملكاً على السبطين حسبما شرح حتى دخلت السنة الخامسة من ملكه فيها غزاه فرعون مصر واسمه شيشاق ونهب مال رحبعم المخلف عن سليمان ، واستمر رحبعم على ما استقر له من الملك ، وزاد فى عمارة بيت لحم وعمارة غزة وصور وغير ذلك من البلاد ، وكذلك عَمر أيلة [وجددها] وولد لرحبعم ثمانية وعشرون ذكراً غير البنات ، وملك رحبعم سبع عشرة سنة ، وكانت مدة عمره إحدى وأربعين سنة ، أقول فيكون وفاة رحبعم فى أواخر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ، ورحُبْعُم براء مهملة لم أتحقق حركتها ، وضم الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وضم العين المهملة ، ثم ميم .

(أَفِيّا)

ولما توفى رحُبْعُم ملك بعده وعلى قاعدته ابنه أَفِيًّا ثلاث سنين ، فيكون وفاة أَفِيًّا فى أواخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة لوفاة موسى ، وأفيا بفتح الهمزة وكسر الفاء التى هى بين الفاء والذال على مقتضى اللغة العبرانية [كذا ؟] وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف .

(أُسَا)

ولما توفى أَفِيًّا ملك بعده ابنه أُسَا إحدى وأربعين سنة ، وخرج على أُسَاعدو فهزم الله العدو بين يدى أُسَا ، وقيل إن العدو كان من الحبشة ، وقيل من الهنود ، أقول فكانت وفاة أُسَا فى أواخر سنة ست وثلاثين وستمائة لوفاة موسى . وأُسا بضم الهمزة وفتح السين المهملة ثم ألف .

(يَهُوْشَافاط)

ثم ملك بعد أُسَا ابنه [ق ١٤ / أ] يَهُوْشَافاط خمسًا وعشرين سنة ، وكان عمر يَهُوْشَافاط لما ملك خمسًا وثلاثين سنة ، وكان يَهُوْشَافاط رجلًا صالحًا كثير العناية بعلماء بنى إسرائيل . وخرج يهوشافاط لقتالهم ، فألقى الله بين أعدائه الفتنة واقتتلوا فيما بينهم حتى انمحقوا وولوا منهزمين ، فجمع يهوشافاط منهم غنائم كثيرة وعاد بها إلى القدس مؤيداً منصوراً ، واستمر فى ملكه خمسًا وعشرين سنة وتوفى ، فيكون وفاته فى أواخر سنة إحدى وستين وستمائة . ويهوشافاط بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ثم فاء وألف وطاء مهملة .

(يَهُوْرام)

ثم ملك بعد يَهُوْشَافاط ابنه يَهُوْرام ، وكان عمر يهورام لما ملك اثنتين وثلاثين سنةً ، وملك ثمان سنين ، فيكون وفاته فى [أواخر] سنة تسع وستين وستمائة ، ويهورام بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وراء مهملة ثم ألف وميم .

(أَحَزْياهو)

ولما مات يَهُوْرام ملك بعده ابنه أَحَزْياهو ، وكان عمره لما ملك اثنتين وأربعين سنة ، وملك سنتين ، فيكون وفاته فى أواخر سنة إحدى وتسعين وستمائة . وأحزياهو بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة ثم مثناة من تحتها ثم ألف وهاء وواو .

(عثلياهو)

ثم كان بعد أحزياهو فترة بغير ملك ، وحكمت فى الفترة المذكورة امرأة مسحورة أصلها من جوارى سليمان عليه السلام واسمها عثلياهو ، وتتبعت بنى داود ، فأفنتهم وسلم منها طفل أخفوه عنها ، وكان اسم الطفل يُؤاش بن أحزيو ، واستولت عثلياهو كذلك تسع سنين ، فيكون آخر الفترة . وعدمت عثلياهو فى أواخر سنة ثمان وسبعين وستمائة لوفاة موسى عليه السلام .

(يُؤاش)

ثم ملك بعد عثلياهو يؤاش وهو ابن سبع سنين ، وفى السنة الثالثة والعشرين من ملكه رمم بيت المقدس وجدد عمارته ، وملك يؤاش أربعين سنة ، فيكون وفاته فى أواخر سنة ثمانى عشرة وسبعمائة لوفاة موسى . ويُؤاش بضم المثناة من تحتها ثم همزة وألف وشين معجمة .

(أَمَضْياهو)

تم ملك بعد يؤاش ابنه أَمَضْياهو ، وكان عمره لما ملك خمسا وعشرين سنة ، وملك تسعًا وعشرين سنة ، وقيل خمس عشرة ، وقتل ؛ فيكون موته فى أواخر سنة سبع وأربعين وسبعمائة لوفاة موسى عليه السلام ، وأمضياهو بفتح الهمزة وفتح الميم وسكون الضاد المهملة ومثناة من تحتها وألف وهاء وواو .

(عُزَّيَاهو)

ثم ملك بعده عُزَّيَاهو ، وكان عمره لما ملك ست عشرة سنة ، وملك اثنتين وخمسين سنة ولحقه البرص وتنغصت عليه أيامه وضعف أمره فى آخر وقت وتغلب عليه ولده يُوْثَم ، فيكون وفاة عُزَّيَاهو فى أواخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة لوفاة موسى ، وعُزَّياهو بضم العين المهملة وتسديد الزاى المعجمة ثم مثناة من تحتها وألف وهاء وواو .

(يُوْثَم)

ثم ملك بعد عُزَّياهو ابنه يُوْثَم وكان عمر [ق ١٤ / ب] يوثم لما ملك خمسًا وعشرين سنة ، وملك ست عشرة سنة فيكون وفاته فى سنة خمس عشرة وثمانمائة لوفاة موسى ، ويُوْثَم بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الثاء المثلثة ثم ميم ، وقيل إن فى أيامه كان يونس النبى عليه السلام على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

(آحز)

ولما توفى يُوْثَم ملك بعده ابنه آحز ، وكان عمر آحز لما ملك عشرين سنة ، وملك ست عشرة سنة . وفى السنة الرابعة من ملكه قصده ملك دمشق واسمه رصين ، وكان أشعيا النبى فى أيام آحز ، فبشر آحز أن الله تعالى يصرف رصين بغير حرب ، فكان كذلك ، فيكون وفاة آحز فى أواخر سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة . وآحز بهمزة ممدودة ممالة وحاء مهملة ممالة أيضاً ثم زاى معجمة .

(حزقيا)

ولما توفى آحز المذكور ملك بعده ابنه حزقيا ، وكان رجلاً صالحاً مظفراً ، ولما دخلت السنة السادسة من ملكه انقرضت دولة دولة الخوارج ملوك الأسباط الذين قدمنا ذكرهم عند ذكر رحبعم بن سليمان .

ونحن نذكرهم الآن مختصراً من أولهم إلى حيث انتهوا فى هذه السنة ، أعنى السنة السادسة من ملك حزقيا . ثم إذا ما فرغنا من ذكرهم نعود إلى ذكر حزقيا ومن ملك بعده فنقول : إن ملوك الأسباط المذكورين خرجوا بعد وفاة سليمان على رَحُبْعُم بن سليمان فى أوائل سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وانقرضوا فى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، فيكون مدة ملكهم مائتين وإحدى

وستين سنة ، وعدتهم سبعة عشر ملكًا وهم : يربعم ؛ ونوذب ؛ ويعشو ؛ وإيلا ، وزمرى ؛ وتبنى ؛ وعمرى ؛ وأحوب ، وأحزيو ، وياهورام ، وياهو ؛ ويهوياحاز ؛ ويؤاش ؛ ويربعم آخر ؛ وبقحيؤ ؛ وياقح ؛ وهوشاع ، وملك المذكورون فى المدة المذكورة أعنى مائتين وإحدى وستين سنة تقريباً . وقد ذكر لكل واحد منهم المدة التى ملك فيها ، وجمعنا تلك المدد ، فلم يطابق ذلك التفصيل هذه الجملة المذكورة ، فأضربنا عن ذكر تفصيل مدة ماملك كل واحد منهم ، وسنذكر شيئاً من أخبارهم فنقول :

أما أولهم : فهو يربعم فكان من عبيد سليمان بن داود ، وكان يربعم المذكور كافراً ، فلما ملك أظهر الكفر وعبادة الأوثان ، وفى السنة الثامنة عشرة من ملك يربعم توفى رحبعم بن سليمان . وأما ثانيهم : يؤذب ، [فهو ابن يربعم المذكور] . [وأما ثالثهم] : يعشو ، فهو ابن أحيا من سبط يشسوخر ، وأما رابعهم : أيلا ، فهو ابن يعشو المذكور ، وكان مقدم جيشه زمرى ، فقتل أيلا وتولى زمرى مكانه . وأما خامسهم : زمرى المذكور أحرق فى قصره . وأما سادسهم : تبنى ، فإنه ولى الملك خمس سنين بشركة عُمَر [ى] . [وأما] سابعهم : عُمَرى ، فإنه بعد موت تبنى استقل بالملك بمفرده ، وعمرى المذكور هو الذى بنى صِبَصْطِيّة وجعلها دار ملكه . وأما ثامنهم : أحوب ، فهو ابن عمرى وقتل فى حرب كانت بينه وبين صاحب دمشق ، وأما تاسعهم : أحزيو ، فهو ابن أحوب المذكور وكان موته بأن سقط من روشن له فمات ، وأما عاشرهم ياهورام فهو أخو أحزيو المذكور ، [ق ١٥ / أ] وكان فى أيامه الغلاء . وأما حادى عشرهم : يا هو فهو ابن نمشى . وأما ثانى عشرهم : يهو ياحاز ، فهو ابن ياهو المذكور ، وأما ثالث عشرهم : يؤاش ، فهو ابن يهوياحاز . وأما رابع عشرهم ، يربعم الثانى ، فهو ابن يؤاش وقوى فى مدة ملكه وارتجع عدة من قرى بنى إسرائيل كانت قد خرجت عنهم من حماة إلى كنسر ، وعلى عهده كان يونس النبى عليه السلام . وأما خامس عشرهم : بقحيؤ ، فإن مدته لم تطل . وأما سادس عشرهم : باقح ، فعلى أيامه حضر ملك الجزيرة وغزا الأسباط المذكورين ، وأخذ منهم جماعة إلى بلده وأجلى بعضهم إلى خراسان .

وأما سابع عشرهم : هوشاع ، فهو ابن أيلا ، ولما تولى أطاع صاحب الجزيرة [واسمه] سلمناصر وقيل فلنصر ، وبقى هوشاع فى طاعته تسع سنين ثم عصاه ، فأرسل صاحب الجزيرة المذكور فلنصر ، وحاصره ثلاث سنين وفتح بلده صبصطية وأجلاه وقومه إلى بلد خراسان وأسكن موضعهم السمرة ، وكان ذلك فى السنة السادسة من ملك حِزْقِيًا فانضم من سلم من الأسباط إلى حِزْقِيًا ودخلوا تحت طاعته ، وملك حِزْقيا تسعًا وعشرين سنة ، وكان عمره لما ملك عشرين سنة وكان من الصلحاء الكبار ، وكان قد فرغ عمره قبل موته بخمس عشرة سنة فزاده الله [تعالى] فى عمره خمس عشرة سنة ، وأمره أن يتزوج وأخبره بذلك نبى كان فى

زمانه . وفى أيام ملك حزقيا قصده سنحاريب ملك الجزيرة فخذله الله تعالى ، ووقعت الفتنة فى عسكره فولى راجعًا ، ثم قتله اثنان من أولاده فى نينوى ؛ وكان أشعيا النبى قد أخبر بنى إسرائيل أن الله تعالى يكفيهم شر سنحاريب بغير قتال ؛ ثم إن ولديه اللذين قتلاه فى نينوى هربا إلى جبال الموصل ثم سارا إلى القدس فآمنا بحزقيا وكان اسمهما آذر مالخ وشراصر ؛ وملك بعد سنحاريب ابنه الآخر واسمه أسرحدون ؛ وعظم بذلك أمر حزقيا وهابته الملوك ، وملك حسبما ذكر تسعًا وعشرين سنة وتوفى ، فيكون وفاة حزقيا فى أواخر سنة ستين وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام ، حِزْقِيًّا بكسر الحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة وكسر القاف وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف .

ثم ملك بعده ابنه مِنَشًّا ، وكان عمره [لما ملك] اثنتى عشرة سنة ، فعصى لما تملك وأظهر العصيان والفسق والطغيان مدة اثنتين وعشرين سنة من ملكه ، وغزاه صاحب الجزيرة ، ثم إن منشا أقلع عما كان منه وتاب إلى الله توبة نصوحاً حتى مات ، وكانت مدة ملكه خمساً وخمسين سنة ، فيكون وفاته فى أواخر سنة تسعمائة وخمس عشرة ؛ منشّا بميم لم يتحقق حركتها ونون مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف .

ثم ملك بعده ابنه آمون سنتين ، فيكون وفاته فى أواخر سنة سبع عشرة وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام ، آمون بهمزة ممالة وميم مضمومة ثم واو ونون .

ثم ملك بعده ابنه يُوشِيًّا ، ولما ملك أظهر الطاعة والعبادة وجدد عمارة بيت المقدس وأصلحه ، وملك يُوشِيًّا المذكور إحدى وثلاثين سنة ، فيكون وفاته فى أواخر سنة ثمان وأربعين ، يُوشِيًّا بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة من تحتها ثم ألف .

ثم ملك بعده ابنه يهوياحوز ، ولما ملك يهوياحوز غزاه فرعون مصر وأظنه فرعون الأعرج ، وأخذ يهوياحوز أسيراً [ق ١٥ / ب] إلى مصر ، فمات بها ، وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر ، فيكون انقضاء مدة ملكه فى السنة المذكورة ، أعنى سنة ثمان وأربعين وتسعمائة أو بعدها بقليل .

ولما أسر يهوياحوز ملك بعده أخوه يهوياقيم ، وفى السنة الرابعة من ملكه تولى بختنصر على بابل وهى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة لوفاة موسى ، وذلك على حكم ما اجتمع لنا من مدد ولايات حكام بنى إسرائيل والفترات التى كانت بينهم ، وأما ما اختاره المؤرخون فقالوا إن من وفاة موسى عليه السلام إلى ابتداء ملك بختنصر تسعمائة وثمانية وسبعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يوماً ، وهو يزيد على ما اجتمع لنا من المدد المذكورة فوق ست وعشرين سنة ، وهو تفاوت قريب ، وكان هذا النقص إنما حصل من إسقاط اليهود كسورات المدد

المذكورة ، فإنه من المستبعد أن يملك الشخص عشرين سنة أو تسع عشرة سنة مثلاً بل لابد من أشهر أو أيام مع ذلك ، فلما ذكروا لكل شخص مدة صحيحة سالمة من الكسر نقصت جملة السنين القدر المذكور أعنى ستاً وعشرين سنة وكسورا .

وحيث انتهينا إلى ولاية بختنصر ، فنؤرخ منه ما بعده إن شاء الله تعالى ، وكان ابتداء ولاية بختنصر فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام ؛ وفى السنة الأولى من ولاية بختنصر سار إلى نينوى ، وهى مدينة قبالة الموصل بينها دجلة ففتحها ، وقتل أهلها وخربها ، وفى السنة الرابعة من ملكه وهى السابعة من ملك يهوياقيم ، سار بختنصر بالجيوش إلى الشام وغزا بنى إسرائيل ، فلم يحاربه يهوياقيم ودخل تحت طاعته ، فأبقاه بختنصر على ملكه ، وبقى يهوياقيم تحت طاعة بختنصر ثلاث سنين ، ثم خرج عن طاعته وعصى عليه ، فأرسل بختنصر وأمسك يهوياقيم ، وأمر بإحضاره إليه ، فمات يهوياقيم فى الطريق من الخوف ، فتكون مدة يهوياقيم نحو إحدى عشرة سنة ، ويكون انقضاء ملك يهوياقيم فى أوائل سنة ثمان لا بتداء ملك بختنصر ، يَهُوْياقيم بفتح المثناة من تحتها وضم الهاء وواو ساكنة وياء مثناة من تحتها وألف وقاف مكسورة وياء مثناة من تحتها ساكنة وميم .

ولما أخذ يهوياقيم المذكور إلى العراق استخلف مكانه ابنه وهو يَخَنْيُو ، فأقام يخنيو موضع أبيه مائة يوم ، ثم أرسل بختنصر من أخذه إلى بابل ، يَخَنْيُو بفتح المثناة من تحتها وفتح الخاء المعجمة وسكون النون وضم المثناة من تحتها ثم واو . ولما أخذ بختنصر يَخَنْيُو إلى العراق أخذ معه أيضًا جماعة من علماء بنى إسرائيل من جملتهم دانيال وحزقيال النبى ، وهو من نسل هارون ، وحال وصول يَخَنْيو سجنه بختنصر ، ولم يبرح مسجوناً حتى مات بختنصر ، ولما أمسك بختنصر يخنيو نَصَّب مكانه على بنى إسرائيل عم يخنيو المذكور وهو صدقيا ، واستمر صدقيا تحت طاعة بختنصر ، وكان أرميا النبى فى أيام صدقيا ، فبقى يعظ صدقيا وبنى إسرائيل ويهددهم ببختنصر وهم لا يلتفتون . وفى السنة السابعة من ملك صدقيا [ق ١٦ / أ] عصى على بختنصر ، فسار بختنصر بالجيوش ونزل على [بارين] ورفنيه وبعث الجيوش مع وزيره واسمه نبو زراذون – بفتح النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاى والراء المهملة وسكون الألف وضم الذال المعجمة وسكون الواو ، وفى آخرها نون – إلى حصار صدقيا بالقدس ، فسار الوزير المذكور بالجيوش وحاصر صدقيا مدة سنتين ونصف أولها عاشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا ، وأخذ بعد حصاره المدة المذكورة القدس بالسيف ، وأخذ صدقيا أسيرًا ، وأخذ معه جملة كثيرة من بنى إسرائيل وأحرق القدس وهدم البيت الذى بناه سليمان وأحرقه وأباد بنى إسرائيل قتلاً وتشريداً ؛ وكان مدة ملك صدقيا نحو إحدى عشرة سنة ، وهو آخر ملوك بنى إسرائيل .

وأما من تولى بعده من بنى إسرائيل بعد إعادة عمارة بيت المقدس على ما سنذكره ، فإنما كان له الرياسة ببيت المقدس حسب ذلك لا غير ؛ فيكون انقضاء ملوك بنى إسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بختنصر سنة عشرين من ولاية بختنصر تقريباً ، وهى السنة التاسعة والتسعون وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام وهى أيضاً سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة [مضت] من عمارة بيت المقدس ، وهى مدة لبثه على العمارة ، واستمر بيت المقدس خرابا سبعين سنة ، ثم عمر على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وإلى هنا انتهى نقلنا من كتب اليهود المعروفة الأربعة والعشرين المشهورة عندهم ، وقربنا فى ضبط هذه الأسماء غاية ما أمكننا ، فإن فيها أحرفاً ليست من حروف العربى ، وفيها إمالات ومدات لا يمكن أن تعلم بغير مشافهة ، لكن ما ذكرناه من الضبط هو أقرب ما يمكن ، فلتعلم ذلك .

من تجارب الأمم لابن مسكويه ، قال : إن بختنصر لما غزا القدس وخربه وأباد بنى إسرائيل هرب من بنى إسرائيل جماعة وأقاموا [بـ] مصر عند فرعون ، فأرسل بختنصر إلى فرعون مصر يطلبهم منه ، وقال : هؤلاء عبيدى وقد هربوا [منى] إليك ، فلم يسلمهم فرعون مصر وقال ليس هم بعبيدك وإنما هم أحرار ، وكان هذا هو السبب لقصد بختنصر غزو مصر ، وهرب منهم جماعة إلى الحجاز وأقاموا مع العرب .

من كتاب أبى عيسى أن بختنصر لما فرغ من خراب القدس وبنى إسرائيل قصد مدينة صور فحاصرها مدة ، وأن أهل صور جعلوا جميع أموالهم فى السفن وأرسلوها فى البحر فسلط الله تعالى على تلك السفن ريحاً فغرقت أموالهم عن آخرها ، وجد بختنصر فى حصارها وحصل لعسكره منهم جراحات كثيرة وقتل ، وما زال على ذلك حتى ملكها بالسيف وقتل صاحب صور لكنه لم يجد فيها من المكاسب ماله صورة . ثم سار بختنصر إلى مصر ، والتقى هو وفرعون الأعرج ، فانتصر بختنصر عليه وقتله وصلبه ، وحاز أموال مصر وذخائرها وسبى من كان بمصر من القبط وغيرهم ، وصارت مصر [ق ١٦ / ب] بعد ذلك خراباً أربعين سنة ، ثم غزا بلاد المغرب وعاد إلى بلاده ببابل ، وسنذكر أخبار بختنصر ووفاته مع ملوك الفرس إن شاء الله [تعالى] .

وأما بيت المقدس ، فإنه عمر بعد لبثه على التخريب سبعين سنة ، وعمره بعض ملوك الفرس ، واسمه عند اليهود كيرش ، وقد اختلف فى كيرش المذكور من هو ، فقيل دارا بن بهمن ، وقيل بل هو بهمن المذكور ، وهو الأصح ، ويشهد لصحة ذلك كتاب أشعيا على ما سنذكر ذلك عند ذكر أزدشير بهمن المذكور مع ملوك الفرس إن شاء الله تعالى . ولما عادت عمارة بيت المقدس تراجعت إليه بنو إسرائيل [من العراق وغيره ، وكانت عمارته فى أول

سنة تسعين لابتداء ولاية بختنصر ، ولما تراجعت بنو إسرائيل إلى القدس كان من جملتهم عزير ، وكان بالعراق وقدم معه من بنى إسرائيل ما يزيد على ألفين من العلماء وغيرهم ؛ وترتب مع عزير فى القدس مائة وعشرون شيخًا من علماء بنى إسرائيل ؛ وكانت التوراة قد عدمت منهم إذذاك فمثلها الله تعالى فى صدر العزير ووضعها لبنى إسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها ، فأحبوه حباً شديداً ، وأصلح العزير أمرهم ، وأقام بينهم على ذلك . ومن كتب اليهود : أن العزير لبث مع بنى إسرائيل فى القدس يدبر أمرهم وأقام فيهم على ذلك حتى توفى بعد مضى أربعين سنة لعمارة بيت المقدس ؛ أقول فيكون وفاة العزير سنة ثلاثين ومائة لابتداء ولاية بختنصر ، واسم العزير بالعبرانية عزرا ، وهو من ولد فنحاس بن العزر بن هارون بن عمران ، ومن كتب اليهود : أن الذى تولى رياسة بنى إسرائيل ببيت المقدس بعد العزير شمعون الصديق ، وهو أيضاً من نسل هارون .

من كتاب أبى عيسى أن بنى إسرائيل لما تراجعوا إلى القدس بعد عمارته صار لهم حكام منهم ، وكانوا تحت حكم ملوك الفرس ، واستمروا كذلك حتى ظهر الإسكندر فى سنة أربعمائة وخمس وثلاثين لولاية بختنصر ، وغلبت اليونان على الفرس ، ودخلت حينئذ بنو إسرائيل تحت حكم اليونان ، وأقام اليونان من بنى إسرائيل ولاة عليهم ، وكان يقال للمتولى عليهم هرذوش وقيل [هيرذوس] ، واستمر بنو إسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثانى ، وتشتت منه بنو إسرائيل على ما سنذكره إن شاء الله تعالى ، ولنرجع إلى ذكر من كان من الأنبياء فى أيام بنى إسرائيل .

ذكر يونس بن متى عليه السلام

ومتى أم يونس [عليه السلام] ، ولم يشتهر نبى بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام ، كذا ذكره ابن الأثير فى الكامل فى ترجمة يونس المذكور ، وقد قيل إنه من بنى إسرائيل ، وقيل إنه من سبط بنيامين ، وقيل إن يونس المذكور كانت بعثته بعد يوثم بن عزياهو أحد ملوك بنى إسرائيل المقدم الذكر ، وكانت وفاة يوثم فى سنة خمس عشرة وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام ، وبعث الله تعالى يونس المذكور فى تلك المدة إلى أهل نينوى وهى قبالة الموصل بينهما دجلة ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فنهاهم وأوعدهم العذاب فى يوم معلوم إن لم يتوبوا ، وضمن ذلك عن ربه عز وجل ، فلما أظلهم العذاب آمنوا ، فكشفه الله عنهم وجاء يونس لذلك اليوم ، ولم ير العذاب حل ولا علم بإيمانهم فذهب مغاضبًا [ق ١٧ / أ] . قال ابن سعيد المغربى : ودخل فى سفينة من سفن دجلة فوقفت السفينة ولم تتحرك ، فقال رايسها : فيكم من له ذنب ، وتساهموا على من يلقون [به] فى البحر ووقعت المساهمة على يونس ، فرموه ، فالتقمه الحوت ، وسار به إلى الأبلة ، وكان من شأنه ما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز .

ذكر أرميا [عليه السلام]

قد تقدم عند ذكر صدقيا أن أرميا كان فى أيامه ، وبقى أرميا يأمر بنى إسرائيل بالتوبة ويتهددهم ببختنصر ، وهم لا يلتفتون إليه ، فلما رأى أنهم لا يرجعون عمّا هُم فيه فارقهم أرميا واختفى حتى غزاهم بختنصر وخرب القدس حسبما تقدم ذكره .

من تاريخ ابن سعيد المغربى : أن الله تعالى أوحى إلى أرميا أنى عامر بيت المقدس فاخرج إليها ، فخرج أرميا وقدم إلى القدس وهى خراب ، فقال فى نفسه سبحان الله أمرنى الله أن أنزل هذه البلدة ، وأخبرنى أنه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها ثم وضع رأسه ، فنام ومعه حماره وسلة فيها طعام ، وكان من قصته ما أخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز فى قوله تعالى : ﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال : أنّى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال : كم لبثت ، قال : لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام ، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف نُنشِزُهَا ثم نكسوها لحماً ، فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾[1] ؛ وقد قيل إن صاحب القصة هو العزير والأصح أنه أرميا .

ذكر نقل التوراة وغيرها من كتب الأنبياء من اللغة العبرانية الى اللغة اليونانية

من « كتاب أبى عيسى » قال : لما ملك الإسكندر وقهر الفرس وعظمت مملكة اليونان ، صار بنو إسرائيل وغيرهم تحت طاعتهم وتولت ملوك اليونان بعد الإسكندر ، وكان يقال لكل واحد بطلميوس على ما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى الفصل الثالث ، ولكن نذكر منهم هاهنا ما تدعو إليه الحاجة إلى ذكره ؛ فنقول : لما مات الإسكندر ملك بعده بطلميوس بن ياغوس عشرين سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس محب أخته ، وهو الذى نقلت له التوراة وغيرها من كتب الأنبياء من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية .

أقول فيكون نقل التوراة بعد عشرين سنة مضت لموت الإسكندر ، قال أبو عيسى : إن بطلميوس الثانى محب أخته المذكور لما تولى وجد جملة من الأسرى منهم نحو ثلاثين ألف نفس

---

(١) البقرة : الآية ٢٥ .

من اليهود فأعتقهم كلهم وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ، ففرح بنو إسرائيل بذلك وأكثروا له من الدعاء والشكر ، وأرسل رسولاً وهدايا إلى بنى إسرائيل المقيمين بالقدس وطلبهم[1] أن يرسلوا إليه عدة من علماء بنى إسرائيل لنقل التوراة وغيرها إلى اللغة اليونانية ، فسارعوا إلى امتثال أمره ، ثم [إن] بنى إسرائيل تزاحموا على الرواح إليه وبقى كل منهم يختار ذلك ، واختلفوا ثم اتفقوا على أن يبعثوا إليه من كل سبط من أسباطهم ستة نفر فبلغ عددهم اثنين وسبعين رجلا ، فلما وصلوا إلى [ق ١٧ / ب] بطلميوس المذكور أحسن قراهم وصيرهم ستاً وثلاثين فرقة وخالف بين أسباطهم وأمرهم فترجموا [له] ستاً وثلاثين نسخة بالتوراة ، وقابل بطلميوس بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف اختلافاً يعتد به ، وفرق بطلميوس النسخ المذكورة فى بلاده ، وبعد فراغهم من الترجمة أكثر لهم الصلات وجهزهم إلى بلادهم وسأله المذكورون فى نسخة من تلك النسخ فأسعفهم بنسخة فأخذها المذكورون وعادوا بها إلى بنى إسرائيل ببيت المقدس ، فنسخة التوراة المنقولة لبطلميوس حينئذ أصح نسخ التوراة وأثبتها ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه النسخة [وإلى النسخة] التى بيد اليهود الآن وإلى نسخة السنامرية فى مقدمة هذا الكتاب ، فأغنى من الإعادة .

ذكر زكريا وابنه يحيى عليهما السلام

من « كتاب ابن سعيد المغربى » : زكريا من ولد سليمان بن داود [عليهما السلام] ، وكان نبيا ذكره الله [تعالى] فى كتابه العزيز ، قال : وكان نجاراً ، وهو الذى كفل مريم أم عيسى ، وكانت مريم بنت عمران بن ما تان من ولد سليمان بن داود ، وكانت أم مريم اسمها حنة ، وكان زكريا مزوجاً أخت حنة واسمها إيساع ، فكانت زوج زكريا خالة مريم ، ولذلك كفل زكريا مريم ، فلما كبرت مريم بنى لها زكريا غرفة فى المسجد وانقطعت مريم فى تلك الغرفة للعبادة ، وكان لا يدخل على مريم غير زكريا فقط ، وأرسل الله تعالى جبريل فبشر زكريا بيحيى مصدقاً بكلمة من الله يعنى عيسى بن مريم ، ثم أرسل الله تعالى جبريل ونفخ فى جيب مريم فحملت[2] بعيسى ، وكانت قد حبلت خالتها إيساع بيحيى ، وولد يحيى قبل المسيح بستة أشهر ، ثم ولدت مريم عيسى ، فلما علمت اليهود أن مريم ولدت من غير بعل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى فى شجرة عظيمة ، فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها ، وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة ، وكان قتله بعد ولادة المسيح ، وكانت ولادة المسيح لمضى ثلثمائة وثلاث سنين للإسكندر ، فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بقليل .

---

(١) ط : طلب منهم .
(٢) ط : فحبلت .

وأما يحيى ابنه نبيء صغيراً ودعا الناس إلى عبادة الله ، ولبس يحيى الشعر واجتهد فى العبادة حتى نحل جسمه ، وكان عيسى بن مريم قد حرم نكاح بنت الأخت ، وكان هرذوس وهو الحاكم على بنى إسرائيل بنت أخ فأراد أن يتزوجها حسبما هو جائز فى دين اليهود ، فنهاه يحيى عن ذلك ، فطلبت أم البنت من هرذوس أن يقتل يحيى ، فلم يجبها إلى ذلك فعاودته وسألته البنت أيضًا وألحتا عليه فأجابها إلى ذلك ، فأمر بيحيى فذبح لديها ، وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة لأن عيسى عليه السلام إنما ابتدأ بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة ولما [أمره] الله تعالى أن يدعو الناس إلى دين النصارى غمسه يحيى فى نهر الأردن ، ولعيسى نحو ثلاثين سنة وخرج من نهر الأردن وابتدأ بالدعوة ، وجميع مالبث المسيح بعد ذلك ثلاث سنين ، فذبح يحيى كان بعد مضى ثلاثين سنة من عمر عيسى وقبل رفعه ، وكان رفع عيسى بعد نبوته بثلاث سنين [ق ١٨ / أ] والنصارى تسمى يحيى المذكور يوحنا المعمدان لأنه[١] عمد المسيح حسبما ذكر .

ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام

أما مريم ، فاسم أمها حنة زوج عمران ، وكانت حنة لا تلد واشتهت الولد ، فدعت بذلك ونذرت إن رزقها الله ولداً جعلته من سدنة بيت المقدس ، فحبلت حنة وهلك زوجها عمران وهى حامل ، فولدت بنتاً وسمتها مريم ومعناه العابدة ، ثم حملتها وأتت بها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار ، وقالت دونكم هذه المنذورة ، فتنافسوا فيها لأنها بنت عمران وكان من أئمتهم ، فقال زكريا : أنا أحق بها لأن خالتها زوجتى ، فأخذها زكريا وضمها إلى إيساع خالتها ، فلما كبرت مريم أفرد لها زكريا غرفة حسبما تقدم ذكره ، وأرسل الله جبريل فنفخ فى مريم ، فحبلت بعيسى وولدته فى بيت لحم – وهى قرية قريبة من القدس – سنة أربع وثلثمائة لغلبة الإسكندر . ولما جاءت مريم بعيسى تحمله قال لها قومها لقد جئت شيئاً فريا ، وأخذوا الحجارة ليرجموها فتكلم عيسى وهو فى المهد معلقاً فى منكبها : ﴿ قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً * وجعلنى مباركاً أينما كنت ﴾[٢] ، فلما سمعوا كلام ابنها تركوها ، ثم إن مريم أخذت عيسى وسارت به إلى مصر ، وسار معها ابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماتان النجار ، وكان يوسف المذكور نجاراً حكيماً ، ويزعم بعضهم أن يوسف المذكور كان قد تزوج [مريم] لكنه لم يقربها ، وهو أول من أنكر حملها ثم علم وتحقق براءتها ، وسار معها إلى مصر وأقاما هناك اثنتى عشرة سنة ، ثم عاد عيسى وأمه إلى الشام ، ونزلا الناصرة وبها سميت

---

(١) ط : لكونه .

(٢) مريم : الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

النصارى ، وأقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة ، فأوحى الله تعالى إليه ، وأرسله إلى الناس .

من « كتاب ابن عيسى » : ولما صار لعيسى ثلاثون سنة صار إلى الأردن ، وهو نهر الغور المسمى بالشريعة ، فاعتمد وابتدأ الدعوة ، وكان يحيى بن زكريا هو الذى عمده ، وكان ذلك لستة أيام خلت من كانون الثانى لمضى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة للإسكندر ، وأظهر عيسى عليه السلام المعجزات وأحيا ميتا يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته ، وجعل من الطين طائراً قيل هو الخفاش ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وكان يمشى على الماء ، وأنزل الله تعالى عليه المائدة ، وأوحى الله إليه الإنجيل .

من « كتاب أبى عيسى المغربى » : وكان عيسى [عليه السلام] يلبس الصوف والشعر ، ويأكل من نبات الأرض ، وربما تقوت من غزل أمه ؛ وكان الحواريون الذين اتبعوه اثنى عشر رجلاً وهم : شمعون الصفا ، وشمعون القنانى ، ويعقوب بن زندى ، ويعقوب بن حلقى ، وقولوس ، ومارقوس ، وأندراوس ، وتمريلا ، ويوحنا ، ولوقا ، وتوما ، ومتى ؛ وهؤلاء الذين سألوه نزول المائدة ، فسأل عيسى ربه عز وجل فأنزل [ق ١٨ / ب] عليه سفرة حمراء مغطاة بمنديل فيها سمكة مشوية وحولها البقول ما خلا الكراث ، وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل ، ومعها خمسة أرغفة على بعضها زيتون وعلى باقيها رمان وتمر ، فأكل منها خلق كثير ولم تنقص ولم يأكل منها ذو عاهة إلا برئ ، وكانت تنزل يوماً وتغيب يوماً أربعين ليلة .

قال ابن سعيد : ولما أعلم الله المسيح أنه خارج من الدنيا جزع من ذلك ، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً ؛ وقال احضرونى الليلة ، فإن لى إليكم حاجة ؛ فلما اجتمعوا بالليل عشاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويمسحها بثيابه ، فتعاظموا ذلك ؛ فقال : من رد على شيئاً مما أصنع فليس منى ، فتركوه حتى فرغ ؛ فقال لهم : إنما فعلت هذا ليكون لكم أسوة فى خدمة بعضكم بعضاً ، وأما حاجتى إليكم فأن تجتهدوا لى فى الدعاء إلى الله أن يؤخر أجلى ؛ فلما أرادوا ذلك ألقى الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا الدعاء ، وجعل المسيح يوقظهم ويؤنبهم فلا يزدادون إلا نوماً وتكاسلاً ، وأعلموه أنهم مغلوبون عن ذلك ؛ فقال المسيح : سبحان الله يذهب بالراعى ويتفرق الغنم ؛ ثم قال لهم : الحق أقول لكم ليكفرن بى أحدكم قبل أن يضيح الديك وليبيعنى أحدكم بدراهم يسيرة ويأكلن ثمنى ، وكانت اليهود ، قد جدت فى طلبه ، فحضر بعض الحواريين إلى هيرذوس الحاكم على اليهود ، وإلى جماعة من اليهود ، وقال ما تجعلون لى إذا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه ، فرفع الله تعالى المسيح إليه ، وألقى شبهه على الذى دلهم عليه .

قال ابن الأثير فى « الكامل » : وقد اختلف العلماء فى موته قبل رفعه ، فقيل رفع ولم يمت ، وقيل بل توفاه الله ثلاث ساعات ، وقيل سبع ساعات ، ثم أحياه وتأول قائل هذا قوله تعالى :

﴿ إنى متوفيك ﴾[1] ولما أمسك اليهود الشخص المشبه به ربطوه وجعلوا يقودونه بحبل ، ويقولون له إنكنت تحيى الموتى ، أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل ، ويبصقون فى وجهه ، ويلقون عليه الشوك ، وصلبوه على الخشب ؛ [فمكث على الخشب] ست ساعات ثم استوهبه يوسف النجار من الحاكم الذى كان على اليهود ، وكان اسمه فيلاطوس ولقبه هرذوس ، ودفنه فى قبر كان يوسف المذكور قد أعده لنفسه . وأنزل الله المسيح من السماء إلى أمه مريم وهى تبكى عليه ، فقال لها إن الله رفعنى إليه ولم يصبنى إلا الخير ، وأمرها ، فجمعت له الحواريين ، فبثهم فى الأرض رسلاً عن الله ، فأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمر الله به ، ثم رفعه الله إليه وتفرق الحواريون حيث أمرهم ، وكان رفع المسيح لمضى ثلثمائة وست وثلاثين سنة من غلبة الإسكندر على دارا .

قال الشَّهْرِستانى : ثم إن أربعة من الحواريين وهم متى ولوقا ومرقس ويوحنا اجتمعوا وجمع كل واحد منهم إنجيلاً ؛ وخاتمة إنجيل متى أن المسيح قال : قال[2] إنى أرسلتكم إلى الأمم كما أرسلنى أبى إليكم فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس ، وكانابين رفع المسيح ومولد النبى ﷺ [ق ١٩ / أ] خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريبا ؛ وكانت ولادة المسيح أيضاً لمضى ثلاث وثلاثين سنة من أول ملك أغسطس ، ولمضى إحدى وعشرين سنة من غلبته على قلوبطرا لأن أغسطس لمضى اثنتى عشرة سنة من ملكه سار من رومية وملك ديار مصر وقتل قلوبطرا ملكة اليونان ، وبعد إحدى وعشرين سنة من غلبته على قلوبطرا ولد المسيح عليه السلام ، وقيل غير ذلك ، ولكن هذا هو الأقوى ، وكانت مدة ملك أغسطس ثلاثاً وأربعين سنة ، وعاش المسيح إلى أن رفع ثلاثاً وثلاثين سنة ، فيكون رفع المسيح بعد موت أغسطس بثلاث وعشرين سنة ، فيكون رفع المسيح فى أواخر السنة الأولى من ملك غانيوس .

(أمة عيسى)

وأما أمة عيسى ، فهم النصارى ، وسيذكرون مع باقى الأمم فى الفصل الخامس [إن شاء الله تعالى] .

وأما مريم أم عيسى ، فإنها عاشت نحو ثلاث وخمسين سنة ، لأنها حملت بالمسيح لما صار لها ثلاث عشرة سنة ، وعاشت معه نحو ثلاث وثلاثين سنة وكسراً ، وبقيت بعد رفعه ست سنين .

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٥٥ .
(٢) سقطت من ط .

ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثانى وهلاك اليهود وزوال دولتهم زوالا لا رجوع بعده

قد تقدم ذكر عمارة سليمان بن داود لبيت المقدس ، وأن سليمان عمره وفرغ منه فى سنة ست وأربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ، ثم ذكرنا غزو بختنصر القدس مرة بعد أخرى حتى خربه وشتت بنى إسرائيل فى البلاد ، وأن ذلك كان لمضى تسع عشرة سنة من ابتداء ملك بختنصر ، وهو لمضى سنة تسعمائة وسبع وتسعين لوفاة موسى عليه السلام ، وأن بيت المقدس استمر خرابًا سبعين سنة ، ثم عمر ؛ فيكون [ابتداء] عمارته الثانية لمضى ألف وسبع وستين سنة أعنى فى سنة ثمان وستين بعد الألف لوفاة موسى ولمضى تسع وثمانين سنة من ابتداء ملك بختنصر ، فتكون عمارته فى سنة تسعين من ملك المذكور ، والذى عمره هو ملك الفرس أزدشير بهمن ، واسم أزدشير بهمن المذكور عند بنى إسرائيل كيرش ، وقيل كورش ، وقيل إن كيرش ملك آخر غير أزدشيربهن ثم تراجعت إليه بنو إسرائيل وصاروا تحت حكم الفرس ، ثم لما غلبت اليونان على الفرس صارت بنو إسرائيل تحت حكمهم ، وكان اليونان يولون من بنى إسرائيل عليهم نائبًا ، وكان لقب كل من يتولى على بنى اسرائيل هرذوس وقيل هيرذوس ، واستمرت بنو إسرائيل كذلك حتى قتلوا زكريا بعد ولادة المسيح حسبما تقدم ذكره .

ثم لما ظهر المسيح ودعا الناس بما أمره الله ، أراد هرذوس قتله ، وكان ا سم هرذوس الذى أراد[1] قتل المسيح فِيلَا طُوسْ فرفع الله عيسى بن مريم إليه ، وكان منه ومنهم ما تقدم ذكره . وكانت ولادة المسيح لإحدى وعشرين سنة مضت من غلبة أغسطس على قلوبطرا ، وكانت مدة ملك أغسطس ثلاثا وأربعين سنة منها قبل ملك مصر اثنتى عشرة سنة ، وبعد ملك مصر احدى وثلاثين سنة ، فيكون عمر المسيح عند موت أغسطس عشر سنين تقريباً ، وجملة ما عاشه المسيح إلى أن رفعه الله ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، فيكون رفعه بعد موت أغسطس [بنحو ثلاث وعشرين سنة] . [والذى ملك بعد أغسطس] طيباريوس ؛ وملك طيباريوس اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملك بعد طيباريوس غانيوس ، فيكون رفع المسيح فى السنة الأولى من ملكه ، وملك أربع سنين . ثم ملك بعده قلوذيوس أربع عشرة سنة . ثم ملك بعده نارون ثلاث عشرة سنة . ثم ملك [بعده] ملك آخر قيل اسمه أوسباسيانوس ، وقيل

---

(١) ط : قصد .

اسفشيثوس عشر سنين ثم ملك بعده طيطوس ؛ وفى [ق ١٩ / ب] السنة الأولى من ملكه قصد بيت المقدس ، وأوقع باليهود وقتلهم وأسرهم عن آخرهم إلا من اختفى ، ونهب القدس وخربه وخرب بيت المقدس وأحرق الهيكل وأحرق كتبهم ، وخلا القدس من بنى إسرائيل كأن لم يغن بالأمس ، ولم تعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم ، وكان ذلك بعد رفع المسيح بنحو أربعين سنة ، لأن بعد رفع المسيح مضى ثلاث سنين من ملك غانيوس وأربع عشرة من قلوديوس وثلاث عشرة من نارون وعشر سنين من أوسباسيانوس وجملة ذلك أربعون سنة ، فيكون خراب بيت المقدس الخراب الثانى وتشتت اليهود [التشتت] الذى لم يعودوا بعده لأربعين سنة مضت من رفع المسيح ولثلاثمائة وست وسبعين سنة مضت من غلبة الإسكندر ، ولثمانمائة وإحدى عشرة [سنة] مضت لابتداء ملك بختنصر ، فيكون لبث بيت المقدس على عمارته الأولى إلى حين خربه بختنصر أربعمائة وثلاثاً وخمسين سنة ، ثم لبث على التخريب سبعين سنة ثم عمر ولبث على عمارته الثانية إلى حين خربه طيطوس التخريب الثانى تسعمائة وإحدى وعشرين سنة ؛ ثم إنى وجدتُ فى كتاب اسمه « العزيزى » تصنيف الحسن بن أحمد المهلبى فى المسالك والممالك أن بيت المقدس بعد أن خربه طيطوس التخريب الثانى حسبما ذكر تراجع إلى العمارة قليلاً قليلاً واعتنى به بعض ملوك الروم وسماه إيليا ومعناه بيت الرب ، [فعمره] ورمم شعثه واستمر عامراً ، وهى عمارته الثالثة حتى سارت هيلانة أم قسطنطين إلى القدس فى طلب خشبة المسيح التى تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها ، ولما وصلت إلى القدس بنت كنيسة قمامة على القبر الذى تزعم النصارى أن عيسى دفن به ، وخربت هيكل بيت المقدس إلى الأرض ، وأمرت أن يلقى فى موضعه قمامات البلد وزبالته ، فصار موضع الصخرة مزبلة ، وبقى الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] ، وفتح القدس فدله بعضهم على موضع الهيكل ، فنظفه عمر من الزبايل وبنى به مسجداً ، وبقى ذلك المسجد إلى أن تولى الوليد بن عبد الملك الأموى فهدم ذلك المسجد وبنى على الأساس القديم المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وبنى هناك قباباً أيضاً سمى بعضها قبة الميزان وبعضها قبة المعراج وبعضها قبة السلسلة والأمر على ذلك إلى يومنا هذا [كذا نقلة العزيزى والعهدة عليه ، أقول : وينبغى أن يخص كلام العزيزى فى خراب هيكل بيت المقدس بالعمارة التى كانت على الصخرة خاصة لأن ذكر صفات المسجد الأقصى جاء فى حديث معراج النبى ﷺ] ، وخلاصة ما ذكر أن هيكل بيت المقدس عمره سليمان بن داود ، وبقى عامراً حتى خربه بختنصر ، وهو لتخريب الأول ثم عمره كورش وهى عمارته الثانية ، وبقى [عامراً] حتى خربه طيطوس لتخريب الثانى ، ثم تراجع العمار قليلاً قليلاً ، وبقى عامراً حتى خربته هيلانة أم قسطنطين بو التخريب الثالث ، ثم عمره عمر بن الخطاب وهى عمارته الرابعة ، ثم خرب ذلك وعمره الوليد بن عبد الملك ، وهى عمارته الخامسة ، وهو على ذلك إلى يومنا هذا .

الفصل الثانى

فى ذكر ملوك الفرس
وهم أربع طبقات

كانت ملوك الفرس من أعظم ملوك الأرض فى قديم الزمان ودولتهم وترتيبهم لا يماثلهم فى ذلك غيرهم ، وهم أربع طبقات :

طبقة أولى : يقال لها الفيشداذية ، لأنه كان يقال لكل واحد منهم فيشداذ ، ومعنى هذه اللفظة أول سيرة العدل ، وعدة الفيشداذية ، وهم : أوشهنج ، وطهورث ، وجمشيذ ، وبيوراسب ، وهو الضحاك ، وأفريذون بن أثفيان ، ومنوجهر ، وفراسياب ، وزو ، وكرشاسف ؛ وهذه الطبقة القديمة ، وقد نقل عن مدد ملكهم وحروبهم أمور يأباها العقل [ق ٢٠ / أ] ويمجها السمع ، فأضربنا عنها لذلك ، وذكرنا ما يقرب إلى الذهن صحته .

وطبقة ثانية : يقال لهم الكيانية ، وهم الذين فى أول أسمائهم لفظة كي ، وهى لفظة للتنزيه[١] ، قيل معناها الروحانى ، وقيل الجبار ، وعدة الكيانية تسعة أيضاً وهم : كيقباذ وكيكاؤش[٢] وكيخسرو وكيلهراسف وكيبشتاسيف[٣] وكى أزدشيربهمن وحمانى بنت أزدشيربهمن ودارا الأول ودارا الثانى وهو الذى قتله الإسكندر واستولى على ملكه .

وطبقة ثالثة : وهم بعض ملوك الطوائف ، ويقال لهذه الطبقة الأشغانية ، وعدتهم أحد عشر وهم أشغابن أشغان ، ويقال أشك بن أشكان ، وسابور بن أشغان ، وجور بن أشغان ، وبيرن الأشغانى . وجوزرز الأشغانى ، وترسى الأشغانى ، وهرمز الأشفانى ، وأردوان الأشغانى ، وخسرو الأشغانى ، وبلاش الأشغانى ، وأردوان الأصغر الأشغانى .

وطبقة رابعة : وهم الأكاسرة ، لأَن كل واحد منهم كان يقال له كسرى ويُقال لهم أيضاً الساسانية نسبة إلى جدهم ساسان ، وملك منهم عدة من النساء بعد الهجرة واستولى عليهم غيرهم من الفرس ، وكان أولهم أزدشير بن بابك وآخرهم يزدجر الذى قتل فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه على ما ستقف على أخبارهم مفصلاً إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا فى ص ، وفى ط : للتنويه .
(٢) ط : كيكاؤس .
(٣) ط : كيشتاسف .

الطبقة الأولى : الفيشداذية

من (تجارب الأمم وعواقب[1] الهمم) لأبى على أحمد بن مسكويه ، قال : أوشهنج أول من رتب الملك ونظم الأعمال ووضع الخراج ، ولقبه فيشداذ وتفسيره أول سيرة العدل ، وكان ملكه بعد الطوفان بمائتى سنة ، كذا ذكره ابن مسكويه . وقال غيره : إن أوشهنج ومن ملك بعده إلى الضحاك كانوا قبل الطوفان وكذا يقول الفرس ، ويزعمون أن ملك ملوكهم لم ينقطع وينكرون الطوفان ولا يعترفون به . رجعنا إلى كلام ابن مسكويه قال : وأوشهنج هو الذى بنى مدينتى بابل والسوس ، وكان فاضلاً محمود السيرة والسياسة ونزل الهند وتنقل فى البلاد وعقد على رأسه التاج وجلس على السرير ثم انقضى ملكه . ولم يشتهر بعده غير طهمورث ، وطهمورث من ولد أوشهنج ، وبينه وبينه عدة آباء ، وسلك سيرة جده وهو أول من كتب بالفارسية وكان على هيئة الديالم ولباسهم وهلك ، ثم ملك بعده جَمْشِيذ بجيم مفتوحة وميم ساكنة وشين مكسورة منقوطة وياء مثناة من تحتها وذال منقوطة وهو أخو طهمورث لأبويه ، وجَمْ هو القمر وشِيذ هو الشعاع أى شعاع القمر ، وكذلك أيضًا يسمون خورشيد أى شعاع الشمس ، لأن خور اسم الشمس ، وجمشيذ المذكور ملك الأقاليم السبعة ، وسلك السيرة الصالحة المتقدمة وزاد عليها ورتب الناس [على طبقات] كالحجاب والكتاب ، وأمر أن يلازم كل واحد طبقته ولا يتعداها وأحدث النيروز وجعله عيداً [يتنعم] الناس فيه .

من (الكامل) لابن الأثير ، ووضع لكل أمر من الأمور خاتمًا مخصوصاً [به] ، فكتب على خاتم الحرب : الرفق والمداراة ، وعلى خاتم الخراج : العدل والعمارة ، وعلى خاتم البريد والرسل : الصدق والأمانة ، وعلى خاتم المظالم : السياسة والانتصاف ، وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الإسلام ، انتهى كلام ابن الأثير .

قال ابن مسكويه : ثم إنه بعد ذلك بدل سيرته الصالحة بأن أظهر التكبر والجبروت على وزرائه وقواده [ق ٢٠ / ب] وآثر اللذات وترك كثيراً من السياسات التى كان يتولاها بنفسه وعلم بيوراسب باستيحاش الناس من جَمْشِيذ وتنكر خواصه عليه فقصده ، وهرب جمشيذ وتبعه بيوراسب حتى ظفر به وقتله بأن نشره بمنشار ، ثم ملك بيوراسب ، وكان يقال له الدهاك ومعناه عشر آفات ، فلما عرب قيل الضحاك ، ولما ملك ظهر منه شر شديد وفجور وملك الأرض كلها وسار فيها بالجور والعسف وبسط يده بالقتل وسن العشور والمكوس ، واتخذ المغنيين والملهيين ، وكان على منكبيه سلعتان يحركهما إذا شاء فادعى أنهما حيتان تهويلاً

---

(١) كذا فى ص والمشهور : « وتعاقب » .

على ضعفاء العقول ؛ وكان يسترهما بثيابه ، ولما اشتد على الناس جوره وظلمه ظهر بأصبهان رجل يقال له كابى ، وكان الضحاك قد قتل له ابنين ، فأخذ كابى المذكور عصا وعلق بطرفها جراباً ، ويقال إنه كان حداداً وأن الذى علقه نطع كان يتوقى به النار ، وصاح فى الناس ودعاهم إلى مجاهدة بيوراسب ، فأجابه خلق كثير واستفحل أمره وبقى ذلك العلم معظماً عند الفرس ورصعوه بالجواهر وسموه أرقش كاسيان[1] ، ولما قوى أمر كابى قصد بيوراسب فهرب منه ، وسأل الناس كابى أن يتملك عليهم ، فأبى لكونه ليس من بيت الملك وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جمشيذ ، وكان أفريذون بن أثفان من أولاد جمشيذ ، وكان مستخفيًا من الضحاك فوافى بجماعته إلى كابى ، فاستبشر الناس به ، وولوه الأمر وصار كابى أحد أعوانه حتى احتوى أفريذون على منازل بيوراسب وأمواله وتبعه وأسره بدياوند وقتله ، وكان النبى إبراهيم الخليل عليه السلام فى أواخر أيام الضحاك ، ولذلك زعم قوم أنه نمروذ ، وأن نمروذ عامل من عماله ، وقد اختلف فى الضحاك المذكور اختلافاً كثيراً ، فيزعم كل من الفرس واليونان والعزب أنه منهم ، والفرس يجعلونه قبل الطوفان لأنهم لا يعترفون بالطوفان . ثم ملك أفريذون بن أثفان وهو من ولد جمشيذ ، وقد قيل إن أفريذون هو ذو القرنين المذكور فى القرآن ، ولما ملك أفريذون سار فى الناس بأحسن سيرة ورد جميع ما اغتصبه الضحاك على أصحابه ، وكان لأفريذون ثلاثة أولاد ، فقسم الأرض بينهم أثلاثاً ، أحدهم : أيرج ، وجعل له العراق والهند والحجاز وجعله صاحب التاج والسرير وفوض إليه الولاية على أخويه ، والثانى : شرم ، وجعل له الروم وديار مصر والمغرب ، والثالث : طوج ، وجعل له الصين والترك والمشرق جميعه ، فلما مات أفريذون وثب طوج وشرم على أيرج فقتلاه وتقسما بلاده وملكا الأرض ، ثم نشأ ابن لأيرج يقال له منوجهر بميم مفتوحة ونون مضمومة وواو ساكنة وجيم مكسورة وهاء ساكنة وراء مهملة ، فحقد المذكور على عميه وجمع العساكر [وتغلب على] ملك أبيه أيرج ، ولما قوى منوجهر المذكور سار نحو الترك وطلب بدم أبيه ، فقتل طوج ثم قتل شرم عميه وأدرك [ثأره] منهما ، ثم نشأ من ولد طوج بن أفريذون المذكور فراسياب بن طوج ، وجمع العسكر وحارب منوجهر بن أيرج وحاصره بطبرستان ، ثم اصطلحا وضرب بينهما حدا لا يتجاوزه واحد منهما ، وهو نهر بلخ . وفى أيام منوجهر ظهر موسى عليه السلام ، وذكروا أن [ق ٢١ / أ] فرعون موسى ، وهو الوليد بن الريان كان عاملاً لمنوجهر ومطيعًا له ، ثم هلك منوجهر فتغلب فراسياب على مملكة فارس ، وأكثر الفساد وخرب البلاد ، [ثم ظهر] زو بن طهماسب وهو من أولاد منوجهر فتسارع الناس إليه وطرد فراسياب عن مملكة فارس حتى رده إلى بلاد الترك [بعد حروب كثيرة ، وسار زو بأحسن

---

(١) ط : « درفش كابيان » .

سيرة حتى عمر وأصلح ما كان خربه فراسياب] واستخرج [للسواد] نهرًا وسماه الزاب وبنى على حافته مدينة ، وكان لزو وزير يقال له كرشاسف من أولاد طوج بن أفريذون ، وقد حكى أنهما اشتركا فى الملك . انتهت الفيشداذية .

ذكر الطبقة الثانية : الكيانية

ولما هلك كرشاسف ملك بعده كيقباذ بن زو وسلك سيرة أبيه فى الخير وعمارة البلاد ، ثم هلك كيقباذ وملك بعده كيكاؤوس بن كينيه بن كيقباذ المذكور ، فتشدد على أعدائه ، وقتل خلقاً من عظماء البلاد ، وولد له ولد نهاية فى الجمال ، وكان يفتن بحسنه وسماه سياوش بسين مهملة مكسورة وياء مثناة من تحتها وألف وواو مكسورة وشين منقوطة ثم إن أباه كيكاؤوس سلمه إلى رستم الشديد الذى كان نائباً على سجستان ومملكتها ، فربى سياوش كما ينبغى وأتى به إلى والده وهو نهاية فى الأدب والفروسية ، ففرح به والده فرحاً عظيماً وولاه مملكته ، وكان لكيكاؤوس زوجة مبدعة فى الحسن ، فهويت سياوش وأعلمته ، فامتنع ولم تزل تراجعه حتى طاوعها فعشقها وعشقته عشقًا مبرحاً ، وفى الآخر علم كيكاؤوس بذلك ، فمنع ولده من دخول داره وضرب الزوجة وحبسها ثم ترضاها وأفرج عنها ، فأرسلت مع بعض الخصيان إلى سياوش تقول إن عاهدتنى أنك تتزوج بى قتلت أباك . فعرف الخصى كيكاؤوس بذلك فأمر بحبسها ومنع سياوش من الدخول إليه ، فسأل سياوش رستماً الذى رباه أن يشفع إلى أبيه أن يرسله إلى حرب فراسياب ملك الترك ، فأرسله مع جيش ، فصالحه فراسياب على ما أراد وأرسل أعلم بذلك أباه كيكاؤوس ، فأنكر عليه ، وقال لابد من الحرب ، ولم يمكن سياوش الغدر بفراسياب ولا الرجوع إلى والده لما ذكر ، فهرب سياوش إلى فراسياب فأكرمه وزوجه ابنته ، ثم إن أولاد فراسياب أغروا والدهم بقتل سياوش وقالوا لا يكون عاقبته عليك خيراً فقتله ، وكانت بنت فراسياب حُبلى منه فأراد أبوها قتلها ثم تركها ، فولدت ابنا وسمع كيكاؤوس بذلك ، فقتل زوجته التى كان هذا الأمر بسببها ، وأرسل قومًا شطارًا فى زى التجار [بالمال] ، وأمرهم بسرقة ابن سياوش وزوجته ، فسرقوهما وأحضروهما ، وكان اسم الولد المذكور كيخسرو [أعنى] ولد سياوش ، ثم إن كيكاؤوس قرر الملك لولد ولده كيخسرو بن المذكور ، [ثم] هلك كيكاؤوس واستمر ولد ولده كيخسرو المذكور فى الملك ، ولما ملك كيخسرو وقوى أمره قصد بجده أبا أمه وهو فراسياب ملك الترك طالباً بثأر أبيه سياوش ، وجرت بينهما حروب كثيرة [ق ٢١ / ب] آخرها أن كيخسرو ظفر بفراسياب وأولاده وعسكره فقتلتهم ونهب أموالهم وبلادهم آخذًا بثأر أبيه سياوش ، ولما أدرك كيخسرو ثأره واستقر فى ملكه تزهد وخرج عن الدنيا ، ولما أصر على ذلك سأله وجوه الدولة فى أن يعين

للملك من يختار ، وكان لهراسف حاضراً ، وكان من مرازبته ، فجعله وصيه ، وأقبل الناس عليه ، وقعد كيخسرو ، وكان مدة ملك كيخسرو ستين سنة .

ثم ملك لهراسف ويقال إنه ابن أخي كيكاؤوس ، فاتخذ سريراً من ذهب مرصعًا بالجوهر ، فكان يجلس عليه ، وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ وسكنها لقتال الترك . وكان فى زمن لهراسف بختنصر ، وجعله لهراسف أصبهذا[1] على العراق والأهواز وعلى الروم من غربى دجلة ، فأتى دمشق وصالحه أهلها وصالحه بنو إسرائيل بالقدس [ثم غدروا به ، فسار إليهم بختنصر راجعًا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس] ، وهرب من سلم منهم إلى مصر ، فأنفذ بختنصر فى طلبهم إلى ملك مصر وقال : هؤلاء عبيدى قد هربوا إليك ، فابعث إلىَّ بهم ، فقال فرعون مصر : إنما هؤلاء أحرار ، وامتنع من تسليمهم إليه ، فسار بختنصر إلى مصر ، وقتل الملك وسبى أهل مصر ، ثم سار المذكور إلى المغرب حتى بلغ أقصاها ، وخرب البلاد وسبى ، ثم عاد إلى فلسطين والأردن ، فسبى وقتل وحضر مع بختنصر من بنى إسرائيل دانيال النبى وغيره من أولاد الأنبياء عليهم السلام وحمل إلى لهراسف من المغرب والشام وبيت المقدس أموالاً عظيمة .

وقد اختلف المؤرخون فى بختنصر ، هل كان ملكاً مستقلاً بنفسه أم كان نائباً للفرس ، والأصح عندالأكثر أنه كان نائباً للهراسف المذكور ، وسار بالجيوش نيابة عنه ، وفتح له البلاد . ثم غزا بختنصر العرب ، وكان فى زمن معد بن عدنان ، فقصده طوائف من العرب مسالمين ، فأحسن إليهم بختنصر وأنزلهم شاطىء الفرات ، وبنوا موضع معسكرهم وسموه الأنبار ، واستمروا كذلك مدة حياة بختنصر . ومما جرى لبختنصر رؤياه التى أريها ، وقد أثبتها اليهود فى كتبهم وكذلك المؤرخون من المسلمين ، قالوا : رأى صنمًا رأسه من ذهب ، وصدره وذراعاه من فضة ، وبطنه وفخذاه من نحاس ، وساقاه وقدماه من حديد ، وأصابع قدميه بعضها من[2] حديد وبعضها خزف ، وإن حجراً انقطعت من جبل من غير يد قاطعة له وصكت الصنم ، فاندق الحديد والنحاس وغيره ، وصار جميع ذلك مثل الغبار ، وألوت به ريح عاصفة ، ثم صارت الحجر التى صكت الصنم جبلاً عظيماً امتلأت منه الأرض كلها . فقال بختنصر : لا أصدق تعبير ما رأيته إلا ممن يخبرنى بما رأيت ، وكتم بختنصر ذلك ، وسأل العلماء والسحرة والكهنة عن ذلك ، فلم يطق أحد أن ينبئه بذلك حتى سأل دانيال ، فخبره دانيال بصورة رؤياه كما رآها بختنصر ولم يخل منها بشىء ، ثم عبرها له دانيال فقال : الرأس ملكك وأنت بين الملوك بمنزلة رأس الصنم الذهب ، والذى يقوم بعدك دونك بمنزلة الفضة من الذهب ، ثم يكون كل متأخر أقل ممن قبله متل ما [ق ٢٢ / أ] النحاس دون الفضة والحديد دون النحاس ،

---

(١) أصبهذا : لفظ أعجمى يراد به الحاكم .

(٢) سقطت من ط .

وأما الأصابع التى بعضها حديد وبعضها خزف ، فإن المملكة تصير آخر الوقت مختلطة مختلفة بعضها قوى وبعضها ضعيف ، ثم إن الله تعالى يقيم بعد [ذلك] مملكة لا تبيد إلى آخر الدهر ، هذا تعبير رؤياك ، فخرّ بختنصر ساجداً لدانيال ، وأمر له بالخلع ، وأن يقرب له القرابين .

وقد اختلف فى مدة ولاية بختنصر ، والذى اختاره أبو عيسى وأثبته أن بختنصر تولى أو ملك سبعًا وخمسين سنة وشهراً وثمانية أيام ، وتفسير بختنصر بالعربية عطارد ، وهو ينطق ، سمى بذلك لتقريبه الحكماء والعلماء وحبه أهل العلم . ولما هلك ولى ملك الفرس بعد بختنصر ابنه أولاق سنة واحدة وقتل ، ثم ولى بعده بلطشاصر سنتين ، وبلطشاصر هو ابن ابن بختنصر ، ثم إنه جلس للشراب ، واحتفل بلطشاصر فى مجلس عمله ، وجمع فيه ألف نفس من أصحابه ، وجعل فيه من آنية الذهب ما يفوق الحصر ، فرأى [على] ضوء الشمع يد إنسان تكتب على الحائط ، فتغير بلطشاصر لذلك واضطرب ذهنه واصطكت ركبتاه ، فدعا دانيال وقال له ما رأى ، فقال دانيال : إنك لما عظمت الذهب والفضة والخشب[1] والحديد وليس فيها ما ينصرك ، ولم تعظم الإله الذى بيده نسمتك وروحك وجميع تصاريف أمورك ، أرسل كفًا كتبت ما معناه أكشف وأعرى أى أن مملكتك كشفت وعريت وجعلت لأهل فارس ، فقتل بلطشاصر فى تلك الليلة وبه انقرضت دولة بنى بختنصر .

ولنرجع إلى سياقة ملك لهراسف ، ثم ملك بعده ابنه كى بشتاسف وهو الذى يزعمون أنه باق فى كنكر[2] . ولما ملك بشتاسف بنى مدينة فَسَا وظهر فى أيامه زَرادُشْت – بزاى منقوطة مفتوحة وراء مهملة وألف ودال مضمومة مهملة وشين منقوطة ساكنة وتاء مثناة من فوقها – ، وهو صاحب كتاب المجوس ، وتوقف بشتاسف عن الدخول فى دينه ثم صدقه ودخل فيه . وجرت بين بشتاسف وبين خرزاسف ملك الترك حروب عظيمة ، قتل بينهما فيها خلق كثير بسبب زَرادُشْت ودخول بشتاسف فى دينه ، انتصر فيها بشتاسف على خرزاسف ملك الترك ، ثم إن بشتاسف تنسك وانقطع للعبادة فى جبل يقال له طمنذر[3] ولقراءة كتاب زرادشت ، ثم فقد . وكان لبشتاسف ولد يقال له إستفنديار هلك فى حياة أبيه وخلف ولدًا يقال له أزدشيربهمن بن اسفنديار بن بشتاسف ، ولما تزهد بشتاسف وفقد ، ملك ابن ابنه أزدشيربهمن المذكور ، وانبسطت يده حتى ملك الأقاليم السبعة .

من كتاب أبى عيسى : وأزدشيربهمن المذكور اسمه بالعبرانية كورش ، ويقال كيرش ، وهو الذى أمر بعمارة بيت المقدس بعد أن خربه بختنصر ، فعمره أزدشير وأمر بنى إسرائيل

---

(١) كذا فى ص ، وفى ط : النحاس وهو الأرجح .
(٢) كذا فى ص ، وط : كندز .
(٣) كذا فى ص ، وفى ط : « طميذر » .

بالرجوع إليه ، ولا دليل على أن أزدشير المذكور هو كورش أقوى من كلام أشعيا النبى عليه السلام ، فإنه يقول فى الفصل الثانى والعشرين من كتابه حكاية عن الله تعالى : أنا القائل لكورش راعى الذى يتم جميع محباتى ، ويقول لأورشليم عودى مبنية ولهيكلها : كن مزخرفًا مزيناً [ق ٢٢ / ب] هكذا قال الرب لمسيحه كورش الذى أخذ بيمينه لتدبير الأمم ، وتحنى لك ظهور الملوك سائراً تفتح الأبواب أمامه فلا تغلق وأسير أنا قدامك وأسهل لك الوعور وأكسر أبواب النحاس وأخبرك[1] بالذخائر التى فى الظلمات . ولم يكن أحد فى ذلك الزمان بهذه الصفة التى ذكرها أشعيا ، أعنى ملك الأقاليم والحكم على الأمم وغير ذلك مما ذكره غير أزدشير بهمن فتعين أن يكون هو كيرش . وكان أزدشير بهمن كريماً متواضعًا ، علامته على كتبه بقلمه : من أزدشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأمركم ، وغزا رومية فى ألف ألف مقاتل وبقى كذلك إلى أن هلك ، وتفسير بهمن بالعربية الحسن النية ، وكان بهمن متزوجاً بابنته حمانة ، وذلك حلال على دين المجوس ، فتوفى بهمن وهى حامل منه بدارا ، وكانت قد سألت بهمن أن يعقد التاج على ما فى بطنها ويخرج ابنه ساسان بن بهمن من الملك ، فأجابها بهمن إلى ذلك ، وأوصى به أكابر دولته ، ففعلوا ذلك ، وساست حمانة الملك بعده أحسن سياسة ، وعظم ذلك على ساسان فلحق باصْطَخْر وتزهد وتجرد من حلية الملك واتخذ غنمًا وتولى بنفسه رعيها ، [و] ساسان المذكور هو أبو الأكاسرة . ثم وضعت حمانة ولدا وسمته دارا وهو ابنها وأخوها ، ولما اشتد سلمت الملك إليه وعزلت نفسها ، فتولى دارا بن بهمن الملك ، فضبطه بشجاعة وحسن سياسة ، وولد لدارا ابن فسماه دارا باسم نفسه . ثم هلك دارا وولى الملك ابنه [دارا] بن دارا ، وكان حقودًا ظالماً ، فنفر منه قلوب الخاصة والعامة ، وفى زمان دارا المذكور تملك الإسكندر [المشهور بن فيلبس ، فعرف توحش خواطر أصحاب دارا منه فقصده بجيشه ، فلحق بالاسكندر] المذكور لما دنا من دارا كثير من أصحاب دارا وأطلعوه على عور دارا وقووه عليه ، وطال بينهما القتال إلى أن وثب جماعة من أصحاب دارا عليه فقتلوه وأتوا [إلى] الإسكندر فقتلهم عن آخرهم ، وصار ملك دارا إلى الإسكندر .

ذكر الإسكندر بن فيلبس

كان أبوه أحد ملوك اليونان ، وكانوا طوائف ، فلما ملك الإسكندر عليهم غزاهم واجتمع له ملكهم ، تم غزا دارا ملك الفرس وقتله ، ثم غزا الهند وتناول أطراف الصين ، ثم انصرف الإسكندر يريد الإسكندرية ، وهو الذى بناها ، فهلك فى ناحية السواد ، وقيل بشهر زور ، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة ، فحمل فى تابوت ذهب إلى أمه ، وكان ملكه نحو ثلاث عشرة

---

(١) ط : « أحبوك » .

سنة واجتمع بعد ذلك ملك الروم ، وكان متفرقاً ، وافترق ملك فارس وكان مجتمعاً ، وكان مرض الإسكندر الذى مات به الخوانيق ، وقيل اغتيل بالسم .

وهذا الإسكندر هو صاحب أرسططاليس وتلميذه ، [و] أرسطو الذى أشار عليه بعدم قتل الفرس ، وأن يولى أكابرهم ومن يصلح للملك كل واحد برايته[1] مملكة ليحصل بينهم التباغض والتشاحن ولا يجتمعون على أحد ، فقبل الإسكندر بذلك منه ، وولاهم ، فصار منهم ملوك الطوائف . وكان الإسكندر أشقر أزرق . وكان اليونان قبله طوائف ، فأول ما تملك غزاهم وقتل ملوكهم واجتمع له جميع مملكة اليونان والروم حسبما ذكرناه . ولما اجتمعت له مملكة المغرب بنى الإسكندرية وسار يريد الشرق وقتال دارا ، ومر الإسكندر فى طريقه على بيت المقدس وأكرم بنى إسرائيل ، ثم سار إلى بلاد فارس واستولى على ملك الفرس [ق ٢٣ / أ] وقتل دارا وكان منه ما ذكر . وقد قيل عنه إنه انصرف من المشرق إلى جهة الشمال وبنى السد على يأجوج ومأجرج ، والصحيح أن الإسكندر المذكور لم يكن منه ذلك بل ذو القرنين الذى ذكره الله فى القرآن وهو ملك قديم كان على زمن إبراهيم الخليل عليه السلام ، قيل إنه أفريذون وقيل غيره ، وقد غلط من ظن أن بانى السد هو الإسكندر الرومى ، وكذلك قد استفاض على ألسنة الناس أن لقب الاسكندر المذكور ذو القرنين وهو أيضاً غلط ، فإن لفظة ذو لفظة عربية محضة ، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن ، وكان منهم ذو جدن وذو كلاع وذو نواس وذو نشاتر[2] ، وذو القرنين الصعب بن الرائش واسم الرائش الحارث بن ذى [سدد] بن عاد بن الملطاط بن سبأ ، وقد قيل إن ذا القرنين الصعب المذكور هو الذى مكن الله له فى الأرض وعظم ملكه وبنى السد على يأجوج ومأجوج .

ومما نقله ابن سعيد المغربى أن [ابن] عباس رضى الله عنهما سئل عن ذى القرنين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز فقال : هو من حمير ، وهذا مما يقوى أنه الصعب المذكور ، لأنه كان ملكاً عظيماً ، وكان من ولد حمير . ولما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه فأبى واختار النسك ، فانقسمت ممالك الإسكندر بين ملوك الطوائف وبين ملوك اليونان على ما سنذكرهم فى الفصل الثانى وبين غيرهم .

ذكر ملوك الطوائف

وكان من أمرهم أن الإسكندر لما غلب على الفرس وأسر ملوكهم وكبارهم قتل منهم جماعة وأراد قتل الباقين عن آخرهم واستشار أرسطو طاليس فى ذلك ، فقال [له] إنى لا أرى

---

(١) ط : برأسه .

(٢) كذا فى ص ، وفى ط : « سناتر » .

ذلك ، بل الرأى أن تملك منهم عدة على الفرس ، فيقع بينهم التشاحن والتباغض ولا يجتمعون فتأمن اليونان غائلتهم ولا يبقى لهم على اليونان دماء كثيرة ، فمال الإسكندر إلى ذلك ، وملك من كبار الفرس عشرين ملكاً على الفرس وهم المسمون بملوك الطوائف ، واستمر بهم الحال على ذلك نحو خمسمائة واثنتى عشرة سنة حتى قام أزدشير[1] بن بابك وجمع ملك الفرس ، ولم يبق منهم ملك غيره ، وكانت عدة ملوك الطوائف تزيد على تسعين ملكاً ولم يؤرخ فى مبتدأ أمرهم أسماؤهم ولا مدد ملكهم ، فإنهم كانوا ملوكاً صغاراً فى الأطراف . وعظم بعد الإسكندر ملك اليونان ، فكان الحكم لهم ، فلذلك ذكروا بعد الإسكندر فى التواريخ دون ملوك الطوائف ، وبقى الأمر على ذلك حتى اشتهرت الملوك الأشغانية من بين ملوك الطوائف .

ذكر الطبقة الثالثة : وهم الأشغانية

قال أبو عيسى : وأول من تملك منهم أشغا بن أشغان ، ويقال أشك بن أشكان ، قال : وكان أول ملك أشغا المذكور لمضى مائتين وست وأربعين سنة لغلبة الإسكندر ، وملك أشغا المذكور عشر سنين ، أقول فيكون انقضاء ملكه لمضى مائتين وست وخمسين [سنة] للإسكندر ، ثم ملك بعده سابور بن أشغان ستين سنة ، وكان مولد المسيح عليه السلام فى سنة بضع وأربعين سنة خلت من ملك سابور المذكور ، وكان انقضاء ملك سابور لمضى ثلاثمائة وست عشرة سنة للاسكندر ، ثم ملك بعده جور بن أشغان وقيل جوذرز عشر سنين ، وهلك لمضى ثلثمائة وست [ق ٢٣ / ب] وعشرين سنة للإسكندر ، ثم ملك بعده بيرن الأشغانى إحدى وعشرين سنة ، وهلك لمضى ثلثمائة وست وستين ، ثم ملك نرسى الأشغانى أربعين سنة ، وقال يوم ملك إنى محب ومكرم من أنفذ أمرى ، وهلك لمضى أربعمائة وست سنين ، ثم ملك بعده هرمز الأشغانى تسع عشرة سنة وهلك لمضى أربعمائة وخمس وعشرين سنة ، وقال هرمز المذكور يوم ملك : يا معشر الناس اجتنبوا الذنوب كيلا تذلوا بالمعاذير . تم ملك بعده أردوان الأشغانى اثنتى عشرة سنة ، وهلك لمضى أربعمائة وسبع وثلاثين سنة ، ثم ملك خسرو الأشغانى أربعين سنة ، وقال يوم ملك لتسطع نارى ما دامت مضطرمة ، وهلك لمضى أربعمائة وسبع وسبعين سنة للإسكندر .

ثم ملك بعده بلاش الأشغانى أربعًا وعشرين سنة ، وهلك لمضى خمسمائة وسنة ، ثم ملك بعده أردوان الأصغر ، وظهر أمر أزدشير بن بابك ، وقتل أردوان المذكور وغيره من الأردوانيين ، واجتمع له ملك جميع الطوائف ، فيكون انقضاء ملك أردوان لمضى خمسمائة واثنتى

---

(١) ص : أردسر .

عشرة سنة لغلبة الإسكندر ، ويكون ملكه إحدى عشرة سنة ، وقيل إن أردوان المذكور ملك ثلاث عشرة سنة .

ذكر الطبقة الرابعة
وهم الأكاسرة الساسانية

وأولهم أزدشير بن بابك ، وهو من ولد ساسان بن أزدشير بهمن المقدم الذكر فى أخبار أزدشيربهمن ، وساسان [المذكور] هو الذى تزهد واتخذ غنماً يرعاها لما أخرجه [أبوه] بهمن من الملك وجعله لدارا قبل ولادته حسبما تقدم ذكر ذلك ، وكان أزدشير بن بابك المذكور فى أول ملكه أحد ملوك الطوائف ، وكان فى أيام الأردوانيين فتغلب عليهم ، وكانت غلبته عليهم لمضى تسعمائة وسبع وأربعين سنة لابتداء ولاية بختنصر ، ولمضى خمسمائة واثنتى عشرة سنة لغلبة الإسكندر على دارا ، وهى مدة ملوك الطوائف ، فيكون بين قيام أزدشير وبين الهجرة النبوية أربعمائة واثنتان وعشرون سنة ، وكان رصد بطلميوس قبل أزدشير المذكور بسبع وسبعين سنة ، وهذه مدة يمكن أن يكون بطلميوس قد عاشها أو عاش غالبها ، فليس بطلميوس ببعيد عن زمن أزدشير . وجميع الأكاسرة الذين كان آخرهم يزدجرد بن شهريار من ولد أزدشير المذكور ، ولما تغلب أزدشير قتل الأردوانيين جميعهم وضبط الملك ، وكان حازماً طويل الفكر وكتب لابنه سابور عهداً ليكون له ولمن بعده من أهل بيته يتضمن حكمًا وناموساً لضبط المملكة ، وملك أزدشير أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، فيكون موته فى أواخر سنة خمسمائة وسبع وعشرين لغلبة الإسكندر ، ثم ملك بعده ابنه سابور بن أزدشير إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكان جميل الصورة حازماً ، وظهر فى أيامه مانى الزنديق وادعى النبوة واتبعه خلق كثير ، وهم المسمون بالمانوية ، ولما مضى من ملكه إحدى عشرة سنة ، سار بعساكره وفتح نصيبين من الروم ، ثم سار وتوغل فى بلاد الروم وهم على عبادة الأصنام وذلك قبل تنصرهم ، وافتتح من الشام عدة مدن عنوة وقتل أهلها ، ثم سار إلى جهة رومية ، فصانعه ملك الروم وهو حينئذ غرذيانوس الذى سنذكره فى ملوك الروم إن شاء الله تعالى ، ودخل تحت طاعته سابور [ق ٢٤ / أ] المذكور ، وكان لسابور المذكور عناية عظيمة [بـ] جمع كتب الفلسفة لليونانيين ونقلها إلى اللغة الفارسية ، ويقال إن فى زمانه استخرجت العود وهى الملهاة التى يغنى بها ، وكان موت سابور المذكور لمضى أربعة أشهر من سنة تسع وخمسين وخمسمائة للإسكندر .

ثم ملك بعده ابنه هرمز بن سابور سنة واحدة وستة أشهر ، وكان عظيم الخلق شديد القوة ، وكان يلقب البطل لشجاعته ، وكان موته فى أواخر سنة خمسمائة وستين للإسكندر ، ثم

ملك ابنه بهرام بن هرمز ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، واتبع سيرة آبائه فى حسن السياسة والرفق بالرعية ، وكان موته فى أول سنة أربع وستين وخمسمائة بعد مضى شهر منها ، ثم ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام سبع عشرة سنة ، فيكون موته فى أول سنة إحدى وثمانين وخمسمائة للإسكندر ، ثم ملك بعده [ابنه] بهرام بن بهرام بن بهرام أربع سنين وأربعة أشهر ، وسلك سبيل آبائه من العدل والسياسة ومات فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة بعد مضى سبعة أشهر منها ، ثم ملك بعده أخوه نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك، وملك تسع سنين ، فيكون موته فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة بعد مضى سبعة أشهر منها . ثم ملك بعده ابنه هرمز بن نرسى تسع سنين أيضاً ، فيكون هلاكه لمضى سبعة أشهر من سنة ثلاث وستمائة ، ولما مات هرمز لم يكن له من ولد ، وكانت بعض نسائه حاملاً ، فعقدوا التاج على ما فى جوفها فولدت ابناً وسموه سابور ، وهو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك ، وبقى سابور حتى اشتد وظهر منه نجابة عظيمة من صباه ، وكان أول ما ظهر منه أنه سمع ضجيج الناس بسبب الزحمة على الجسر الذى على دجلة بالمدائن ، فقال : ما هذه الجلبة ، فقالوا بسبب زحمة الخارجين والداخلين على الجسر ، فأمر أن يعمل على الجسر جسراً آخر ، ليكون أحد الجسرين للخارجين والآخر للداخلين ، فعملوه فزال ما كان يحصل من الزحام ، فاستعجب الناس لنجابته ، وفى أيام صباه طمعت العرب فى بلاده وخربوها ، فلما بلغ سابور المذكور من العمر ست عشرة سنة ، انتخب من فرسان عسكره عدة اختارها وسار بهم إلى العرب وقتل من وجده منهم ، ووصل إلى الحسا والقطيف ، وشرع يقتل ولا يقبل فداء ، وورد المشقر وبه أناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فسفك من دمائهم مالا يحصى [وكذلك] سار إلى اليمامة وسفك بها ، لم يمر بماء للعرب إلا وغوره ولا بئر إلا وطمها ، ثم عطف على ديار بكر وربيعة فيما بين مملكة فارس ومملكة الروم ، وصار ينزع أكتاف العرب ، فسمى سابور ذا الأكتاف وصار عليه ذلك لقبًا ، ثم غزا سابور المذكور الروم وقتل فيهم وسبى ، ثم هادنه قسطنطين ملك الروم ، واستمر على ذلك حتى توفى قسطنطين فى سنة خمس وأربعين مضت من ملك سابور [المذكور ، وعمره][1] ، [وملكت بنو قسطنطين وهلكوا فى مدة ملك سابور المذكور] . ثم ملك على الروم لليانوس. وارتد إلى عبادة الأصنام ، وقتل النصارى وأخرب الكنائس وأحرق الإنجيل ، وسار لليانوس [إلى قتال سابور واجتمع مع لليانوس العرب لما كان قد فعله فيهم سابور المذكور ، وكان على مقدمة جيش لليانوس] بطريق اسمه يونيانوس ، وكان يونيانوس يسر دين النصارى ، ولم يرتد مع لليانوس إلى عبادة الأصنام ، وبسبب ذلك كان يكره لليانوس ، فظفر بكشافة لسابور

---

(١) يليها - فى الغالب كلمات - ساقطة من ص وط .

فأمسكهم وأخبروه بمكان [ق ٢٤ / ب] سابور ، وكان قد انفرد عن جيشه ليتجسس أخبار الروم ، فأرسل يونيانوس يحذر سابور وأعلمه أنه علم به وكان قادراً على إمساكه ، فحمده سابور على ذلك ولحق بجيشه ، ثم اقتتل لليانوس وسابور فانتصر لليانوس وانهزم سابور وجيشه ، وقتلت الروم منهم واستولى لليانوس على مدينة سابور وهى طَيْسَفُونْ ، وهى المعروفة بالمدائن ، ثم أرسل سابور واستنجد بالعساكر والملوك المجاورين لبلاده . ودفع لليانوس عن طَيْسَفُون ، واستمر لليانوس مقيما ببلاد الفرس ، وبقى سابور يسعى فى الصلح معه ، فبينا لليانوس جالس فى فسطاطه إذ أصابه سهم غرب فى فؤاده فقتله ، فهال الروم ما نزل بهم من فقد ملكهم فى بلاد عدوهم فقصدوا يونيانوس فى أن يتملك عليهم ، فأبى ذلك ، وقال لا أتملك على قوم يخالفونى فى الدين ، فقالوا نحن نعود إلى الملّة النصرانية ، ونحن عليها وإنما أظهرنا عبادة الأصنام خوفاً من لليانوس ، فملك يونيانوس وصالح سابور وسار إليه فى عدة يسيرة من أصحابه ، واجتمع يونيانوس وسابور واعتنقا وانتظم الصلح والمودة بينهما ، وسار يونيانوس بعساكر الروم عائداً إلى بلاده ، واستمر سابور على ملكه حتى مات بعد اثنتين وسبعين سنة ، وهى مدة ملكه ومدة عمره ، فيكون موت سابور لمضى سبعة أشهر من سنة خمس وسبعين وستمائة للإسكندر .

ثم ملك بعده أخوه أزدشير بن هرمز أربع سنين بوصية من سابور له بذلك[1] ، لأن ابن سابور كان صغيراً ومات فى سنة تسع وسبعين وستمائة للإسكندر ، ثم ملك بعده سابور بن سابور ذى الأكتاف[2] خمس سنين وأربعة أشهر ، وسلك سابور حسن سيرة أبيه حتى سقط عليه فسطاط [كان] منصوباً [عليه] ، فمات من ذلك ، فيكون هلاكه لمضى أحد عشر شهراً من سنة أربع وثمانين وستمائة للإسكندر . ثم ملك بعده أخوه (بهرام) بن سابور ذى الأكتاف وهو الذى يدعى كرمان شاه ، لأنه كان على كرمان وسلك السيرة الحسنة ، وملك إحدى عشرة سنة ومات مقتولاً ، لأن جماعة من الفرس ثاروا عليه وضربه واحد منهم بسهم فقتله ، وكان هلاكه لمضى أحد عشر شهراً من سنة خمس وتسعين وستمائة للإسكندر ، ثم ملك بعده ابنه يزدجرد بن بهرام بن سابور ، وكان يقال ليزدجرد المذكور الأثيم والخشن ، وملك إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ، وكان فظاً خشن الجانب لئيم الأخلاق ، فسلك أقبح سيرة من الظلم والعسف وسفك الدماء ، ورأى الفرس منه من الشر مالم يعهدوه من آبائه وصبروا عليه وطالت أيامه وهو لا يزداد إلا تمادياً فى الجور والعنف ، فابتهلوا إلى الله فى هلاكه ، فهلك برفسة فرس ، فيكون هلاكه لمضى أربعة أشهر من سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وكان ليزدجرد

---

(١) ط : « بالملك » .

(٢) ص : سابور بن سابور بن ذى الأكتاف ، غير أنه توجد علاقة خطأ فوق كلمة (ابن التانية مما يدل على أن الناسخ قد أخطأ فى ذكرها ثم استدرك . ولقد ذكر أبو الفدا فى موضع سابق أن سابور الآخر لقب بذى الأكتاف .

المذكور ولد اسمه بهرام جور وكان أبوه يزدجرد قد أسلمه عند المنذر ملك العرب ليربيه بظهر الحيرة ، فنشأ بهرام جور هناك وقدم على أبيه قبل هلاكه ، وبهرام جور فى غاية الأدب والفروسية ، فأذاقه أبوه الهوان ولم يلتفت إليْه ولا رأى منه خيراً ، فطلب بهرام جور العود إلى العرب حيث كان [ق ٢٥ / أ] فأمره [بذلك] ، وعاد بهرام جور إلى المنذر ومات أبوه وهو عند المنذر ، فاجتمع جميع الفرس على أنهم لا يملكون أحداً من ولد يزدجرد لما قاسوه منه ، وأيضًا فإن بهرام جور قد انتشأ عند العرب وتخلّق بأخلاقهم فلا يصلح للفرس ، وولوا شخصًا يسمى كسرى من ولد أزدشير ، وبلغ ذلك بهرام جور فانتصر بالمنذر وبابنه النعمان ملك العرب ، وجرى بين العرب وبهرام جور وبين الفرس فى ذلك مراسلات كثيرة ، وآخر الأمر أن بهرام جور تملك موضع أبيه يزدجرد ، فاستقل بالملك . ويحكى عنه من الشجاعة والقوة شىء كثير ، وآخر أمره أنه هلك بأن طلع إلى الصيد وأمعن فى طرد الوحش حتى توحل فى سبخة وعدم ، وكان مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ، فيكون هلاك بهرام جور لمضى ثلاثة أشهر من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ثم ملك بعده ابنه يزدجرد بن بهرام جور ثمانى عشرة سنة ، وأربعة أشهر ، وسار بسيرة أبيه بهرام جور من قمع الأعداء وعمارة البلاد ، ثم هلك يزدجرد لمضى سبعة أشهر من سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وخلف ابنين : هرمز وفيروز ، فتملك هرمز بن يزدجرد سبع سنين وظلم الرعية واحتجب عن الناس ، ولما ملك هرمز هرب أخوه فيروز إلى الهياطلة ، وهم أهل البلاد التى بين خراسان وبين بلاد الترك وهى طخارستان – نص عليه أبو الريحان – واستعان بملكهم على رد ملك أبيه إليه واستقلاعه من أخيه هرمز ، فأنجده ، وسار فيروز بجيش طخارستان وطوائف من عسكر خراسان إلى هرمز واقتتلا فى الرى فظفر فيروز بأخيه هرمز فسجنه ، وكانت أمهما واحدة ، فيكون انقضاء ملك هرمز فى سنة ست وستين وسبعمائة للإسكندر ، ثم ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور سبعًا وعشرين سنة ، وسلك حسن السيرة وظهر فى أيامه غلاء وقحط ، وغارت الأعين ويبس النبات وهلك الوحش ، ودام ذلك مدة سبع سنين ، وبعد ذلك أرسل الله تعالى المطر ، وعادت الأحوال إلى أحسن حال ، وكان ملك الهياطلة حينئذ يسمى الأخشقوار ، ووقع بينه وبين فيروز بسبب أن فيروز خطب ابنة الأخشقوار ، فلم يزوجه فسار فيروز إلى الهياطلة ، وذكر لهم ذنوباً منها أنهم يأتون الذكران ، ولم يظفر منهم بشىء ، وهلك فيروز بأن [تردى] فى خندق كان عمله الهياطلة وغطى فوقع فيه مع جماعته ، فهلكوا واحتوى اخشقوار ، على جميع ما كان فى معسكره ، فيكون هلاك فيروز فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة . ثم ملك بعده ابنه بلاش [بن فيروز] أربع سنين وكان حسن السيرة ومات فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة . ثم ملك بعده أخوه قباذ بن فيروز ثلاثاً وأربعين سنة ، منها ست سنين كان فيها قتال بينه وبين أخيه جاماسف .

وفى أيام قباذ المذكور ظهر مزدك الزنديق ، وادعى النبوة وأمر الناس بالتساوى فى الأموال وأن يشتركوا فى النساء لأنهم إخوة لأب وأم آدم وحواء ، ودخل قباذ فى دينه ، فهلك الناس وعظم ذلك عليهم وأجمعوا على خلع قباذ ، وخلعوه وولوا أخاه جاماسف بن فيروز ، ولحق قباذ بالهياطلة فأنجدوه ، وسار بهم وبعسكر خراسان والتقى مع أخيه جاماسف وانتصر عليه ، وحبس جاماسف واستمر قباذ فى الملك [ق ٢٥/ب] حتى مات فى سنة أربعين وثمانمائة لمضى سبعة أشهر من السنة المذكورة .

ثم ملك بعد قباذ ابنه أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأثيم بن بهرام بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسى بن بهرام [بن بهرام] بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك ، وملك أنو شروان ثمانيا وأربعين سنة ، ولما تولى الملك كان صغيراً ، ولما استقر بالملك وجلس على السرير ، قال لخواصه : إنى عاهدتُ الله إن صار الملك إلىّ على أمرين أحدهما أنى أعيد آل المنذر إلى الحيرة وأطرد الحارث عنها ، وأما الأمر الثانى فهو قتل المزدكية الذين قد أباحوا نساء الناس وأموالهم وجعلوهم مشتركين فى ذلك بحيث لا يختص أحد بامرأة ولا بمال حتى اختلط أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء وتسهيل سبيل العاهرات إلى قضاء نهمهن ، واتصلت السفلة إلى النساء الكرائم التى ما كان أمثال أولئك يتجاسرون أن يملئوا أعينهم منهن إذا رأوهن فى طريق ، فقال له مزدك وهو قائم إلى جانب السرير : هل تستطيع أن تقتل الناس جميعًا ، هذا فساد فى الأرض ، والله قد ولاّك لتصلح لا لتفسد ، فقال له أنو شزوان : يا ابن الخبيثة : أتذكر وقد سألتَ قباذ أن يأذن لك فى المبيت عند أمى ، فأذن لك ، فمضيتَ نحو حجرتها ، فلحقتُ بك وقبلتُ رجلك ، وإن نتن جواربك مازال فى أنفى منذ ذلك إلى الآن ، وسألتك حتى وهبتها لى ورجعتَ ، قال : نعم ، فأمر حينئذ أنو شروان بقتل مزدك ، فقتل بين يديه وأخرج وأحرقت جيفته ، ونادى بإباحة دماء المزدكية ، فقتل منهم فى ذلك اليوم عالم كثير ، وأباح دماء المانوية أيضًا ، وقَتَلَ منهم خلقًا كثيرًا ، وتثبت ملك المجوسية القديمة ، وكتب بذلك إلى أصحاب الولايات وقوى الملك بعد ضعفه بإدامة النظر وهجر الملاذ وترك اللهو ، وقوى جنده بالأسلحة والكراع ، وعمر البلاد ورد إلى ملكه كثيرًا من الأطراف التى غلبت عليهم الأمم بعلل وأسباب شتى ، منها : السند والرخج وزابلستان وطخارستان ودورستان وغيرها ؛ وبنى المعاقل والحصون ، وقسم أموال المزدكية على الفقراء ، ورد الأموال التى لها أصحاب إلى أصحابها ، وكل مولود اختلف فيه ألحقه بالمشبه[1] ، وإن كان ولدًا للمزدكية المقتولة جعله عبدًا لزوج المرأة التى حبلت به من المزدكية ، وأمر بكل امرأة غلبَتْ على نفسها أن تعطى من مال المزدكى الذى غلبها بقدر مهرها ، وأمر بنساء المعروفين

(١) ط : بالشبه .

اللائى مات من يقوم عليهن أو تبرأ منهن أهلهن لفرط الغيرة والأنفة أن يجمعن فى موضع أفرده لهن ، وأجرى عليهن ما يمونهن وأمر أن يزوجن من مال كسرى ، وكذلك فعل بالبنات اللائى لم يوجد لهن أب ، وأما البنون الذين لم يوجد لهم أب فأضافهم إلى مماليكه ، [ورد] المنذر إلى الحيرة وطرد الحارث عنها ؛ وكان من حديث الحارث المذكور أن العرب كانت قد طمعت فى أرض الفرات[1] [أيام] قباذ لضعفه عن ضبط المملكة ، واستولت كندة على الحيرة وطردوا اللخميين عنها ، وكان ملك اللخميين حينئذ المنذر بن ماء السماء وملك موضعه الحارث بن عمرو ابن حجر آكل المرار بن عمرو ابن معاوية بن ثور ، وثور هو كندة ، ووافق الحارث قباذ على اتباع مزدك فعظمه قباذ وأقامه وطرد المنذر لذلك ، فلما [ق ٢٦/أ] (استقر)[2] أنو شروان بالملك أعاد المنذر وطرد الحارث عن الحيرة ، فهرب وأرسل المنذر خيلاً فى طلب الحارث المذكور ، فأمسك عدة من أهله فقتلهم وعدم الحارث ، واختلف فى صورة عدمه ، وسنذكر ذلك عند ذكر ملوك كندة فى الفصل المتضمن ذكر ملوك العرب إن شاء الله تعالى ؛ وأمر أنو شروان بنساء أبيه قباذ أن يخيرن بين المقام فى داره وإجراء الأرزاق عليهن وبين أن يزوجن بالأكفاء من البعولة ؛ وفتح أنو شروان الرها مدينة هرقل ثم الاسكندرية ، وأذعن له قيصر بالطاعة ؛ وغزا الخزر ؛ ثم توجه إلى نحو عدن فسكَّر هناك ناحية من البحر بين جبلين بالصخور وعمد الحديد ، ثم سار إلى الهياطلة مطالبًا بدم فيروز وكبس بلادهم وقتل ملكهم وخلقاً كثيراً من أصحابه وتجاوز بلخ وما عداها ؛ ثم رجع إلى المدائن ؛ وأرسل جيشًا إلى اليمن ، وقدم عليهم وهرز فقتلوا الحبشة المستولين عليها ، وأعاد ملك أبا سيف بن ذى يزن عليه بعد قتل ملك الحبشة مسروق بن أبرهة الأشرم الذى جاء بالفيل ليهدم الكعبة ، وغزا برجان وبنى باب الأبواب ، وفى زمانه ولد عبد الله أبو النبى صلَّى الله عليه وآله وسلم لأربع وعشرين سنة من ملكه ، وكذلك ولد النبى ﷺ فى السنة الثانية والأربعين من ملك أنو شروان المذكور ، ومات أنو شروان فى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة للإسكندر لمضى سبعة أشهر من السنة المذكورة .

ثم ملك بعده ابنه هرمز بن أنو شروان ، وكان عادلا يأخذ للأدنى من الشريف ، وبالغ فى ذلك حتى أبغضه خواصه ، وأقام الحق على بنيه ومحبيه ، وأفرط فى العدل والتشديد على الأكابر وقصر أيديهم عن الضعفاء إلى الغاية ، ووضع صندوقًا فى أعلاه خرق ، وأمر أن يلقى المتظلم قصته فيه ، والصندوق مختوم بخاتمه ، وكان يفتح الصندوق وينظر فى المظالم خوفًا من أن لا توصل إليه الشكاوى على بطانته وأهله ، ثم طلب أن يعلم بظلم المتظلم ساعة فساعة ، فأمر باتخاذ سلسلة من الطريق وخرق لها فى داره إلى موضع جلوسه وقت خلوته وجعل فيها جرساً ،

---

(١) ط : الفرس .

(٢) لم ترد هذه الكلمه فى الأصل ، وفى المطبوع : « استقل » ، والأكثر احتمالاً ما أثبتناه فى المتن على ما ذكر فى الأصل [ق ٢٥ / ب] .

فكان المتظلم يجيء من ظاهر الدار فيحرك السلسلة فيعلم به فيتقدم بإحضاره وإزالة ظلامته .
ثم خرج على هرمز عدة أعداء منهم شابة ملك الترك فى جمع عظيم ؛ وخرج عليه ملك الروم ؛ وخرج عليه ملك العرب فى خلق كثير حتى نزلوا شاطىء الفرات ، فأرسل عسكرًا إلى ملك الترك ، وقدَّم عليهم رجلاً من أهل الرى يقال له بهرام جوبين بن بهرام خشنش ، واقتتل مع الترك ، وآخر ذلك أن بهرام [جوبين] قتل شابة ملك الترك ونهب عسكره وطردهم واستولى على أموال جمة أرسل بها إلى هرمز ، ثم قام ابن شابة مقام أبيه واصطلح مع بهرام جوبين وتهادنا ، ثم إن هرمز أمر بهرام جوبين بالمسيرة إلى الترك وغزوهم فى بلادهم ، فلم ير بهرام ذلك مصلحة ، وخاف من هرمز لكونه لم يمتثل ذلك ، فاتفق بهرام [و] العسكر الذين معه ، وخلعوا طاعة هرمز ، فأنفذ هرمز إليهم عسكرًا ، فصار أكثرهم مع بهرام جوبين بعد قتال جرى بينهم ، وكان برويز [بن] هرمز مطرودًا عن أبيه مقيمًا بأذربيجان ، فبلغه ضعف أمر أبيه واتفاق أكابر [ق ٢٦/ب] الدولة والعسكر على خلعه ، وخشى من استيلاء بهرام جوبين على الملك ، فقصد برويز أباه ، ولما وصل برويز وثب خالا برويز على هرمز وأمسكاه وسملا عينيه ، ولبس برويز التاج وقعد على سرير الملك ، وكان من أول ملك هرمز إلى استقرار ابنه [برويز] فى الملك نحو ثلاث عشرة سنة ونصف سنة ، فإن هرمز بقى معتقلاً [مدة] مديدة ، ثم خنق وجلس برويز على السرير وخالفه بهرام جوبين ، فإنه لما جلس برويز على سرير الملك أول مرة أظهر بهرام جوبين عدم طاعته وانتصر لهرمز وقصد أن ينتقم من برويز لما فعله فى أبيه هرمز من سمل عينيه ، وجرى بين بهرام جوبين وبين برويز مراسلات لم يرد فيها بهرام جوبين إلا ما يسوء برويز ، وآخر الحال أن بهرام جوبين تغلب وخشى برويز أن يقيم أباه الأعمى صورة ويستولى على الملك ، فاتفق مع خواصه على قتل أبيه هرمز فقتلوه ، ولحق برويز بملك الروم مستنجدًا [به] .

ووصل بهرام جوبين ولبس التاج وقعد على سرير الملك وقال لعظماء الدولة : إننى وإن لم أكن من بيت الملك ، فإن الله تعالى ملكنى اليوم والملك بيده يملكه من يشاء ، ووصل برويز إلى ملك الروم فزوجه بنته مريم ، وأنجده بثمانين ألف فارس وسار بهم حت لأقارب بهرام جوبين، فالتقيا وجرى بينهما قتال كبير، ولحق برويز كثير من الفرس وولَّى بهرام جوبين هاربًا إلى خراسان ثم لحق بالترك؛ ثم تملك برويز بعد طرد بهرام جوبين ، وفرق فى عسكر الروم أموالاً جليلة وأعادهم إلى ملكهم ، وكان استقرار برويز فى الملك فى أثناء سنة اثنتين وتسعمائة للإسكندر ، وملك برويز ثمانيا وثلاثين سنة ، ولما استقر فى الملك غزا الروم ، وسببه أن الملك الرومى الذى [عمل] مع برويز ما عمله هلك ، فطرد الروم ابنه من الملك وأقاموا غيره ، فجرت بين برويز وبين الروم عدة حروب وكسر الروم ووصلت خيله القسطنطينية ، وجمع برويز فى مدة ملكه من الأموال ما لم يجتمع لغيره من الملوك وتزوج شيرين المغنية وبنى لها قصر

شيرين بين حلوان وخانقين ، وكان له ثمانية عشر ابنا أكبرهم اسمه شهريار ومنهم شيرويه الذى ملك بعد أبيه ، وأم شيرويه مريم بنت ملك الروم ، ثم إن برويز عتا وتجبر واحتقر الأكابر وظلم الرعية ، وكان متولى المحبوس[١] زادان فروخ قد أنهى إليه أنه قد اجتمع فى الحبس[٢] ستة وثلاثون ألف رجل ، وقد ضاقت المحبوس عنه ، وقد عظم نتنهم ، فقال برويز : اقتلهم جميعهم واقطع رءوسهم واجعلها قدام باب دار المملكة ، فاعتذر زادان فروخ عن ذلك وسأل الإعفاء عنه ، فأكد عليه كسرى برويز ، وقال : إن لم تقتلهم فى هذا النهار قتلتك قبلهم وشتمه وأخرجه على ذلك ، فذهب إليهم زادان فروخ وأعلم المحبوسين بذلك ، فكثر ضجيجهم ، فقال : إن أفرجت عنكم تخرجون وتأخذون بأيديكم ما تجدونه فى الأسواق من آلات وأخشاب [وتكبسون كسرى فى داره بغتة فحلفوا على ذلك وأفرج عنهم ، ففعلوا ذلك ولم يشعر كسرى برويز إلا بالغلبة والصياح] ، ولم يقدر حاشيته والذين ببابه فى ذلك الوقت على رد المذكورين فهجموا على كسرى برويز فى داره وهرب ، فاختبأ فى جانب بستان بالدار يعرف بباغ الهند ، فدلهم عليه بعض الحاشية ، فأخرجوه ممسكًا إلى زادان فروخ ، فحبس فى دار رجل يُقال له مارسفيد ، وقيده بقيد ثقيل ووكل به جماعة ، ومضى إلى عفر بابك[٣] فجاء بشيرويه وأجلسه على سرير الملك وأطاعه الخاصة والعامة [ق ٢٧/أ] ، وجرى بين شيرويه وبين أبيه مراسلات وتقريع ، وآخر الأمر قال شيرويه لأبيه [لا تعجب] إن أنا قتلتك فإننى أقتدى بك فى سملك عينى أبيك هرمز وقتله ، ولو لم تفعل ذلك مع أبيك ما أقدم عليك [ولدك] بمثل ذلك ، وأرسل شيرويه بعض أولاد الأساورة الذين قتلهم برويز وأمرهم بقتله فقتلوه ، ولمضى اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما من ملك برويز هاجر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة ، وكان هلاك برويز لمضى خمس سنين وستة أشهر وخمسة عشر يومًا للهجرة ، لأنه من السنة الثانية والأربعين من ملك أنو شروان وهى سنة مولد رسول الله ﷺ إلى نصف السنة الثالثة والثلاثين من ملك برويز وهى عام الهجرة ثلاث وخمسون سنة ، وبيان ذلك أن رسول الله ﷺ ولد فى السنة الثانية والأربعين من ملك أنو شروان وهاجر رسول الله ﷺ لما كان له من العمر ثلاث وخمسون سنة فيكون لرسول الله ﷺ سبع سنين فى أيام أنو شروان واثنتا عشرة سنة من أيام هرمز بن أنو شروان وسنة ونصف بالتقريب فى الفترة التى كانت بين إمساك هرمز وبين استقرار ابنه برويز واثنتان وثلاثون سنة ونصف بالتقريب من ملك برويز ومجموع ذلك ثلاث وخمسون سنة وعلى ذلك فتكون السنة الثالثة والثلاثون من ملك برويز هى السنة الخامسة والثلاثون وتسعمائة للإسكندر بالتقريب ، وكانت مدة ملك برويز ثمانيا وثلاثين سنة فيكون هلاك برويز فى سنة أربعين وتسعمائة للإسكندر ، ثم ملك شيرويه

---

(١) ص : الجيوش وكذلك فى الموضع التالى .
(٢) ص : الجيش .
(٣) ط : بابل .

وكان ردىء المزاج كثير الأمراض متغير الخلق ، وكان إخوته السبعة عشر كأنهم عوالى الرماح قد كملوا فى حسن الخلق والأخلاق والأدب ، فلما ولى شيرويه الملك قتل الجميع ثم ندم على قتل إخوته ، وابتلى بالأسقام ، فلم يلتذ بشىء من اللذات وجزع بعد قتلهم جزعًا شديدًا واخترم نوم الليل وصار يبكى ليلاً ونهاراً ويرمى التاج عن رأسه ، ثم هلك على تلك الحال ، وكان مدة ملكه ثمانية أشهر .

ثم ملك أزدشير بن شيرويه وقيل ابن برويز ، وقيل إنه كان ابن سبع سنين ، وحضنه رجل يقال له مهاذر خشنش ، فأحسن سياسة الملك ، ثم قتل أزدشير بن شيرويه ، وكانت مدة ملكه سنة وستة أشهر . ثم ملك شهر يران ، وكان من مقدمى الفرس مقيمًا فى مقابلة الروم فى عنسكر عظيم من الفرس ، وكان الشام إقطاعه ، وأقبل شهريران بعسكره لما بلغه ملك أزدشير بن شيرويه وصغر سنة ، [ق ٢٧/ب] وهجم مدينة طيسون ليلا بعد قتال كثير وقتل مهاذر خشنش ، وقتل أزدشير بن شيرويه واستولى على الخزائن [والأموال] ولبس التاج وجلس على سرير الملك ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، ولما جلس على السرير ودخل الناس للتهنئة أوجعه بطنه بحيث لم يقدر أن يقوم إلى الخلاء ، فدعا بطست وستارة وتبرز بين يدى السرير ، فتطير الناس من ذلك ، وقالوا هذا لا يدوم ملكه ، وكان من سنة الفرس إذا ركب الملك أن تقف جماعة حرسه صفين له ، وعليهم الدروع والبيض ، وبأيديهم السيوف مشهورة والرماح ، فإذا حاذاهم الملك وضع كل منهم ترسه على قربوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود ثم يرفعون رءوسهم ويسيرون من جانبى الملك يحفظونه ، وركب شهر يران ، فوقف له بسفروخ وأخواه فى جملة الحرس ، فلما حاذاهم شهريران طعنه المذكورون ، فألقوه عن فرسه ، وحملت عظماء الفرس على أصحابه ، فقتلوا منهم جماعة وشدوا فى رجل شهريران حبلاً وجروه إقبالاً وإدباراً، لكونه تعرض للملك وليس م يت الملك. ثم ولوا الملك بوران بنت كسرى برويز ، فأحسنت السيرة وردت خشبة الصلي لك الروم ، فعظم موقعها عنده وأطاعها فى كل ما كلفته وملكت سنة وأربعة أشه لكت فملك خشنشدة من بنى عم كسرى [برويز] . ولماملك خشنش المذكور لم على تدبير الملك ، فكان ملكه أقل من سهر وقتل . ثم ملكت أرزم . بنت كسرى برويز ، ولما ملكت أظهرت العدل والاحسان ، وكان أعظم ال رخ هرمز أصبهذ خراسان ، وكانت أرزمى دخت من أحسن النساء صورة ، فخطبها فرخ هرمز ليتزوجها ، فامتنعت من ذلك ، ثم أجابته إلى الاجتماع به فى الليل ليقضى وطره منها ، فحضر [بالليل] بالشمع والطيب ، فأمرت متولى حرسها فقتله ، وكان رستم بن فرخ هرمز ، وهو الذى تولى قتال المسلمين فيما بعد قد جعله أبوه نائبه على خراسان لما توجه بسبب أرزمى دخت ، فلما قتلته جمع رستم المذكور عسكره وقصد أرزمى دخت بنت كسرى برويز فقتلها أخذًا بثأر أبيه. وكان ملكها ستة أشهر ، واختلف

عظماء الفرس فيمن يولونه الملك ، فلم يجدوا غير رجل من عقب أزدشير بن بابك واسمه كسرى بن مهر خشنش ، فملكوه . ولما ملك المذكور لم يَلِقْ به الملك ، فقتلوه بعد أيام ؛ فلم يجدوا من يملكونه من بيت المملكة فوجدوا رجلا يقال له فيروز بن خستان يزعم أنه من ولد أنوشروان ، فملكوا فيروز المذكور ووضعوا التاج على رأسه وكان رأسًا ضخمًا فلم يسعه ، فقال : ما أضيق هذا التاج ، [ق ٢٨/أ] فتطير العظماء من افتتاح كلامه بالضيق ، وقالوا هذا لا يُفْلِحُ فقتلوه . ثم ملك فرخ زاد خسرو من أولاد أنو شروان وملك ستة أشهر وقتلوه .
ثم ملك يزدجرد بن شهريار بن برويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام آخر ابن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك ، وكان يزدجرد المذكور مختفيًا باصطخر لما قتل أبوه مع أخويه حين قتلهم أخوهم شيرويه حسبما ذكرناه ، وكان ملك يزدجرد المذكور كالخيال بالنسبة إلى ملك آبائه ، وكانت الوزراء تدبر ملكه وضعفت مملكة فارس واجترأ عليهم أعداؤهم وغزا المسلمون بلادهم بعد أن مضى من ملكه أربع سنين. وكان عمر يزدجرد إلى أن قتل بمرو عشرين سنة ، وكان مقتله فى خلافة عثمان رضى الله عنه فى سنة إحدى وثلاثين للهجرة ، وهو آخر من ملك منهم وزال ملكهم بالإسلام زوالاً إلى الأبد .

فهذا ترتيب ملوك الفرس من أوشهنج إلى يزدجرد من كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه ومن كتاب أبى عيسى .

الفصل الثالث

فى ذكر فراعنة مصر ثم ملوك اليونان
ثم ملوك الروم

أما الفراعنة :

فهم ملوك القبط بالديار المصرية ، قال ابن سعيد المغربى ونقله من كتاب صاعد فى طبقات الأمم : إن أهل مصر كانوا أهل ملك عظيم فى الدهور الخالية والأزمان السالفة ، وكانوا أخلاطًا من الأمم ما بين قبطى ويونانى وعمليقى ، إلا أن جمهرتهم قبط ، قال : وأكثر ما تملك مصر الغرباء ، قال : وكانوا صابئة يعبدون الأصنام ، وصار بعد الطوفان بمصر علماء بضروب من العلوم خاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات والكيمياء ، وكانت مدينة منف هى كرسى المملكة وهى على اثنى عشر ميلاً من الفسطاط ، قال ابن سعيد وأسنده إلى الشريف الإدريسى : إن أول من ملك مصر بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح ، ونزل مدينة منف هو وثلاثون من ولده وأهله ، ثم ملكها بعده ابنه مصر بن بيصر ، وسميت البلاد به لامتداد عمره وطول مدة ملكه . ثم ملك بعده ابنه قفط بن مصر . ثم ملك بعده أخوه أتريب بن مصر ، وأتريب المذكور هو الذى بنى مدينة عين شمس وبها الآثار العظيمة إلى الآن ، ثم ملك بعده أخوه صا ، وبه سميت مدينة صا ، وهى مدينة خراب على النيل من أسفله . ثم ملك بعده تذراس ، ثم ملك بعده ماليق بن تذراس ثم ملك بعده ابنه حرابا بن ماليق ، ثم ملك [بعده] كلكلى بن حرابا ، وكان ذا حكمة ، وهو أول من جمد الزئبق وسبك الزجاج ، ثم ملك بعده [ق ٢٨ / ب] حريبا بن ماليق وكان شديد الكفر . ثم ملك بعده طوليس وهو فرعون إبراهيم عليه السلام وهو الذى وهب سارة هاجر ، وكان مسكن طوليس بالفرما . ثم ملك بعده أخته جورباق ؛ ثم ملك بعدها زلفا بنت مأمون ، وكانت عاجزة عن ضبط المملكة ، وسمعت عمالقة الشام بضعفها ، فغزوها وملكوا مصر ، وسارت الدولة للعمالقة ، وكان الذى أخذ الملك منها الوليد بن دومغ العملاقى ، وكان يعبد البقر ، فقتله أسد فى بعض متصيداته ، وقيل هو أول من تسمى بفرعون ، وصار ذلك لقبًا لكل من ملك مصر بعده ، ثم ملك بعده ابنه الريان ابن الوليد ، وهو فرعون يوسف ونزل مدينة عين شمس ، ثم ملك بعده ابنه دارم بن الريان ، وفى زمانه توفى يوسف الصديق عليه السلام ، وتجبر دارم المذكور واشتد كفره وركب فى النيل .

فبعث الله تعالى عليه ريحًا عاصفة أغرقته بالقرب من حلوان ، ثم ملك بعده كلسم بن معدان العمليقى أيضًا وقصد أن يهدم الهرمين ، فقال له حكماء مصر إن خراج مصر لا يفى بهدمهما ، وأيضًا فإنهما قبران لنبيين عظيمين وهما شيث بن آدم وهرمس ، وأمسك عن هدمهما ؛ ثم ملك بعده الوليد بن مصعب ، وهو فرعون موسى عليه السلام ، وقد اختلف فيه ، فقيل إنه من العمالقة وهو الأظهر ، وقيل إنه هو فرعون يوسف ، وأطال الله تعالى عمره إلى أيام موسى عليه السلام .

قال ابن سعيد : وذكر القرطبى فى تاريخ مصر أن الوليد المذكور كان من القبط ، وكان فى أول أمره صاحب شرطة لكلسم العملاقى ، وكانت الأقباط قد كثرت ، فملكوا الوليد المذكور بعد كلسم ، وانقرضت من حينئذ دولة العمالقة من مصر ، قال والوليد المذكور هو الذى ادعى الربوبية ، قال وصنف الناس فى سيرته وخلدوا ذكره ، وكانت أرض مصر على أيامه فى نهاية من العمارة ، فعظمت دولته وكثرت عساكره ، وفى مناجاة موسى عليه السلام : يا رب لم أطلت عمر عدوك فرعون ، يعنى الوليد المذكور مع ادعائه ما انفرد به من الربوبية وجحد نعمتك ، فقال الله تعالى : أمهلته لأن فيه خصلتين من خلال الإيمان الجود والحياء ، وكان هامان وزير فرعون المذكور وهو الذى حفر لفرعون خليج السردوسى ، ولما أخذ هامان فى حفره سأله أهل كل قرية أن يجريه إليهم ويعطوه على ذلك مالاً ، وكان يأتى به إلى القرية نحو المشرق ثم يرده إلى القرية من نحو المغرب وكذلك فى الجنوب والشمال ، واجتمع لهامان من ذلك نحو مائة ألف دينار ، فأتى بها إلى فرعون وأخبره بالقضية ، فقال فرعون : ويحك إنه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ولا [يطمع] بما فى أيديهم ورد على أهل كل قرية ما أُخِذَ منهم ، وأخبر فرعون المذكور المنجمون بظهور موسى عليه السلام وزوال ملكه على يده ، فأخذ فى قتل الأطفال حتى قتل تسعين ألف ألف طفل ، وسلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام [ق ٢٩ / أ] منه بأن التقطه زوج فرعون آسية وحمته منه ، وتزعم اليهود أن التى التقطت موسى عليه السلام هى بنت فرعون لا زوجته والأصح أنها زوجته حسبما نطق به القرآن العظيم ، ولما كان منه ومن موسى ما تقدم ذكره من إظهار الآيات لفرعون وهى العصا واليد البيضاء والجراد والقمل والضفادع وصيرورة الماء دمًا وغير ذلك سلم فرعون بنى إسرائيل إلى موسى عليه السلام ، ولما أخذهم موسى عليه السلام وسار بهم ندم فرعون على ذلك وركب بعساكره وتبعهم ، فلحقهم عند بحر القُلْزُمْ ، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام فضرب البحر بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقًا لكل سِبْطٍ طريق ، فتبعه فرعون ، فغرق هو وجنوده ، وكان هلاك فرعون المذكور بعد مضى ثمانين سنة من عمر موسى عليه السلام ، وكان قد تملك [من] قبل ولادة موسى ، ولذلك أمر بقتل الأطفال فى أيام ولادة موسى عليه السلام ، فمدة ملك فرعون المذكور تزيد على ثمانين سنة قطعًا .

ولما هلك فرعون المذكور ملكت القبط بعده دلوكة المشهورة بالعجوز وهى من بنات ملوك القبط ، وكان السحر قد انتهى إليها وطال عمرها حتى عرفت بالعجوز وصنعت على أرض مصر من أول أرضها فى حد أسوان إلى آخرها سورًا متصلًا ، إلى هنا انتهى كلام ابن سعيد المغربى ، ولم يذكر من تولى بعد دلوكة .

ثم إنى قد وجدت فى أوراق قد نقلت من تاريخ ابن حيون الطبرى - وهو تاريخ ذكر فيه ملوك مصر فى قديم الزمان - قال : ثم ملك مصر بعد دلوكة صبى من أبناء أكابر القبط كان يقال له دركون بن بكتوس ، تم ملك بعده توذس ، ثم ملك بعده أخوه لقاش ، ثم ملك بعده أخوه مرينا ، ثم ملك بعده استماذس ، ثم ملك بعده يلطوس بن ميكاكيل ثم ملك بعده مالوس ، ثم ملك بعده بولة ، وهو الذى غزا رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام ، وقد ذكر فى كتب اليهود أن فرعون الذى غزا بنى إسرائيل على أيام رحبعم كان اسمه شيشاق وهو الأصح ، ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو الذى غزاه بختنصر وصلبه ، وكان [بين] رحبعم بن سليمان عليه السلام وبختنصر [فوق] أربعمائة سنة ، ولم يقع لى أسماء الفراعنة الذين كانوا فى هذه المدة أعنى فيما بين شيشاق وفرعون الأعرج ، ولما قتل بختنصر فرعون المذكور وغزا مصر ، وأباد أهلها بقيت مصر أربعين سنة خرابًا .

ومن كتاب ابن سعيد المغربى قال : وصارت مصر والشام من حين غزاهما بختنصر [تحت] ولايته حتى مات بختنصر ، وتوالت الولاة من جهة بنى بختنصر على مصر والشام حتى انقرضت دولة بنى بختنصر ، فتوالت ولاة الفرس على مصر ، فكان منهم [كشروس] الفارسى بانى قصر الشمع ، ثم تولى بعده طخارست الطويل ، قال وفى أيامه كان بقراط الحكيم [ق ٢٩ / ب] وتوالت بعده نواب الفرس إلى ظهور الإسكندر وغلبته على الفرس .

ذكر ملوك اليونان

أما ملوك اليونان ، فأول من اشتهر منهم فيلبس والد الإسكندر ، وكان مقر ملكه بمقدونية ، وهى مدينة حكماء اليونان ، وهى مدينة على جانب الخليج القسطنطينى من شرقيه ، وكانت ملوك اليونان طوائف ، ولم يشتهر منهم غير فيلبس المذكور ، وكان فيلبس المذكور يؤدى الأتاوة لملوك الفرس ، فلما مات فيلبس المذكور ملك بعده ابنه الإسكندر بن فيلبس ، وقد مرت أخبار الإسكندر مع ملوك الفرس ، وملك الإسكندر نحو ثلاث عشرة سنة ، ومات الإسكندر فى أواخر السنة السابعة من غلبته على ملك الفرس . ولما مات انقسمت البلاد بين الملوك ، فملك بعض الشام والعراق أنطياخس ، وملك مقدونية أخو الإسكندر واسمه فيلبس

أيضًا باسم أبيه ، وملك بلاد العجم ملوك الطوائف الذين رتبهم الإسكندر ، وملك مصر وبعض الشام والمغرب البطالسة وهم ملوك اليونان ، وكان يسمى كل واحد منهم بطليموس وهى لفظة مشتقة من الحرب معناها أسد الحرب ، وكان عِدَّة البطالسة الذين ملكوا بعد الإسكندر ثلاثة عشر ملكًا ، وكان آخرهم الملكة قلوبطرا بنت بطليموس ، ولم أعلم أى بطليموس هو [و] لا كنيته ، وزال ملكهم بملك أغسطس الرومى ، وصارت الدولة للروم ، وكانت جميع مدة [ملك] اليونان مائتين وخمس وسبعين سنة ، وكان بين غلبة الإسكندر على ملك فارس وبين غلبة أغسطس مائتين واثنتين وثمانين سنة . وبقى الإسكندر بعد غلبته على دارا نحو سبع سنين ، وإذا نقصنا سبعا من مائتين واثنتين وثمانين سنة بقى من موت الإسكندر إلى غلبة أغسطس مائتان وخمس وسبعون سنة هى مدة ملك البطالسة .

وأول البطالسة بعد الإسكندر بطليموس سشوس بن لاغوس ، وكان يلقب المنطقى ، وملك المذكور عشرين سنة ، فيكون موت ابن لاغوس المذكور لسبع وعشرين سنة مضت من غلبة الإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس الثانى واسمه فيلوسوفوس ، ومعناه محب أخيه ، وملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وهو الذى نقلت له التوراة من العبرانية إلى اليونانية ، وهو الذى عتق اليهود الذين وجدهم أسرى لما تملك ، وقد تقدم ذكر ذلك عند ذكر بنى إسرائيل ، فيكون موت محب أخيه المذكور لخمس وستين سنة مضت من غلبة الإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس الثالث واسمه أوراخيطس ، وملك خمسًا وعشرين سنة ، وفى أيامه أدى له ملك الشام الأتاوة ، فيكون موت أوراخيطس المذكور لتسعين سنة مضت من غلبة الإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس الرابع واسمه فِيلُوبَطَر ، ومعناه محب أبيه ، وملك سبع عشرة سنة ، فيكون موت محب أبيه المذكور لمضى مائة سنة وسبع سنين من غلبة الإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس الخامس واسمه أفيفنوس[1] أربعًا وعشرين سنة ، فيكون موت افيفنوس المذكور لمائة وإحدى وثلاثين سنة مضت [ق ٣٠/أ] من غلبة الإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس السادس واسمه فيلوميطور ، ومعناه محب أمه ، وملك خمسًا وثلاثين سنة ، فموته لمضى مائة وست وستين سنة لغلبة الإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس السابع واسمه أوراخيطس الثانى ، وملك تسعًا وعشرين سنة ، فموته لمضى مائة وخمس وتسعين سنة للإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس الثامن ، واسمه سوطيرا ست عشرة سنة ، فيكون موت سوطيرا المذكور لمضى مائتين واحدى عشرة سنة لغلبة الإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس التاسع ، واسمه سيدبريطس[2] تسع سنين ، فيكون موته لمضى مائتين وعشرين سنة لغلبة الإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس

(١) ط : فيفنوس .
(٢) ص : سيدبريطس .

العاشر ، واسمه اسكندروس[١] ثلاث سنين ، فموته لمضى مائتين وثلاث وعشرين سنة للإسكندر . ثم ملك بعده بطليموس الحادى عشر ، واسمه فيلوذفوس آخر ، فملك ثمان سنين ، فموت فيلوذفوس المذكور لمضى مائتين وإحدى وثلاثين سنة للإسكندر . ثم ملك بطليموس الثانى عشر ، واسمه دينوسيوس[٢] تسعًا وعشرين سنة ، فيكون موت المذكور لمضى مائتين وستين سنة للاسكندر . ثم ملكت قلوبطرا ، وهى الثالثة عشرة ، وملكت المذكورة اثنتين وعشرين سنة ، وعند مضى اثنتين وعشرين سنة من ملكها غلبها أغسطس على الملك ، فقتلت قلوبطرا نفسها وانقرض بذلك ملك اليونان ، وانتقلت المملكة حينئذ إلى الروم ، وهم بنو الأصفر ، فموت قلوبطرا وغلبة أغسطس كان لمضى مائتين واثنتين وثمانين سنة لغلبة الإسكندر .

ذكر ملوك الروم

ذكر أبو عيسى فى كتابه : أن أول ما ملكت عليهم الروم رُومُلُس وروماناوس ، فبنيا مدينة رومية واشتقا اسمها من اسمهما ، ثم وثب روملس على أخيه روماناوس ، فقتله ، وملك بعد قتله ثمانيا وثلاثين سنة وحده ، واتخذ روملس برومية ملعبًا عجيبًا ، ثم ملك بعده على رومية عدة ملوك ، ولم يشتهروا ولا وقعت إلينا أخبارهم .

ومن الكامل لابن الأثير : أن ملوك الروم كان مقر ملكهم رومية الكبرى قبل غلبتهم على اليونان ، وكان الروم يدينون بدين الصابئين ولهم أصنام على أسماء الكواكب السبعة يعبدونها ، وكان أول من اشتهر من ملوكهم غانيوس ، ثم ملك بعده يوليوس ، ثم ملك بعده أغسطس بشينين معجمتين ، ولكن لما عرب صار بسينين مهملتين ولقبه قيصر ، ومعناه شق عنه لأن أمه ماتت قبل أن تلده فشقوا بطنها وأخرجوه ، فلقب قيصر ، وصار لقبًا لملوك الروم بعده . وخرج أغسطس فى السنة الثانية عشرة من ملكه من رومية بعساكر عظيمة فى البر والبحر ، وسار إلى الديار المصرية ، واستولى على ملك اليونان ، وكانت قلوبطرا هى ملكة اليونان ، وكان مقامها فى الإسكندرية ، فلما غلبها أغسطس قتلت قلوبطرا نفسها فى السنة الثانية عشرة من ملك أغسطس .

ولما ملك أغسطس الرومى على اليونان اضمحل ذكر اليونان [ق ٣٠/ب] ودخلوا فى الروم ، ولما ملك أغسطس ديار مصر والشام دخلت بنو اسرائيل تحت طاعته كما كانوا تحت

(١) ص : اسكندروش .
(٢) ص : ديوسيوس .

طاعة البطالسة ملوك اليونان ، فولّى أغسطس ببيت المقدس على اليهود واليا منهم ، وكان يلقب هرذوس حسبما تقدم ذكره . وفى أيام أغسطس ولد المسيح عليه السلام ، وقد تقدم ذكره أيضًا [وكانت] غلبة أغسطس على ديار مصر وقتل قلوبطرا لمضى مائتين واثنتين وثمانين سنة لغلبة الاسكندر ، وكانت مدة ملك أغسطس ثلاثًا وأربعين سنة منها اثنتا عشرة سنة قبل غلبته على اليونان وإحدى وثلاثون سنة من [غلبته] إلى وفاته ، وكان موت أغسطس لمضى ثلثمائة وثلاث عشرة سنة لغلبة الاسكندر ، ثم ملك بعد أغسطس طيباريوس فى أول سنة ثلثمائة وأربع عشرة سنة للاسكندر .

من كتاب أبى عيسى : أن طيباريوس ملك اثنتين وعشرين سنة ، وطيباريوس المذكور هو الذى بنى طبرية بالشام واشتق اسمها من اسمه ، ومات طيباريوس لمضى ثلثمائة وخمس وثلاثين سنة للاسكندر . ثم ملك بعد طيباريوس : غانيوس ، قال أبو عيسى : وملك غانيوس أربع سنين . ولمضى السنة الأولى من ملك غانيوس رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، فيكون رفعه لمضى سنة ست وثلاثين وثلمائة للاسكندر ، ومات غانيوس لمضى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة للاسكندر ، ثم ملك بعد غانيوس : قلوذيوس ، قال أبو عيسى ، وملك قلوذيوس أربع عشرة سنة .

من القانون : وفى أيام قلوذيوس كان سيمون الساحر برومية .

من الكامل : وفى مدة قلوذيوس المذكور حبس شمعون الصفا ، ثم خلص وسار إلى أنطاكية ودعا إلى النصرانية ، ثم سار إلى رومية ودعا أهلها أيضًا فأجابته زوجة الملك ، وكان موت قلوذيوس لمضى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة للاسكندر . ثم ملك بعده نارون .

من قانون أبى الريحان البيرونى : أنه ملك ثلاث عشرة سنة ، وهو الذى قتل فى آخر ملكه بطرس وبولص برومية وصلبهما منكسين ، وكان موت نارون المذكور فى أواخر [سنة] ست وستين وثلثمائة للاسكندر . ثم ملك بعده ساسيانوس ، قال أبو عيسى : وملك ساسيانوس المذكور عشر سنين ، فيكون موته فى أواخر سنة ست وسبعين وثلثمائة . ثم ملك بعده طيطوس – من القانون – ملك سبع سنين ، وهو الذى غزا اليهود وأسرهم وباعهم وضرب بيت المقدس وأحرق الهيكل ، وقد تقدم ذلك عند ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثانى ، وكان موت طيطوس فى أواخر سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة للاسكندر.

ثم ملك بعده ذو مطينوس – من القانون – ملك خمس عشرة سنة ، وتتبع النصارى واليهود وأمر بقتلهم ، وكان دينه ودين غيره من الروم عبادة الأصنام حسبما قدمنا ذكره ، وكان موت ذو مطينوس فى أواخر سنة ثمان وتسعين وثلثمائة . ثم ملك بعده نارواس من كتاب أبى عيسى : أنه ملك سنة واحدة ، وكانت وفاته فى أواخر سنة تسع وتسعين وثلثمائة للإسكندر ، ثم

ملك بعده طرايانوس ، وقيل غراطيانوس من كتاب أبى عيسى – ملك تسع عشرة سنة ، وقيل تسعًا وعشرين سنة ، فيكون موته فى أواخر [ق ٣١/أ] سنة ثمانى عشرة وأربعمائة للاسكندر . ثم ملك بعده أدريانوس – من كتاب أبى عيسى – ملك إحدى وعشرين سنة ، وكان فى [أيامه] بطلميوس صاحب المجسطى ، وقد تقدم أن بطلميوس لقب ملوك اليونان الذين ملكوا بعد الإسكندر ثم تسمى به الناس ، وكان من جملتهم بطلميوس المذكور . قال فى الكامل : وبطلميوس صاحب المجسطى المذكور من ولد قلوذيوس ، ولهذا قيل له القلوذى ، و[تجذم] أدريانوس المذكور لمضى ثمانية عشرة [سنة] من ملكه ، فصار إلى مصر يطلب شفاء لجذامه ، فلم يجد ذلك ، وكان موته فى أواخر سنة تسع وثلاثين وأربعمائة للإسكندر .

ثم ملك بعده أنذونينوس ، قال أبو عيسى : ملك ثلاثًا وعشرين سنة ، وكان أحد أرصاد بطلميوس صاحب المجسطى فى السنة الثالثة من ملكه ، وكان موته فى أواخر سنة اثنتين وستين وأربعمائة للاسكندر ، ثم ملك بعده مرقوس ، وقيل قوموذوس وشركاؤه – من القانون – ملك تسع عشرة سنة ، ومن الكامل لابن الأثير : فى أيامه أظهر ابن ديصان مقالته من القول بالاثنين ، وكان [ابن] ديصان أسقفًا بالرها ونسب إلى نهر على باب الرها اسمه ديصان لأنه بنى على [جانب] النهر كنيسة ، ثم مات مرقوس فى أواخر سنة إحدى وثمانين وأربعمائة للاسكندر. ثم ملك بعده قوموذوس – من القانون – ثلاث عشرة سنة ، وفى آخر أيامه خنق نفسه ومات بغتة ، وكان موته فى أواخر سنة أربع وتسعين وأربعمائة للاسكندر . وقال فى الكامل : إن جالينوس كان فى أيام قوموذوس المذكور ، وقد أدرك جالينوس بطلميوس ، وكان دين النصارى قد ظهر فى أيامه ، وقد ذكرهم جالينوس فى كتابه جوامع كتاب أفلاطون فى سياسة المدن ، فقال إن جمهور الناس لا يمكنهم أن يفهموا سياقة الأقاويل البرهانية ، ولذلك صاروا محتاجين إلى رموز ينتفعون بها ، يعنى بالرموز الإخبار عن الثواب والعقاب فى [الدار] الآخرة ، من ذلك أنا نرى الآن القوم الذين يدعون نصارى إنما أخذوا إيمانهم عن الرموز وقد يظهر منهم أفعال مثل أفعال من تفلسف بالحقيقة ، وذلك أن جزعهم من الموت أمر قد نراه كلنا ، وكذلك أيضًا عفافهم عن استعمال الجماع ، فإن منهم قومًا رجالاً ونساء أيضًا قد أقاموا جميع أيام حياتهم ممتنعين عن الجماع ، ومنهم قوم قد بلغ من ضبطهم لأنفسهم فى التدبير وشدة حرصهم على العدل أن صاروا غير مقصرين عن الذين يتفلسفون بالحقيقة ، انتهى كلام جالينوس . ثم ملك بعد قوموذوس المذكور : فرطنجوس ستة أشهر ، وقتل فى رحبة القصر ، فيكون موته فى منتصف سنة خمس وتسعين وأربعمائة . ثم ملك سيوارس [ق ٣١/ب] – من القانون – ملك ثمانى عشرة سنة ، وفى أيامه بحثت الأساقفة عن أمر الفصح وأصلحوا رأس الصوم ، وهلك سيوارس المذكور فى منتصف سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . ثم بعده أنطينينوس الثانى ، من كتاب أبى عيسى – أربع سنين ، وقتل ما بين حران والرها ، فيكون هلاكه فى

منتصف سنة سبع عشرة وخمسائة . ثم ملك بعده الإسكندروس – من كتاب أبي عيسى – ثلاث عشرة سنة ، فيكون موته فى منتصف سنة ثلاثين وخمسمائة . ثم ملك بعده مكسيمينوس – من القانون – ثلاث سنين ، وشدد فى قتل النصارى ، وكان موته فى منتصف سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة للاسكندر . ثم ملك بعده : غورذيانوس – من كتاب أبي عيسى – ست سنين ، وقتل فى حدود فارس ، وكان هلاكه فى منتصف سنة تسع وثلاثين وخمسمائة للاسكندر . ثم ملك بعده دقيوس ، ويقال دقيانوس – من كتاب أبي عيسى – سنة واحدة ، وكان الملك الذى قبله قد تنصر ، فخرج عليه دقيوس وقتله وأعاد عبادة الأصنام ودين الصابئين ، وتتبع النصارى يقتلهم ، ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف ، وكانوا سبعة وناموا والله أعلم بما لبثوا كما أخبر الله تعالى ، وكان هلاك دقيوس فى منتصف سنة أربعين وخمسمائة . ثم ملك بعده غاليوس – من كتاب أبي عيسى – وملك ثلاث سنين ، ومات فى منتصف سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة للاسكندر . ثم ملك بعده غلينوس وولريانوس – من كتاب أبي عيسى – ملكا خمس عشرة سنة ، ومن الكامل – أن ولريانوس وقيل اسمه ولونينوس [انفرد بالملك] بعد سنتين من اشتراكهما ، فيكون موت المذكور فى منتصف سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

ثم ملك بعده قلوذيوس سنة واحدة ، فيكون هلاكه فى منتصف [سنة] تسع وخمسين وخمسمائة . ثم ملك بعده [أذرفاس] ، وقيل أورليانوس من كتاب أبي عيسى : ملك ست سنين ومات بصاعقة ، فيكون هلاكه فى منتصف سنة خمس وستين وخمسمائة . ثم ملك بعده قرونوس ، من كتاب أبي عيسى سبع سنين ، وهلك فى منتصف سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . ثم ملك بعده قاروس وشركته – من كتاب أبي عيسى – سنتين ومات فى منتصف سنة أربع وسبعين وخمسمائة للاسكندر . ثم ملك بعده دقلطيانوس إحدى وعشرين سنة ، ولثلاث عشرة سنة مضت من ملكه عصى عليه أهل مصر والاسكندرية فسار إليهم من رومية وغلبهم وأنكى فيهم ، ودقلطيانوس المذكور آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم ، فإنهم تنصروا بعده ، وكان هلاك دقلطيانوس فى منتصف خمس وتسعين وخمسائة للاسكندر . ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة – من القانون – ولثلاث مضت من ملكه انتقل من رومية إلى قسطنطينية وبنى سورها وتنصر ، وكان اسمها البزنطية ، فسماها القسطنطينية ، وزعمت النصارى أنه بعد ست سنين خلت من ملك قسطنطين المذكور [ق ٣٢/أ] ظهر له فى السماء شبه الصليب فآمن بالنصرانية ، وكان قبل ذلك هو ومن تقدمه على دين الصابئة يعبدون أصنامًا على أسماء الكواكب السبعة ، ولعشرين سنة مضت من ملك قسطنطين المذكور اجتمع ألفان وثمانية وأربعون أسقفًا ، ثم اختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفًا فحرموا أريوس الاسكندرانى لكونه يقول إن المسيح كان مخلوقًا ، واتفقت الأساقفة المذكورون لدى قسطنطين ، ووضعوا شرائع النصرانية بعد أن لم تكن ، وكان رئيس هذه البطارقة بطريق الإسكندرية ، وفى إحدى

عشرة سنة خلت من ملكه سارت أم قسطنطين واسمها [هيلانى] إلى القدس ، وأخرجت خشبة الصلبوت ، وأقامت لذلك عيدًا يسمى عيد الصلب ، وبنى قسطنطين وأمه عدة كنائس ، فمنها : قمامة بالقدس ، وكنيسة حمص ، وكنيسة الرها ، وكان موت قسطنطين فى منتصف سنة ست وعشرين وستمائة للاسكندر ، ولما مات قسطنطين انقسمت مملكته بين بنيه الثلاثة ، وكان الحاكم عليهم منهم قسطس - من القانون - وملك قسطس بن قسطنطين أربعًا وعشرين سنة ، وكان موته فى منتصف سنة خمسين وستمائة . ثم خرج الملك عن بنى قسطنطين وملك لليانوس وارتد إلى عبادة الأصنام وسار إلى سابور ذى الأكتاف وقهره ثم قتل فى أرض الفرس بسهم غرب ، وكان قد انتصر على سابور ذى الأكتاف حسبما تقدم ذكره مع ذكر سابور ذى الأكتاف فى الفصل الثانى .

ولما هلك لليانوس اضطرب عسكره وخافوا من الفرس ، وكانت مدة ملك لليانوس سنتين ، وهلك فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة [للاسكندر] . ثم ملك بعده يونيانوس سنة واحدة - من كتاب أبى عيسى : ويونيانوس المذكور لما ملك أظهر تنصره وأعاد ملة النصرانية إلى ما كانت عليه ، ولما ملك المذكور على الروم وهم بأرض الفرس اصطلح يونيانوس مع سابور ، ووصل إلى سابور واجتمعا واعتنقا ، ثم عاد يونيانوس بالعسكر إلى بلاده ومات فى منتصف سنة ثلاث وخمسين وستمائة للاسكندر . ثم ملك بعده والنطيانوس - من كتاب أبى عيسى - ملك أربع عشرة سنة ، وكان موته فى منتصف سنة سبع وستين وستمائة . ثم ملك بعده أنونيانوس - قال أبو عيسى - وملك ثلاث سنين ، فيكون موته فى منتصف سنة سبعين وستمائة .

ثم ملك بعده خرطيانوس - من كتاب أبى عيسى - ملك ثلاث سنين ، فيكون موته فى منتصف سنة ثلاث وسبعين وستمائة . ثم ملك بعده ثاوذوسيوس الكبير - من كتاب أبى عيسى - ملك تسعًا وأربعين سنة ، فيكون موته فى منتصف سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة للاسكندر . ثم ملك بعده أرقاذيوس [ق ٣٢/ب] بقسطنطينية وشريكه أونوريوس برومية - من القانون - ملكا ثلاث عشرة سنة ، فيكون هلاكهما فى منتصف سنة خمس وثلاثين وسبعمائة للإسكندر . ثم ملك بعدهما ثاوذوسيوس الثانى - من كتاب أبى عيسى - ملك عشرين سنة ، وفى أيامه غزت فارس الروم ، وفى أيام ثاوذوسيوس المذكور انتبه أصحاب الكهف ، وكان موت ثاوذوسيوس المذكور فى منتصف سنة خمس وخمسين وسبعمائة للإسكندر ، وفى مدة ملكه كان المجمع الثالث فى إفِسُسْ واجتمع مائتا أسقف وحرموا نسطورس صاحب المذهب وكان بطركًا بالقسطنطينية لقول نسطورس إن المسيح جوهران : جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى ، وأقنومان : أقنوم لاهوتى وأقنوم ناسوتى ، و[قد] قيل إن ثاوذوسيوس المذكور ملك اثنتين وأربعين سنة . ثم ملك بعده مرقيانوس - من القانون - ملك سبع سنين ، ولسنة خلت من

ملكه بنى ديرمارون الذى بحمص ، وفى أيامه لعن نسطورس ونفى ، وكان موت مرقيانوس فى منتصف سنة اثنتين وستين وسبعمائة . ثم ملك بعده والنطنيس – من كتاب أبى عيسى – ملك سنة واحدة ، فيكون موته فى منتصف سنة ثلاث وستين وسبعمائة . ثم ملك بعده لاون الكبير – من القانون – وملك سبع عشرة سنة ، وفى أيامه كثر الخسف فى أنطاكية بالزلازل ، وكان موته فى منتصف سنة ثمانين وسبعمائة . ثم ملك بعده زينون – من القانون – ملك ثمانى عشرة سنة ، ومات فى منتصف سنة ثمان وتسعين وسبعمائة للاسكندر . ثم ملك بعده اسطيثيانوس من كتاب أبى عيسى وملك سبعًا وعشرين سنة ، وهو الذى عمر أسوار مدينة حماة فى أول سنة من ملكه ، وفرغت عمارتها فى مدة سنتين ، ولعشر سنين خلت من ملكه أصاب الناس جوع شديد ، وانتشر فيهم الجراد ، ولاثنتى عشرة [سنة] من ملكه ، غزا قواد الفرس آمد وحاصروها وخربوها ، وكان موت اسطيثيانوس فى منتصف سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، ثم ملك بعده يسطينينوس – من كتاب أبى عيسى – وملك يسطينينوس تسع سنين ومات فى منتصف سنة أربع وثلاثين وثمانمائة للإسكندر ، ثم ملك بعده يسطينينوس الثانى – من كتاب أبى عيسى – وملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وكثرت الحروب فى أيامه بين الفرس والروم ، وكان فى السنة الثامنة من ملكه بينهم مصاف على شط الفرات ، قتل منهم خلق عظيم ، وغرق من الروم فى الفرات بشر كثير ، وكان موت يسطينينوس فى منتصف سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة للاسكندر . ثم ملك بعده يسطينينوس آخر – من القانون – أربع عشرة سنة ، ولسبع سنين خلت من ملكه ، أقبل ملك الفرس ، وغزا الشام وأحرق مدينة أفامية ، وكان موته فى منتصف سنة ست وثمانين وثمانمائة . ثم ملك بعده طبريوس الأول – من كتاب أبى عيسى – ملك ثلاث سنين ، وكان موته [ق ٣٣/أ] فى منتصف سنة تسع وثمانين وثمانمائة . ثم ملك بعده طبريوس الثانى – من كتاب أبى عيسى – ملك أربع سنين ، فيكون هلاكه فى منتصف سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة . ثم ملك بعده ماريقوس من كتاب أبى عيسى ، وملك ثمان سنين فيكون هلاكه فى منتصف سنة إحدى وتسعمائة . ثم ملك بعده ماريقوس الثانى من كتاب أبى عيسى – وملك اثنتى عشرة سنة ، فيكون موته فى منتصف ثلاث عشرة وتسعمائة . ثم ملك بعده قوقاس ثمان سنين ، فيكون موته فى منتصف سنة إحدى وعشرين وتسعمائة . ثم ملك بعده هرقل واسمه بالرومى ارقليس ، وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشرة من ملكه ، فتكون الهجرة لمضى ثلاث وثلاثين وتسعمائة سنة لغلبة الاسكندر على دارا ، ولكن قد أثبتنا فى الجدول أن بين الهجرة وبين غلبة الاسكندر تسعمائة وأربع وثلاثين سنة ، وذلك باعتبار التفاوت بين السنين الشمسية والقمرية فيما بين مولد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وهجرته وهو ثلاث وخمسون سنة قمرية ، وبالتقريب يكون [هو إحدى وخمسين سنة شمسية وثلث سنة] .

الفصل الرابع

فى ملوك العرب قبل الإسلام

وأما ما يتعلق بقبائل العرب وأنسابهم ، فإنما نذكره عند [ذكر] أمة العرب فى الفصل الخامس المشتمل على ذكر الأمم إن شاء الله تعالى .

من كتاب ابن سعيد المغربى : أن بعد تبلبل الألسن وتفرق بنى نوح أول من نزل اليمن قحطان بن عابر بن شالح المقدم الذكر ، [وقحطان المذكور] أول من ملك أرض اليمن ولبس التاج ، ثم مات قحطان وملك [بعده] ابنه يعرب بن قحطان ، وهو أول من نطق بالعربية على ما ذكر ، ثم ملك بعده يشجب بن يعرب ، ثم ملك بعده ابنه عبد شمس [بن يشجب] ، ولما ملك أكثر الغزو ، وملك أقطار البلاد فسمى سبأ ، وهو الذى بنى السد بأرض مأرب [وفجر إليه سبعين نهرًا وساق إليه السيول من أمد بعيد وهو الذى] بنى مدينة مأرب وعرفت بمدينة سبأ ، وقيل : إن مأرب لقب للذى مَلَكَ اليمن ، وقيل إن مأرب [هو] قصر الملك والمدينة [سبأ] ، وخلف سبأ المذكور عدة أولاد منهم : حمير وعمرو وكهلان وأشعر وغيرهم على ما سنذكره فى الفصل الخامس عند ذكر أمة العرب .

ولما مات سبأ ملك اليمن بعده ابنه حمير بن سبأ ، ولما ملك أخرج ثمود من اليمن إلى الحجاز ، ثم ملك بعده ابنه وائل بن حمير ، ثم ملك بعده ابنه السكسك بن وائل ، ثم ملك بعده يعفر بن السكسك ، ثم وثب على ملك اليمن ذو رياش ، وهو عامر بن باران بن عوف بن حمير . ثم نهض من بنى وائل النعمان بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير واجتمع عليه الناس ، وطرد عامر بن باران عن الملك ، واستقل النعمان المذكور بملك اليمن ، ولقب نعمان المذكور بالمعافر لقوله :

إذا أنت عافرت الأمور بقدرة   بلغت معالى الأقدمين المقاوِل[1]

والمَقاوِل [لفظة جمع] ، وهم الذين يلون الجهات الكبار من اليمن . ثم ملك بعده ابنه أشمح بن نعمان المعافر المذكور [ق ٣٣/ب] ، ثم ملك بعده شداد بن عاد بن الملطاط بن

---

(١) ص : معاول والمقاول جمع مِقْوَل وهو القَيْل - بلغة أهل اليمن - وهو من ملوك حمير ولكن دون الملك الأعلى [لسان العرب ، ماده قول : جـ ٥] .

سبأ ، واجتمع له الملك ، وغزا البلاد إلى أن بلغ أقصى المغرب وبنى المدائن والمصانع[١] وأبقى الآثار العظيمة . ثم ملك بعده أخوه لقمان بن عاد . ثم ملك بعده أخوه ذو شدد بن عاد ، ثم ملك بعده ابنه الحارس بن ذى شدد ، ويقال له الحارث الرائش ، وقيل إن الرائش المذكور هو ابن قيس بن صيفى بن سبأ الأصغر ، وهوتبع الأول ، ثم ملك بعده ابنه ذو القرنين الصعْب بن الرائش ، وقد نقل ابن سعيد أن ابن عباس سئل عن ذى القرنين الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز ، فقال : هو من حمير وهو الصعب المذكور ، فيكون ذو القرنين المذكور فى الكتاب العزيز هو الصعب بن الرائش المذكور لا الإسكندر الرومى . ثم ملك بعده ابنه ذو المنار أبرهة ابن ذى القرنين . ثم ملك بعده ابنه أفريقس بن أبرهة . ثم ملك بعده أخوه ذو الأذعار عمرو ابن ذى المنار . ثم ملك بعده شرحبيل بن عمرو بن غالب بن المنتاب بن زيد بن يعفر ابن السكسك بن وائل بن حمير ، فإن حمير كرهت ذا الأذعار ، فخلعت طاعته ، وقلدت الملك سرحبيل [المذكور وجرى بين شرحبيل وذى الأذعار قتال شديد قتل فيه خلق كثير واستقل سرحبيل] بالملك . ثم ملك بعده ابنه الهدهاد بن شرحبيل ، ثم ملكت بعده [بنته] بلقيس بنت الهدهاد ، وبقيت فى ملك اليمن عشرين سنة ، وتزوجها سليمان بن داود عليهما السلام . ثم ملك بعدها عمها ناشر النعم بن شرحبيل ، وقيل إن ناشر النعم بن شرحبيل ، اسمه مالك ابن عمرو بن يعفر بن عمر ، ومن ولد المنتاب بن زيد الحميرى ، ثم ملك بعده شَمَرْ يَرْعَشْ بن ناشر النعم المذكور ، وقيل شمر بن افريقس بن أبرهة ذى المنار ، ثم ملك بعده ابنه أبومالك ابن سمر ، ثم ملك بعده عمران بن عامر الأزدى وهو عمران بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ . وانتقل الملك حينئذ من ولد حمير بن سبأ إلى أخيه كهلان بن سبأ ، وكان عمران المذكور كاهناً ، ثم ملك بعده أخوه مُزَيْقِيَا عمرو بن عامر الأزدى ، وقيل له مُزَيْقِيَا لأنه كان يلبس فى كل يوم بدلة ، فإذا أراد الدخول إلى مجلسه رمى بها فمزقت لئلا يجد فيها أحد ما يلبسه بعده ، انتهى كلام ابن سعيد المغربى .

ومن تاريخ حمزة الأصفهانى : أن الذى ملك بعد أبى مالك بن شمر المذكور قبل عمران الأزدى ابنه الأقرن بن أبى مالك . ثم ملك بعده ذو حبشان بن الأقرن وهو الذى أوقع بطسْم وجَدِيس . ثم ملك بعده أخوه تبع بن الأقرن ، ثم ملك بعده ابنه كليكرب بن تبع . ثم ملك بعده أبو كرب أسعد وهو تبع الأوسط ، وقتل . ثم ملك بعده ابنه حسان بن تبع ، وتتبع قتلة

---

(١) يقصد بلفظ المصانع هنا : ما يصنَعُهُ الناس من الآبار والأبنية وغيرها ، انظر : لسان العرب جـ ٤ مادة صنع ط دار المعارف .

أبيه فقتلهم عن آخرهم ، ثم قتله أخوه عمرو بن تبع وملك بعده وتواترت الأسقام بعمرو المذكور حتى كان لا يمضى إلى الخلاء إلا محمولاً على نعش ، فسمى ذا الأعواد لذلك . ثم ملك بعده عبد طلال بن ذى الأعواد . ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكرب ، وهو تبع الأصغر . ثم ملك بعده ابن أخيه الحارث بن عمرو ، وتهود الحارث المذكور . ثم ملك بعده مرثد بن كلال . ثم تفرق بعده ملك حمير ، والذى اشتهر بعده أنه ملك وكيعة بن مرثد . ثم ملك [ق ٣٤/أ] أبرهة بن الصباح . ثم ملك صهبان بن محرث . ثم ملك عمرو بن تبع . ثم ملك بعده ذو شناتر . ثم ملك بعده ذو نواس ، وكان من لا يتهود ألقاه فى أخدود مضطرم نارًا ، فقيل له صاحب الأخدود . ثم ملك بعده ذو جدن ، وهو آخر ملوك حمير ، وكان مدة ملكهم على ما قيل ألفين وعشرين سنة ، وإنما لم نذكر مدة ما ملكه كل واحد منهم لعدم صحته ، ولذلك قال صاحب تاريخ الأمم : ليس فى جميع التواريخ أسقم من تاريخ ملوك حمير ، لما يذكر فيه من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم ، فإنهم يزعمون أن ملوكهم ستة وعشرون ملكًا ملكوا فى مدة ألفين وعشرين سنة ، ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة أربع ، ومن الفرس ثمانية ، ثم صارت اليمن للإسلام .

من كتاب ابن سعيد المغربى : أن الحبشة استولوا على اليمن بعد ذى جدن الحميرى المذكور ، وكان أول من ملك اليمن من الحبش أرياط ، ثم ملك بعده أبرهة الأشرم صاحب الفيل الذى قصد مكة ، ثم ملك بعده يكسوم[1] ، ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، وهو آخر من ملك اليمن من الحبشة . ثم عاد ملك اليمن إلى حمير وملكها سيف بن ذى يزن الحميرى ، وهو الذى ملكه كسرى أنو شروان ، وأرسل مع سيف المذكور أحد مقدمى الفرس يقال له وهرز بجيش من العجم ، فساروا إلى اليمن وطردوا الحبشة عنها وقرروا سيف بن ذى يزن فى ملك اليمن ، ولما استقر سيف فى ملك أجداده باليمن وطرد الحبشة عنها ، جلس فى غمدان يشرب ، وهو قصر كان لأجداده باليمن ، فامتدحته العرب بالأشعار ، منها ما قاله فيه أمية بن أبى الصَّلْت ، ووصف تغرب سيف بن ذى يزن وقصده قيصر أولاً ثم كسرى فى إعادة ملك آبائه إليه حتى قدم بالفرس الذين مقدمهم وهرز ، فقال فى ذلك :

لا يقصد الناس إلا كابن ذى يزن	إذ خيم البحر للأعداء أحوالا
وافى هرقل وقد شالت نعامته	فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة	من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم	تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

---

(١) ص : مكسوم .

لله درهـم من فـتيـة صـبـروا	ما إن رأيت لهم فى الناس أمثالا[١]
بـيض مـرازبـة غلب أسـاورة	أسد تربت فى الغيضات أشبالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً	بـرأس غمدان دارا منـك محلالا
تلك المكـارم لا قعبان[٢] من لبن	شيبـا بمـاء فعـادا بعـد أبـوالا

وكان سيف بن ذى يزن المذكور قد اصطفى جماعة من الحبشان وجعلهم من خاصته ، فاغتالوه وقتلوه ، فأرسل كسرى عاملاً على اليمن ، واستمرت عمال كسرى على اليمن [إلى] أن كان آخرهم باذان الذى كان على عهد رسول الله ﷺ ، ثم صارت اليمن للإسلام ، [انتهى أخبار] ملوك اليمن .

ذكر ملوك العرب الذين كانوا فى غير [ق ٣٤/ب] اليمن

وكان أول من ملك على العرب بأرض الحيرة : مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان ابن عبدالله بن وهزان بن كعب [بن الحارث بن كعب] بن مالك بن نصر بن الأزد ، والأزد من ولد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان ملكه فى أيام ملوك الطوائف قبل الأكاسرة . ثم ملك بعده أخوه عمرو بن فهم ؛ ثم ملك بعده ابن أخيه : جَذِيمَة بن مالك ابن فهم ، وكان به برص فكنوا عنه ، وقالوا جذيمة الأبرش ، وعظم شأن جذيمة المذكور ، وكانت له أخت تسمى رقاش ، فهويت شخصًا من إياد كان جذيمة قد اصطنعه ، وكان يقال له عدى بن نصر بن ربيعة وهويها عدى المذكور أيضًا ، وكان عدى المذكور متسلمًا مجلس شراب جذيمة ، فاتفقت معه رقاش على أن يخطبها من أخيها جذيمة حال غلبة السكر عليه ، ففعل ذلك وأذن له جذيمة ، فدخل عدى برقاش ، فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه ، فهرب عدى المذكور ، فقيل إنه ظفر به جذيمة وقتله ، وحبلت رقاش من عدى المذكور ، فقال لها جذيمة:

خبـرينى رقـاش لا تـكـذبيـنى	أبـحـر زنـيـت أم بـهـجـين
أم بعبـد فـأنت أهـل لعبـد	أم بـدون فـأنت أهـل لـدون

فقالت : بل من خيار العرب ، وجاءت بولد وربته وألبسته طوقًا وسمته عمرًا ، وتبنن به جذيمة ، ثم عدم الغلام ، وتزعم العرب أن الجن اختطفته ثم وجده شخصان يقال لهما مالك

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ص .

(٢) قعبان . والقعبان مفردها القعب وهو القدح الضخم الغليظ .

وعقيل فأحضراه إلى جذيمة ففرح به فرحًا عظيمًا[1] ، فقال جذيمة لمالك وعقيل اللذين أحضراه ، اقترحا ما شئتما ، فقالا منادمتك ما بقيت وبقينا ، فهما اللذان يضرب بهما المثل ، فيقال كندمانى جذيمة ، [وفى أيام] جذيمة المذكور ، كان [قد] ملك الجزيرة وأعالى الفرات ومشارق الشام رجل من العمالقة يقال له عمرو بن الصرب بن حسان العمليقى ، وجرى بينه وبين جذيمة حروب ، فانتصر جذيمة عليه ، وقتل عمرو المذكور ، وكان لعمرو بنت تدعى الزباء واسمها نائلة [فملكت بعده] وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين ، وأخذت فى الحيلة على جذيمة وأطمعته بنفسها حتى اغتر ، وقدم إليها فقتلته وأخذت بثأر أبيها .

ذكر ابتداء ملك اللخميين ملوك الحيرة

وهم المناذرة بنو عدى [بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ ، ولما قتل جذيمة ملك بعده ابن أخته رقاش : عمرو بن عدى بن نصر] بن ربيعة ، وكان لجذيمة عبد يقال له قصير ، فاتفق معه عمرو بن عدى المذكور وجدع أنف قصير وضربه بالسياط ، وحضر قصير على تلك الحالة إلى الزباء على أنه مغاضب لعمَرو ، فصدقته الزباء وأمنت إليه لما رأت من حاله ، وصار قصير يتجر للزباء ، ويأخذ المال من مولاه ويحضره إلى الزباء على أنه كسب متجرها مرة بعد أخرى حتى أتى بقفل نحو ألف جَمَل من الصناديق وأقفالها من داخل ، وفيها رجال معتدون ، فلما شاهدت الزباء تلك الأحمال ارتابت منها ، فقالت :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفانًا باردًا شديدًا أم الرجال جثمًا قعودا

فلما دخلوا إلى حصن الزباء ، خرجت الرجال من الصناديق وأخذوا المدينة عنوة ، وقتلوا [ق ٣٥/أ] الزباء وأخذ قصير بثأر مولاه جذيمة ، وطالت مدة ملك عمرو بن عدى المذكور ، ثم مات وملك بعده ابنه : امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى ، وكان يقال لامرىء القيس المذكور البدء أى الأول . ثم ملك بعد امرئ القيس ابنه عمرو بن امرئ القيس ، وكان ملكه فى أيام سابور ذى الأكتاف . ثم ملك بعده أوس بن قلام العمليقى . ثم ملك آخر من العماليق ، ثم رجع الملك إلى بنى عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخميين المذكورين ، وملك منهم امرىء القيس من ولد عمرو بن امرىء القيس المذكور ، ويعرف امرؤ القيس الثانى هذا بالمحرِّق لأنه أول من عاقب بالنار . ثم ملك بعده ابنه النعمان الأعور بن امرىء القيس ، وهو الذى بنى الخورنق والسدير ، وبقى فى الملك ثلاثين سنة ، ثم تزهد وخرج

---

(١) بعدها فى ط ما يلى : « وكان اسم الصبى عمرًا » .

من الملك فى زمن بهرام جور بن يزدجرد ، وهو الذى ذكره عدى بن زيد فى قصيدته الرائية المشهورة بقوله :

وتــدبــر رب الخــورنق إذ أشــ ـــرف يــومًــا وللهــدى تفكــيرُ
ســره مــالــه وكثــرة مــا يمــ ـــلك والبحـر معـرض والسّــدير
فـارعـوى قلبـه وقـال ومـا غبـ ـــطة حى إلى الممــات يـصــير

ولما تزهد النعمان الأعور المذكور ، ملك بعده ابنه المنذر بن النعمان وانتهى ملكه فى زمن فيروز بن يزدجرد ، ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنذر ، وهو الذى انتصر على غسان عرب الشام وأسر عدة من ملوكهم ، وأراد الأسود المذكور أن يعفو عنهم ، وكان للأسود المذكور ابن عم يقال له أبو أذينة ، قد قتل آل غسان له أخًا فى بعض الوقائع ، فقال أبو أذينة فى ذلك قصيدته المشهورة يغرى الأسود بقتلهم ، فمنها :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسـوغـه المقـدار مـا وهبــا
وأحْزَمُ الناس مَنْ إذْ فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضبا
وأنصَفُ الناس فى كل المواطن مَنْ سقى المعادين بالكاس الذى شربا
[وليس يظلمهم من راح يضربهم] بحد سيف به من قبلهم ضربا[1]
والعفـو إلا عن الأكفاء مكـرمة من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلت عمـرًا وتستبقى يزيـد لقد رأيت رأيًـا يجر الـويل والحـربا
لا تقطعَنْ ذَنَبَ الأفعى وترسلهـا إن كُنْتَ شهمًا فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا وأوقدوا النار فاجعلهم لها حـطبا
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم لم يعف حلمًا ولكن عفـوه رهبا
هُــمُ أهـلّة غـســـان ومجـــدهــم عالٍ فإن حاولوا ملكا فلا عجبا
وعـرضـوا بفــداء واصفـين لنــا خيلًا وإبلا تروق العجم والعربا
أيحـلبــون دمًــا منــا ونـحلبـهم رسلا لقد شرفونا فى الورى حلبا
عــلام تقبـل منهم فــدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا [ق ٣٥/ب]

ونقلت ذلك من مجموع بخط القاضى شمس الدين بن خلكان ، ورأيت فى تاريخ ابن الأثير خلاف ذلك ، فقال : إن الأسود قتلته غسان ، وانتصرت عليه غسان ، ثم قال ابن الأثير : وقيل غير ذلك ، وانتهى ملك الأسود بن المنذر المذكور فى زمن فيروز . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان الأعور ، ثم ملك بعده [علقمة] الذميلى وذميل بطن من

(١) هذا السطر موضعه فى « ص » الشطر الثانى من البيت الثالث .

لخم ، تم ملك بعده امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ القيس المحرق ، وهو الذى قتل سنمار الذى بنى لامرئ القيس المذكور قصره ، وفيه يقول المتلمس :

جزانى أبو لخم عـلى ذات بيننا   جـزاء سنمار ومـا كان ذا ذنب

ثم ملك بعده ابنه المنذر بن امرىء القيس ، وكانت أم المنذر المذكور يقال لها ماء السماء ، واشتهر المنذر المذكور بأمه ، فقيل له المنذر بن ماء السماء ، [ولقبت بماء السماء] لحسنها ، واسمها ماوية بنت عوف بن جشم ، وطرد كسرى قباذ المنذر المذكور عن ملك الحيرة ، وملك موضعه الحارث بن عمرو بن حجر الكندى ، لأن قباذ كان قد دخل فى دين مزدك ، ووافقه الحارس ولم يوافقه المنذر ، فطرده لذلك . ثم لما تمكن كسرى أنوشروان بن قباذ المذكور فى الملك ، طرد الحارث وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى ملك الحيرة ، وقد تقدم ذكر ذلك مع ذكر أنوشروان فى الفصل الثانى من هذا الكتاب .

ثم ملك بعد المنذر عمرو مضرط الحجارة وهو ابن المنذر بن ماء السماء ، وكان اسم أمه هند ، ويعرف بعمرو بن هند ، ولثمان سنين [مضت] من ملكه ، كان مولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ملك بعده أخوه قابوس بن المنذر ماء السماء ، وقيل إنه لم يتملك وإنما سمى ملكًا لما كان أبوه وأخوه ملكين ، ثم ملك بعده أخوهما المنذر بن المنذر ، [ثم ملك بعده ابنه النعمان بن المنذر بن المنذر] بن ماء السماء وكنيته أبو قابوس ، وهو الذى تنصر ، وأمه سلمى بنت [وائل] ابن عطية الصائغ من أهل فدك ، وملك اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى برويز ، وبسبب مقتله [كانت وقعة] ذى قاربين الفرس والعرب . ثم انتقل الملك فى الحيرة بعد النعمان المذكور عن اللخميين إلى إياس بن قبيصة الطائى ، ولستة أشهر من ملك إياس ، بعث النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم . ثم ملك بعد إياس زاذويه بن ماهسان الهمدانى . ثم عاد الملك إلى اللخميين . ملك بعد زاذويه المنذر بن النعمان بن المنذر بن المنذر ابن ماء السماء ، وسمته العرب المغرور ، واستمر مالكًا للحيرة إلى أن قدم إليها خالد بن الوليد واستولى على الحيرة ، وكانت المناذرة آل نصر بن ربيعة عمالاً للأكاسرة على عرب العراق مثل ما كان ملوك غسان عمالاً للقياصرة على عرب الشام .

ذكر ملوك غسان

وكانوا عمالاً للقياصرة على عرب الشام [ق ٣٦/أ] وأصل غسان من اليمن من بنى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان ، فنسبوا إليه ، وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم

الضجاعمة من سَليح بفتح السين المهملة ثم لام مكسورة وياء مثناة من تحتها ثم حاء مهملة ، فأخرجت غسان سليحًا عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من غسان جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مُزَيْقِيَا ، وكان ابتداء ملك غسان قبل الإسلام بما يزيد على أربعمائة سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، ولما ملك جفنة المذكور وقتل ملوك سليح دانت له قضاعَة ومَنْ بالشام والروم ، وبنى بالشام عدة مصانع[1] ثم هلك ، وملك بعده ابنه عمرو بن جفنة ، [وبنى بالشام] عدة ديورة منها : دير حالى ودير أيوب ودير هند ، ثم ملك [بعده ابنه ثعلبة بن عمرو ، وبنى صرح الغدير فى أطراف حوران مما يلى البلقاء ، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن ثعلبة ، ثم ملك] ابنه جبلة بن الحارث ، وبنى القناطر وأذرح [و القسطل . ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة ، وكان مسكنه بالبلقاء فبنى بها الحفير ومصنعه . ثم ملك بعده ابنه المنذر الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الأول ، ثم هلك المنذر الأكبر المذكور وملك بعده أخوه النعمان بن الحارث . ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ، ثم ملك بعدهم أخوهم الأيهم بن الحارث وبنى ديرًا ضخمًا ودير البنوة . ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث . ثم ملك جفنة الأصغر بن المنذر الأكبر ، وهو الذى أحرق الحيرة ، وبذلك سموا ولده آل محرق ، ثم ملك [بعده] أخوه النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر . ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر ، وبنى قصر السويدا ، ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكًا ، وفى عمرو المذكور يقول النابغة الذبيانى :

علىّ لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان ، وهو الذى قاتل المنذر بن ماء السماء ، وكان جبلة المذكور ينزل بصفين ، ثم ملك بعده النعمان بن الأيهم بن الحارث بن ثعلبة . ثم ملك أخوه الحارث بن الأيهم ، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث ، وهو الذى أصلح صهاريج الرصافة ، وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين ، ثم ملك بعده [ابنه] المنذر ابن النعمان ثم ملك أخوه عمرو بن النعمان . ثم ملك أخوهما حجر بن النعمان . ثم ملك ابنه الحارث بن حجر ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ثم ملك ابنه الحارث بن جبلة ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، وكنيته أبو كرب ، ولقبه قطام . ثم ملك بعده الأيهم بن جبلة بن الحارث ، وهو صاحب تدمر ، وكان عامله يقال له [القين] بن خسرو بنى له بالبرية قصرًا عظيمًا ومصانع ، وأظن أنه قصر برقع . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة . ثم ملك بعده أخوهما شرحبيل بن جبلة . ثم ملك أخوهم عمرو بن جبلة [ق ٣٦/ب] ثم ملك بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة . ثم ملك بعدهم جبلة بن الأيهم بن جبلة ، وهو آخر ملوك

---

(١) انظر : الهامش ص ٩٠ من هذا الكتاب .

غسان ، وهو الذى أسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه ، ثم عاد إلى الروم وتنصر ، وسنذكر ذلك فى خلافة عمر [رضى الله عنه]، إن شاء الله تعالى ، وقد اختلف فى مدة ملك الغساسنة ، فقيل أربعمائة سنة ، وقيل ستمائة سنة وبين ذلك .

ذكر ملوك جُرْهم

أما جرهم ، فهم صنفان : جرهم الأولى وكانوا على عهد عاد فبادوا ودرست أخبارهم ، وهم من العرب البائدة . وأما جرهم الثانية ، فهم من ولد جرهم بن قحطان ، وكان جرهم أخا يعرب بن قحطان ، فملك يعرب اليمن ، وملك أخوه (جرهم) الحجاز ، ثم ملك بعد جرهم ابنه عبد [ياليل] بن جرهم [ثم] ابنه جرشم بن عبد ياليل ، ثم ابنه عبد المدان بن جرهم ، ثم ابنه ثقيلة بن عبد المدان ، ثم ابنه عبد المسيح بن ثقيلة ، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ، ثم ابنه عمرو بن مضاض ، ثم أخوه الحارث بن مضاض ، ثم ابنه عمرو بن الحارث ، ثم أخوه بشر بن الحارث ثم مضاض بن عمرو بن مضاض . وجرهم المذكورون هم الذين اتصل بهم إسماعيل عليه السلام وتزوج منهم ، وسنذكرهم أيضًا عند ذكر [بنى] إسماعيل إن شاء الله تعالى .

ذكر ملوك كندة

من الكامل قال : وأول ملوك كندة حجر آكل المرار بن عمرو ، وهو من ولد كندة ، وكان اسم كندة ثورًا وهو ابن عفير بن الحارث من ولد زيد بن كهلان بن سبأ ، وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك ، فأكل القوى الضعيف ، فلما ملك حجر سدد أمورهم وساسهم أحسن سياسة ، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل ، وبقى حجر آكل المرار كذلك حتى مات ، وقيل له آكل المرار لكون امرأته قالت عنه كأنه جمل قد أكل المرار لبغضها له ، فغلب ذلك لقبًا عليه ، ثم ملك بعد حجر المذكور ابنه عمرو بن حجر ، ويقال لعمرو المذكور المقصور ، لأنه اقتصر على ملك أبيه ، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو ، وقوى ملك الحارث المذكور ووافق كسرى قباذ بن فيروز على الزندقة والدخول فى مذهب مزدك ، فطرد قباذ المنذر بن ماء السماء اللخمى عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه ، فعظم شأن الحارث المذكور [وقد تقدم ذلك فى الفصل الثانى مع ذكر أنوشروان بن قباذ ، فلماملك أنوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث المذكور]، فهرب وتبعته تغلب وعدة قبائل

فظفروا بأمواله وبأربعين نفسًا من بنى حجر آكل المرار ، منهم ابنان من ولد الحارث المذكور ، فقتلهم المنذر عن آخرهم فى ديار بنى مَرِين ، وفى ذلك يقول امرؤ القيس بن حجر بن الحارث المذكور :

فـآتـوا[1] بـالنهاب وبـالسبايـا ... وأبـنـاء الملوك مـصـفـديـنـا
ملوك من بنى حجـر بن عمرو ... يـسـاقـون العشيـة يقتلونـا
فلو فى يـوم معركـة أصيبـوا ... ولكن فى ديـار بـنى مَـرِينـا
ولم تـغسـل جماجمهم بغسـل ... ولكن فى الـدمـاء مـزملينـا
تـظل الـطير عـاكفـة عليهم ... وتنتـزع الحـواجب والعيـونـا[2]

[ق ٣٧/أ] وهرب الحارث إلى ديار كلب وبقى بها حتى عدم ، واختلف فى صورة عدمه ، وكان الحارث المذكور قد ملك ابنه حجر بن الحارث على بنى أسد بن خزيمة بن مدركة وملك أيضًا باقى بنيه على قبائل العرب ، فملك ابنه شراحيل بن الحارث على بكر بن وائل ، وملك ابنه معدى كرب بن الحارث [وكان يلقب] غلفًا لتغليفه رأسه بالطيب على قيس عيلان ، وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر ، وأما حجر المذكور وهو أبو امرىء القيس الشاعر ، فبقى أمره متماسكًا فى بنى أسد مدة ، ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم وبالغ فى نكايتهم ودخلوا تحت [طاعته] ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة وفى ذلك يقول ابنه امرؤ القيس بن حجر المذكور أبياتًا منها :

بـنـو أسـد قـتـلوا ربهـم ... ألا كـل شـىء سـواه خـلل

وكان امرؤ القيس لما سمع بمقتل أبيه بموضع يقال له دمون من أرض اليمن ، فقال فى ذلك :

تـطاول الـليـل عـلى دمـون ... دمـون إنـا مـعشـر يمـانـون

ثم استنجد امرؤ القيس ببكر وتغلب على بنى أسد ، فأنجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعهم ، فلم يظفر بهم ، ثم تخاذلت عنه بكر وتغلب وتطلبه المنذر بن ماء السماء فتفرقت جموع امرئ القيس خوفا من المنذر ، وخاف امرؤ القيس من المنذر وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من أناس إلى أناس حتى قصد السموءل بن عاديا اليهودى فأكرمه وأنزله ، وأقام امرؤ القيس عند السموءل ما شاء الله ، ثم سار امرؤ القيس إلى قيصر ملك الروم مستنجدًا به ، وأودع أدراعه عند السموءل بن عاديا المذكور ومر على حماة وشيزر وقال فى مسيره قصيدته المشهورة التى منها :

* سمالك شوق بعد ما كان أقصرا *

---

(١) ط : فأبوا .

(٢) ورد هذا البيت على هامش المخطوط .

ومنها :

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا

وكان بامرئ القيس قُرحة قد طالت به ، وفى ذلك يقول أبياته التى منها :

وبُدِّلْتُ قُرْحًا داميًا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

فمات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر فى بلاد الروم عند جبل يقال له عسيب ، ولما علم [بموته هناك][1] ، قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإنى مقيم ما أقام عسيب

وقد قيل إن ملك الروم سمه فى حلة ، وهو عندى من الخرافات ، ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبى شَمَّر الغسانى إلى السموءل وطالبه بأدرع امرئ القيس ومما له عنده من الأدراع ، وكانت الأدراع مائة ، وكان الحارث قد أسر ابن السموءل ، فلما امتنع السموءل من تسليم ذلك إلى الحارث قال الحارث : إما أن تسلم الأدراع وإما قتلت ابنك ، فأبى السموءل [ق ٣٧/ب] أن يسلم الأدراع وقُتِلَ ابنه قدامه ، فقال السموءل فى ذلك أبياتًا منها :

وفيت بأدرع الكندى إنى إذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عاديًا يوما بأن لا تهدم يا سموءل مابنيت

وقد ذكر الأعشى هذه الحادثة ، فقال :

كن كالسموءَل إذ طاف الهمام به فى جحفل كسواد الليل جرار
فشك غير طويل ثم قال له اقتل أسيرك إنى مانع جارى

انتهى الكلام فى ملوك كندة .

ذكر عدة من ملوك العرب متفرقين

فمنهم : عمرو بن لُحَيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيَا[2] بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد من ولد كهلان بن سبأ ، وكان عمرو بن لحى المذكور ملك الحجاز وكثير الذكر فى الجاهلية وإليه تنسب خزاعة ، فيقولون إنهم من ولد كعب بن عمرو المذكور .

---

(١) من هامش المخطوط .

(٢) ص : عمرو بن مريقيا

قال الشهرستانى : وعمرو بن لحى المذكور هو أول من جعل الأصنام على الكعبة وعبدها ، فأطاعته العرب وعبدوها معه ، واستمرت العرب على عبادة الأصنام حتى جاء الإسلام ، وكان سبب ذلك أن عَمْراً المذكور سار إلى البلقاء من الشام ، فرأى قومًا يعبدون الأصنام ، فسألهم عنها فقالوا له هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية نستنصر بها ، فننصر و نستشفى بها فنشفى ، ونستسقى بها فنسقى ، فأعجبه ذلك ، فطلب منهم صنمًا فدفعوا إليه هبل ، فسار به إلى مكة ووضعه على الكعبة واستصحب أيضًا صنمين يقال لهما إساف ونائلة ، ودعا الناس إلى تعظيم الأصنام والتقرب إليها ، فأجابوه ، وقد ذكر الشهرستانى أن ذلك كان فى أيام سابور ، كان قبل الاسلام بنحو أربعمائة سنة إن كان سابور ابن أردشير بن بابك ، وأما إن كان سابور ذا الأكتاف فهو أبعد عن الصواب ، لأنه بعد سابور الأول بمدة كثيرة .

ومن ملوك العرب : زهير بن حباب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عون بن عذرة الكلبى ، وكان يسمى زهير المذكور الكاهن ، لصحة رأيه ، وعاش عمرًا طويلًا وغزا غزوات كثيرة ، وكان ميمون النقيبة واجتمعت عليه قضاعة فغزا بهم غطفان بسبب أن بنى نقيص بن ريث بن غطفان بنوا حرمًا مثل حرم مكة وولوا سدانته بنو مرة بن عون ، فلما بلغ زهيرًا ذلك قال : والله لا يكون ذلك أبدًا ولا أخلى غطفان تتخذ حرمًا مثل حرم مكة ، فغزاهم وجرى بينهم قتال شديد وظفر بهم زهير وأبطل حرمهم وأخذ أموالهم ورد نساءهم عليهم وفى ذلك يقول أبياتًا منها :

ولولا الفضل منا ما رجعتم . إلى عذراء شيمتها الحياء

[ق ٣٨/أ] وكان زهير المذكور قد اجتمع بأبرهة الأشرم الحبشى صاحب الفيل فأكرمه أبرهة وفضله على غيره من العرب وأمره على بكر وتغلب ابنى وائل ، واستمر زهير أميرًا عليهم حتى خرجوا عن طاعته ، فغزاهم أيضًا وقتل منهم وكذلك غزا بنى القين وجرى له مع المذكورين حروب يطول شرحها ، وكان الظفر لزهير ، ولما أسن زهير المذكور شرب الخمر صِرْفًا حتى مات .

قال ابن الأثير : وممن شرب الخمر صرفًا حتى مات عمرو بن كُلْثوم التغلبى وأبو عامر ملاعب الأسنة العامرى .

ومن ملوك العرب أيضًا كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ، ووائل هو ابن قاسط بن هنب بن أقصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان ، وكان كليب المذكور اسمه وائلًا ، وكليب [لقب] غلب عليه ، وملك كليب على بن معد وقاتل جموع اليمن وهزمهم ، وعظم

شأنه وبقى زماناً من الدهر ثم داخل كليبًا زهو شديد وبغى على قومه ، فصار يحمى عليهم مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، ويقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يصاد ولا ترد إبل مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، وبقى كذلك حتى قتله جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وشيبان من بنى بكر بن وائل المذكور ، وكان سبب قتل كليب أن رجلاً من جرم نزل على خالة جساس وكان اسم خالته المذكورة البسوس بنت منقذ التميمية ، وكان للجرمى المذكور ناقة اسمها شراب فوجدها كليب ترعى فى حماه فضربها بالنشاب وأخرم ضرعها ، وجاءت الناقة إلى الجرمى صاحبها مجروحة ، فصرخ بالذل ، فلما سمعته البسوس ، وضعت الخمار من رأسها[١] وصاحت واذلاه بسبب نزيلها الجرمى [المذكور] . فاستنصر جساس لخالته وقصد كليبًا وهو منفرد فى حماه فضربه بالرمح فقتله ، ولما قتل كليب قام أخوه مهلهل بن ربيعة بن الحارث المذكور وجمع قبائل تغلب واقتتل مع بنى بكر ، ووقع بينهم عدة وقائع ، أولها : يوم عنيزة ، وكانوا فى القتال على السواء ثم اتقعوا بماء يقال له النهى وكان رئيس تغلب مهلهلاً ورئيس بنى شيبان بن بكر الحارث بن مرة أخا جساس ، وكان النصر لبنى تغلب وقتل من بكر جماعة ثم التقوا بالدنايب وهى من أعظم وقائعهم ، فانتصر مهلهل وبنو تغلب ، وقتل من بكر مقتلة عظيمة وقتل من بنى شيبان جماعة منهم شراحيل بن همام بن مرة وهو ابن أخى جساس وشراحيل المذكور وهو جد معن [ق ٣٨/ب] بن زائدة الشيبانى وقتل أيضًا الحارث بن مرة وهو أخو جساس ، وكذلك قتل جماعة من رؤساء بنى بكر . ثم التقوا يوم واردات فظفرت تغلب أيضًا وكثر القتل فى بكر وقتل همام أخو جساس لأبيه وأمه وجعلت تغلب تطلب جساسًا أشد الطلب ، فقال له أبوه مرة إلحق بأخوالك بالشام وأرسله سرًا مع نفر قليل ، وبلغ مهلهلا الخبر ، فأرسل فى طلبه ثلاثين نفرًا ، فأدركوا جساسًا واقتتلوا ، فلم يسلم من أصحاب مهلهل غير رجلين وكذلك لم يسلم من البكريين أصحاب جساس غير رجلين وجرح جساس جرحاً شديدًا مات منه ، وعاد الذين سلموا فخبروا أصحابهم وكذلك قتل مهلهل أيضا بجير بن الحارث البكرى ، ولما قتله مهلهل قال بوء بشيع نعل كليب ، فلما قتل بجير قال أبوه الحارث الأبيات المشهورة التى منها :

قـربـا مـربط النعـامـة منى ... شـاب رأسى وأنكـرتنى رجـالى
لم أكن من جنـاتهـا علم الله ... وأنى بـحـرّهـا اليـوم صـالى

والنعامة اسم فرسه ، ودامت الحرب بين بنى وائل المذكورين كذلك نحو أربعين سنة ، ولما قتل جساس أرسل أبوه مرة يقول لمهلهل قد أدركت ثأرك وقتلت جساسًا فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والإسراف ، فلم يرجع مهلهل عن القتال ، ولما طالت الحروب بينهم وأدركت

---

(١) ط : « وضعت يدها على رأسها » .

تغلب ما أرادته من بكر أجابتهم إلى الكف عن القتال وعدم مهلهل واختلف فى صورة عدمه ، تركنا ذكره للاختصار .

ومن ملوك العرب : زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عَبْس ، وهو والد الملك قيس بن زهير العبسى ، وكان لزهير إتاوة على هوازن يأخذها كل سنة فى عكاظ وهو سوق العرب أيام الموسم بالحجاز ، وكان يوم هوازن الخسف ، فكان فى قلوبهم منه ، ووقعت الحرب بين زهير وبين عامر فاتفقت هوازن مع خالد بن جعفر بن كلاب وبنى عامر على حرب زهير ، واقتتلوا معه ، فاعتنق زهير وخالد وتقاتلا ، فقتل زهير وسلم خالد ، وكانت الوقعة بالقرب من أرض هوازن ، فحملت زهيرا بنوه ميتا إلى بلادهم ، فقال ورقة بن زهير أبياتًا فى ذلك منها يقول لخالد المذكور :

فطر خالدًا إن كنت تسطيع طيرة ... ولا تـقعـنْ إلا وقلبـك حـاذر
أتتـك المنايـا إن بقيت بضـربـة ... تفارق منها العيش والموت حاضر

ولما كان من خالد بن جعفر بن كلاب ما كان من قتل زهير خاف وسار إلى النعمان بن امرئ القيس اللخمى ملك الحيرة واستجار به ، وكان زهير سيد غطفان ، فانتدب منهم (الحارث) بن ظالم المرى وقدم إلى النعمان فى معنى تحاجه له ، وكان النعمان قد ضرب لخالد قبة ، فلما جن الليل دخل الحارث إلى خالد وقتله فى قبته غيلة وهرب وسلم ثم جمع الأخوص ابن جعفر وهو أخو خالد بن عامر ، وأخذ فى طلب الحارث المرى ، وكذلك أخذ النعمان فى طلبه لقتله جاره وجرى بسبب ذلك [ق ٣٩/أ] حروب وأمور يطول شرحها ، فكان آخرها يوم شعب جبلة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ومن ملوك العرب (الملك قيس) بن زهير العبسى المذكور ، وكان قد جمع لقتال بنى عامر أخذًا بثأر أبيه زهير ، ثم نزل قيس بالحجاز ، وفاخر قريشًا ثم زحل عن قريش ، ونزل على بنى بدر الفزارى الذبيانى ونزل على حذيفة بن بدر [منهم]، وكان قيس قد اشترى من الحجاز حصانه داحسًا وفرسه الغبراء ، وقد قيل إن الغبراء بنت داحس استولدها قيس من داحس ولم يشترها ، وكان لحذيفة بن بدر فرسان يقال لهما الخطار والحنفا وقصد أن يسابق مع فرسى قيس داحس والغبراء ، فامتنع قيس وكره السباق وعلم أنه ليس فى ذلك خير ، فأبى حذيفة إلا المسابقة فأجروا [الأربعة] المذكورة بموضع يقال له ذات الأصاد ، وكان الميدان نحو مائة غلوة ، والغلوة الرمية بالسهم أبعد ما يمكن وكان الرهن مائة بعير ، فسبق داحس سبقًا بينًا والناس ينظرون إليه ، وكان حذيفة قد أكمن فى طريق الخيل من يعترض داحسًا إن جاء سابقًا ، فاعترضه ذلك القوم وضربوه على وجهه ، فتأخر داحس ، ثم سبقت الغبراء أيضًا الخطار والحنفا ، فأنكر حذيفة ذلك كله وادعى السبق ، فوقع الخلف بين بنى بدر وبنى قيس ،

وكان بين الربيع بن زياد وبين قيس خلف بسبب درع اغتصبها الربيع من قيس ، وكان يسوء الربيع اتفاق بنى بدر مع قيس . فلما وقع بينهم بسبب السباق سره ذلك ، ولما اشتد الأمر بينهم قتل قيس ندبة بن حذيفة ، وكان لقيس أخ يقال له مالك بن زهير وكان نازلاً على بنى ذبيان ، فلما بلغهم قتل ندبة قتلوا مالك بن زهير المذكور غيلة ، ولما بلغ الربيع بن زياد مقتل مالك عظم ذلك عليه جدًا وعطف على قيس وانتصر له ، وعمل الربيع أبياتاً فى مقتل مالك منها :

من كان مسرورًا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرًا يندبنه ويقمن قبل تبلج الأسحار

ثم اجتمع قيس والربيع واصطلحا وتعانقا ، وقال قيس للربيع إنه لم يهرب منك من لجأ إليك ولم يستغن عنك من استعان بك ، واجتمع إلى قيس والربيع بنو عبس ، واجتمع إلى بنى بدر بنو فزارة وذبيان ، واشتدت الحروب بينهم وهى المعروفة بحرب داحس ، فاقتتلوا أولاً ، فقتل عوف بن بدر وانهزمت فزارة وقتلت بنو عبس فيهم قتلا ذريعًا ، ثم اتقعوا ثانيًا فانتصرت بنو عبس أيضًا ، وكانت الدائرة على فزارة وقتل الحارث بن بدر ، وطالت الحروب بينهم ، وكان آخرها أنهم اتقعوا فانهزمت فزارة وانفرد حذيفة وحمل أخوه ومعهما جماعة يسيرة وقصدوا (•حفر الهباة) ، فحلقهم بنو عبس وفيهم قيس والربيع بن زيادة [وعنترة] وحالوا بين بنى بدر وبين خيلهم وقتلوا [حذيفة] وأخاه حملا ابنى بدر [ق ٣٩/ ب] وأكثرت الشعراء فى ذكر حفر الهباة ومقتل بنى بدر عليه وظهرت فى هذه الحروب شجاعة عنترة بن شداد ، ثم إن فزارة بعد مقتل بنى بدر ساعدتهم قبائل كثيرة لأنهم أعظموا قتل بنى بدر ، فلما قويت فزارة شارت بنو عبس ودخلوا على كثير من أحياء العرب ، ولم يطل لهم مقام عند أحد منهم ، وآخر الحال أن بنى عبس قصدوا الصلح مع فزارة فأجابتهم شيوخ فزارة إلى ذلك ، وتم الصلح بينهم ، وقيل إن بنى عبس لما سارت إلى بنى فزارة واصطلحوا معهم ، لم يسر معهم الملك قيس ، بل انفرد عن بنى عبس وتاب وتنصر وساح فى الأرض حتى انتهى إلى عمان فترهب بها زماناً ، وقيل إن قيسًا تزوج فى النمر بن قاسط لما انفرد عن بنى عبس وولد له ولد اسمه فضالة وبقى فضالة المذكور حتى قدم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وعقد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من معه من قومه وكانوا تسعة وهو عاشرهم .

وكان بين ملوك العرب وقائع فى أيام مشهورة فمنها يوم خزاز اتقعت فيه بنو ربيعة بن نزار وهو ربيعة الفرس وقبائل اليمن ، وكانت الدائرة [على] اليمن فانتصرت بنو ربيعة عليهم وقتلوا منهم خلقاً كثيرًا ، وقيل إن قائد بنى ربيعة كان كليب وائل المقدم الذكر ، وخزاز جبل بين البصرة إلى مكة .

ومنها أيام بنى وائل بسبب قتل كليب ، كانت بين تغلب وقائدهم مهلهل أخو كليب وبين

بكر وقائدهم مرة أبو جساس ، فأولها : يوم عنيزة وتكافأ فيه الفريقان ، ثم بينهم يوم واردات ، وانتصرت فيه تغلب على بكر . ثم يوم الحنو ، وكان لبكر على تغلب . ثم يوم القصيبات انتصرت فيه تغلب وأصيبت بكر حتى ظنوا أنهم قد بادوا . ثم يوم أقضة ويقال يوم التحالق كثر فيه القتل فى الفريقين ، وكان بينهم أيام أخر لم يشتد فيها القتال كهذه الأيام .

ومن أيام العرب : يوم عين أباغ ، وكان بين غسان ولخم ، وكان قائد غسان الحارث الذى طلب أدراع امرىء القيس وقيل غيره ، وكان قائد لخم المنذر بن ماء السماء بغير خلاف وقتل المنذر فى هذا اليوم وانهزمت لخم وتبعتهم غسان إلى الحيرة وأكثروا فيهم القتل ، وعين أباغ بموضع يقال له ذات الخبار .

ومن أيام العرب : يوم مرج حليمة ، وكان بين غسان ولخم أيضًا وقعة يوم مرج حليمة من أعظم الوقعات ، وكانت الجيوش فيه قد بلغت من الفريقين عددًا كثيرًا ، وعظم الغبار حتى قيل إن الشمس قد انحجبت وظهرت الكواكب التى فى خلاف جهة الغبار ، واشتد القتال فيه واختلف فى النصر لمن كان منهم .

ومنها : يوم الكلاب الأول وكان بين الأخوين شراحيل وسلمة ابنى الحارث بن عمرو الكندى ، وكان مع شراحيل وهو الأكبر بكر [بن] وائل وغيرهم ، وكان مع سلمة أخيه تغلب وائل وغيرهم ، واتقعوا فى الكلاب وهو بين البصرة والكوفة واشتد القتال بينهم ونادى منادى شراحيل [ق ٤٠/أ] من أتاه برأس أخيه سلمة فله مائة من الإبل ، فانتصر سلمة وتغلب على شراحيل وبكر ، وانهزم شراحيل وتبعته خيل أخيه ولحقوه وقتلوه وحملوا رأسه إلى سلمة .

ومنها : يوم أوارة ، وهو جبل ، وكان بين المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة وبين بكر وائل بسبب اجتماع بكر على سلمة بن الحارث ، فظفر المنذر ببكر ، وأقسم أنه لايزال يذبحهم حتى يسيل دمهم من رأس أوارة إلى حضيضه ، فبقى يذبحهم والدم يجمد ، فسكب عليه ماء حتى سال الدم من رأس الجبل إلى حضيضه [وبرت يمينه].

ومنها : يوم رحرحان – من العِقد – قال : وكان من أمره أن الحارث بن ظالم المرى ثم الذبيانى لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب قاتل زهير حسبما تقدم ذكره عند ذكر مقتل زهير – هرب الحارث من النعمان ملك الحيرة لكونه قتل خالدًا وهو فى حيرة النعمان ، فلم يجر الحارث المذكور أحد من العرب خوفًا من النعمان حتى استجار بمعبد بن زرارة فأجاره فلم يوافقه قومه بنو تميم وخافوا من ذلك ، ووافقه منهم بنو ماوية وبنو دارم فقط ، فلما بلغ الأحوص أخا خالد مكان الحارث المرى من معبد سار إليه واقتتلوا بموضع يقال له وادى

رحرحان فانهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة وقصدوا أخوه لقيط بن زرارة أن يستفكه ، فلم يقدر وعذبوا معبدًا حتى مات .

ومنها : يوم شعب جبلة ، وهو من أعظم أيام العرب ، وكان من حديثه أنه لما كانت انقضت وقعة رحرحان ، استنجد لقيط بن زرارة التميمى ببنى ذبيان فنجدته وتجمعت له بنو تميم غير بنى سعد وخرجت معه بنو أسد وسار بهم لقيط إلى بنى عامر وبنى عبس فى طلب ثأر أخيه معبد ، فأدخلت بنو عامر وبنو عبس أموالهم فى شعب جبلة « هضبة حمراء بين الشريف والشرف وهما ماءان » ، فحصرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب وكسروا جمايع لقيط وقتلوا لقيطًا وأسروا أخاه حاجب بن زرارة وانتصرت بنو عامر وبنو عبس نصرًا عظيماً ، وفى ذلك يقول جرير :

ويوم الشعب قد تركوا لقيطًا   كأن عليه حلة أرجوان
وكبل حاجب بالشام حولا   فحكم ذا الرقيبة وهو عان

وقتل أيضًا من بنى ذبيان ، وبنى تميم وبنى أسد فى يوم شعب جبلة جماعة كثيرة ، وقد أكثرت العرب من مراثى المقتولين من القبائل المذكورة ، وكان يوم رحرحان قبل يوم شعب جبلة بسنة واحدة ، وكان يوم شعب جبلة فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، انتهى النقل من العقد لابن عبد ربه .

ومن أيام العرب المشهورة : يوم ذى قار ، وكان فى سنة أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل فى [ق ٤٠/ب] عام وقعة بدر الأولى أقوى ، وكان من حديثه أن كسرى برويز غضب على النعمان بن المنذر وحبسه فهلك فى الحبس ، وكان النعمان قد أودع حلقانه وهو السلاح والدروع عند هانى بن مسعود البكرى فأرسل برويز يطلبها من هانى المذكور ، فقال هذه أمانة والحر لا يسلم أمانته ، وكان برويز لما أمسك النعمان قد جعل موضعه فى ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائى ، فاستشار برويز إياسًا المذكور ، فقال إياس المصلحة التغافل عن هانى بن مسعود المذكور حتى يطمئن وتتبعه فتدركه ، فقال برويز إنه من أخوالك ولا تألوه نصحًا ، فقال إياس رأى الملك أفضل ، فبعث برويز الهرمزان فى ألفين من الأعاجم ، وبعث ألفًا من بهراء فلما بلغ بكر بن وائل خبرهم أتوا مكانًا من بطن ذى قار ، فنزلوه ووصلت إليهم الأعاجم ، واقتتلوا ساعة وانهزمت الأعاجم هزيمة قبيحة ، وأكثرت العرب الأشعار فى ذكر هذا اليوم .

الفصل الخامس

فى ذكر الأمم

من الصحاح : الأمة الجماعة ، هو فى اللفظ واحد وفى المعنى جمع ، وكل جنس من الحيوان أمة ، وفى الحديث : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » .

ذكر أمة السريان والصابئين

من كتاب أبى عيسى المغربى قال : أمة السريان هى أقدم الأمم ، وكان كلام آدم وبنيه بالسريانى ، وملتهم هى ملة الصابئين ، ويذكرون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس ، ولهم كتاب يعزونه إلى شيث ويسمونه صحف شيث يذكر فيه محاسن الأخلاق مثل الصدق والشجاعة والتعصب للغريب وما أشبه ذلك ويأمر به ، ويذكر الرذائل ويأمر باجتنابها ، وللصابئين عبادات منها سبع صلوات منهن خمس توافق صلوات المسلمين والسادسة صلاة الضحى والسابعة صلاة يكون وقتها فى تمام الساعة السادسة من الليل ، وصلاتهم كصلاة المسلمين من النية ، وأن لا يخلطها المصلى بشىء من غيرها ، ولهم الصلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود ، ويصومون ثلاثين يومًا وإن نقص الشهر الهلالى صاموا تسعًا وعشرين يومًا ، وكانوا يراعون فى صومهم الفطر والهلال بحيث يكون الفطر وقد دخلت الشمس الحمل ، ويصومون من ربع الليل الأخير إلى غروب قرص الشمس ، ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت أشرافها ، والخمسة المتحيرة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ، ويعظمون بيت مكة ولهم بظاهر حران مكان يحجونه ، ويعظمون أهرام مصر ويزعمون أن أحدها قبرشيث بن آدم والآخر قبر إدريس وهو خنوخ والآخر قبر صابى بن إدريس الذى ينتسبون إليه ، ويعظمون يوم دخول الشمس برج [الحمل فيتهادون فيه ويلبسون أفخر ملابسهم ، وهو عندهم من أعظم الأعياد لدخول الشمس] برج شرفها . قال ابن حزم : والدين الذى انتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث ، فبعث الله تعالى إليهم إبراهيم خليله عليه السلام بالدين الذى نحن عليه الآن . قال الشهرستانى : والصابئون يقابلون الحنيفية ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين ، كما أن مدار مذهب الحنفاء التعصب للبشر والجسمانيين .

ذكر أمة القبط

وهم من ولد حام بن نوح ، وكان سكناهم بديار مصر [ق ٤١/أ] وكانوا أهل ملك عظيم وعز قديم واختلط بالقبط طوائف كثيرة من اليونان والعماليق وغيرهم ، وإنما صاروا أخلاطًا لكثرة من تداول عليهم وملك مصر ، فإن أكثر من تملك مصر الغرباء ، وكان القبط فى سالف الدهر صابئة يعبدون الهياكل والأصنام ، وكان منهم علماء بضروب من علم الفلسفة وخاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات والمرائى المحرقة والكيمياء ، وكانت دار ملكهم مدينة منف وهى على جانب النيل من غربيه ، وكانت ملوكهم تلقب الفراعنة ، وقد تقدم ذكرهم .

ذكر أمة الفرس

ومساكنهم وسط المعمور ، ويقال لها أرض فارس ، ومنها كرمان والأهواز وأقاليم يطول ذكرها ، و[جميع] مادون جيحون من تلك الجهات يقال له إيران وهى أرض الفرس ، وأما ماوراء جيحون فيقال له توران وهو أرض الترك. وقد اختلف فى نسب الفرس فقيل إنهم من ولد فارس بن إرم بن سام ، وقيل إنهم من ولد يافث ، والفرس يقولون إنهم من ولد كيومرث ، وكيومرث عندهم هو الذى ابتدأ منه التسل مثل آدم عندنا ، ويذكرون أن الملك لم يزل فيهم من كيومرث وهو آدم إلى غلبة الإسلام خلا تقطع حصل فى مدد يسيرة لا يعتد به مثل تغلب الضحاك وفراسياب التركى .

وملوك الفرس عند الأمم أعظم ملوك العالم ، وكان لهم العقول الوافرة والأحلام الراجحة ، وكان لهم من ترتيب المملكة ما لم يلحقهم فيه أحد من الملوك ، وكانوا لا يولون ساقط البيت شيئاً من أمور الخاصة ، والفرس فرق كثيرة ، فمنهم الديلم وهم سكان الجبال ، ومنهم الجيل وهم يسكنون الوطاة التى لجبال الديلم وأرضهم فى ساحل بحر طبرستان ، ومنهم الكرد ومنازلهم جبال شَهْرَ زور ، وقيل إن الكرد من العرب ثم تنبطوا ، وقيل إنهم أعراب العجم . وكان للفرس ملة قديمة ، وكان يقال للداينين بها الجيومرثية ، أثبتوا إلهاً قديما وسموه يزدان ، وإلهاً مخلوقاً من الظلمة محدثاً وسموه أهرمن ، ويزدان عندهم هو الله تعالى ، وأهرمن هو إبليس ، وكان أصل دينهم مبنيًا على تعظيم النور وهو يزدان ، والتحرر من الظلمة وهو أهرمن ، ولما عظموا النور عبدوا النيران ، وكان الفرس على ذلك حتى ظهر زرادشت وكان على أيام بشتاسف ملك الفرس المقدم الذكر فى الفصل الثانى ، وأظهر زرادشت المعجزات

لبشتاسف ، فقبل دينه ودخل فيه ، ثم صار الفرس على دينه ، وذكر لهم زرادشت كتابًا زعم أن الله تعالى أنزله عليه ، وزَرَادُشْت من أهل قرية من قرى أذربيجان ولهم فى خلق زرادشت وولادته كلام طويل لا فائدة فيه فأضربنا عنه ، وقال زرادشت بالبارى[١] وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ، وأن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصل من امتزاج النور بالظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم ولا يزال المزاج حتى يغلب النور الظلمة ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر إلى عالمه ، وقبلة زرادشت إلى المشرق حيث مطلع الأنوار .

وللفرس أعياد ورسوم ، فمنها النوروز ، وهو [ق ٤١/ب] اليوم الأول من فروزدينماه واسمه يوم جديد لكونه غرة الحول الجديد وبعده أيام خمسة كلها أعياد . ومن أعيادهم (التيركان) وهو ثالث عشر تيرماه ، ولما وافق اسم اليوم الثالث عشر اسم شهره صار ذلك اليوم عيدًا ، وهكذا كل يوم يوافق اسمه اسم شهره فهو عيد . ومنها المهرجان وهو سادس عشر مهرماه وفيه زعموا أن أفريدون ظفر بالساحر الضحاك بيوراسب وحبسه فى جبل دنباوند . ومنها : الفروردجان وهو الأيام الخمسة الأخيرة من أبان ماه ، يضع المجوس فيه الأطعمة والأشربة لأرواح موتاهم على زعمهم . ومنها : ركوب الكوسج ، وهو أنه كان يأتى فى أول فصل الربيع رجل كوسج راكبًا حمارًا وهو قابض على غراب وهو يتروح بمروحة ، ويودع الشتاء وله ضريبة يأخذها ، ومتى وجد بعد ذلك ضرب . ومنها : السذق ، وهو العاشر من بهنماه وليلته ، وتوقد فى ليلته النيران ويشرب حولها . ومنها : الكنبهارات ، وهى أقسام لأيام السنة مختلفة فى أول كل قسم منها خمسة أيام هى فى الكنبهارات ، زعم زرادشت فى كل يوم خلق الله نوعًا من الخليقة من سماء وأرض وماء ونبات وحيوان وإنس فتم خلق العالم فى ستة أيام .

ذكر أمة اليونان

قال أبو عيسى : المنقول عن أصحاب السير أن اليونان تجمعوا من رجل اسمه اللن ، ولد سنة أربع وسبعين لمولد موسى النبى عليه السلام ، وكان أوميروس الشاعر اليونانى موجودًا فى سنة ثمان وستين وخمسما [ئة لوفاة] موسى عليه السلام ، وهو تاريخ ظهور أمة اليونان واشتهارهم ، ولم يعلموا قبل ذلك ، قال : وكانوا أهل شعور وفصاحة ، ثم صارت فيهم الفلسفة فى زمان بختنصر ، قال : وهذا منقول من كتاب كورسل اليونانى الذى رد فيه على لليان الذى ناقض الإنجيل . أقول : وقد نقل الشهرستانى أن أبيدقليس كان فى زمن داود

---

(١) ط : « بإله يسمى أرمزد بالفارسى » .

النبى عليه السلام ، وكذلك فيثاغورس كان فى زمن سليمان بن داود عليه السلام ، وأخذ الحكمة من معدن النبوة ، وكانت وفاة سليمان بن داود لمضى خمسمائة وخمس وستين[١] سنة ، وكان أبيدقليس وفيثاغورس فيلسوفين مشهورين من اليونانيين ، فقول أبى عيسى إن الفلسفة إنما ظهرت من اليونان فى زمن بختنصر غير مطابق لما نقله الشهرستانى ، فإن بختنصّر بعد سليمان [عليه السلام] بأكثر من أربعمائة سنة .

ومن كتاب أبى سعيد المغربى : أن بلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطينى من شرقيه وغربيه إلى البحر المحيط ، والبحر القسطنطينى هو خليج بين بحر الروم وبحر القرم ، واسم بحر القرم فى القديم بحر نِيْطش – بكسر النون وياء مثناة من تحتها بساكنة وطاء مهملة لا أعلم حركتها وشين معجمة . قال : واليونان فرقتان : فرقة يقال لهم (الإغريقيون) وهم اليونانيون الأول ، والفرقة الثانية يقال لهم اللطينيون .

[ق ٤٢/أ] وقد اختلف فى نسب اليونان ، فقيل إنهم من ولد يافث ، وقيل إنهم من جملة الروم من ولد صوفر بن العيص بن يعقوب بن إبراهيم الخليل عليهما (السلام) وكانت [ملوك] اليونان المقدم ذكرهم فى الفصل الثالث من أعظم الملوك ، ودولتهم من أفخم الدول ولم يزالوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم حسبما تقدم فى ذكر أغسطس ، فدخلت اليونان فى الروم ، ولم يبق لهم ذكر . [قال] : وكانت بلادهم فى الربع الشمالى الغربى ، يتوسطها الخليج القسطنطينى .

وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم ، مثل العلوم المنطقية والطبيعية والإلٰهية والرياضية ، وكانوا يسمون العلم الرياضى جومطريا ، وهو المشتمل على علم الهيئة والهندسة والحساب واللحون والإيقاع وغير ذلك ، وكان العالم بهذه العلوم يسمى فيلسوفًا ، وتفسيره محب الحكمة ؛ لأن فيلو محب وسوفا الحكمة ، فمن فلاسفتهم (ثاليس الملطس) ، قال أبو عيسى : وكان فى زمن بختنصر ، ومنهم : أبيدقليس وفيثاغورس اللذين تقدم أنهما كانا فى زمن داود وسليمان عليهما السلام ، وفيثاغورس من كبار الحكماء .

ويزعم أنه سمع حفيف الفلك ووصل إلى مقام الملك ، وقال ماسمعت شيئاً ألذ من حركات الأفلاك ، ولا رأيت شيئًا أبهى من صورتها . ومنهم بقراط الحكيم الطبيب المشهور ، ونجم فى سنة مائة وست وتسعين لبختنصر فيكون بقراط[٢] قبل الهجرة بألف ومائة وبضع وسبعين سنة . ومنهم سقراط ، قال الشهرستانى فى الملل والنحل : إنه كان حكيًما فاضلاً زاهداً ، واشتغل بالرياضة وأعرض عن ملاذ الدنيا واعتزل [إلى الجبل] ، وأقام فى غار ونهى الناس عن

---

(١) ط : خمسمائة وسبعين سنة .

(٢) ط : أبقراط .

الشرك وعبادة الأوثان ، فثارت عليه العامة وألجئوا ملكهم فى قتله فحبسه ، ثم سقاه سماً فمات . ومنهم أفلاطون [الإلهى]، وكان تلميذًا لسقراط المذكور ، ولما اغتيل سقراط بالسم ، قام أفلاطون مقامه وجلس على كرسيه . ومنهم أرسطوطاليس ، وكان تلميذًا لأفلاطون ، وكان أرسطو المذكور فى زمن الاسكندر ، وبين الاسكندر وبين الهجرة تسعمائة وأربع وثلاثين سنة فيكون أفلاطون قبل ذلك بمدة يسيرة ، وكذلك يكون سقراط قبل أفلاطون بمدة يسيرة أيضًا ، فبالتقريب يكون بين سقراط والهجرة نحو ألف سنة ، ويكون بين أفلاطون والهجرة أقل من ألف سنة ، ومنهم طيماوس وهو من مشايخ أفلاطون ، وأما أرسطوطاليس فهو المقدم المشهور والحكيم المطلق ، قال الشهرستانى : ولما صار عمر أرسطو المذكور تسع عشرة سنة أسلمه أبوه إلى أفلاطون ، فمكث عنده نيفًا وعشرين سنة ، ثم صار حكيمًا مبرّزاً يُشْتَغَلُ عليه ، ومن جملة تلاميذ أرسطو الملك الإسكندر الذى ملك غالب المعمور من المغرب إلى المشرق ، وأقام الإسكندر يتعلم على أرسطو خمس سنين ، وبلغ فيها أحسن المبالغ ، ونال من الفلسفة ما لم ينل سائر تلاميذ أرسطو ، ولما لحق أباه فيلبس مرض الموت أخذ ابنه الإسكندر من أرسطو وعهد عليه بالملك . [ق ٤٢/ب] ومنهم برقلص وكان بعد أرسطو ، وصنف كتابًا أورد فيه شبهًا فى قدم العالم ، ومنهم : الإسكندر الأفروديسى وكان بعد أرسطو ، وهو من كبار الحكماء .

ومما نقلناه من تاريخ ابن القفطى وزير حلب فى أخبار الحكماء قال : فمنهم طيموخارس ، وهو حكيم رياضى يونانى عالم بهيئة الفلك . رصد الكواكب فى زمانه ، وقد ذكره بطليموس فى المجسطى ، وكان وقته متقدمًا لوقت بطليموس بأربعمائة وعشرين سنة . ومنهم : فرفوريوس وكان من أهل مدينة صور على البحر الرومى بالشام ، وكان بعد زمن جالينوس الذى سنذكره ، وكان فرفوريوس المذكور عالما بكلام أرسطو ، وقد فسر كتبه لما شكا إليه الناس غموضها وعجزهم عن فهم كلامه . ومنهم : فلوطيس وكان فاضلاً حكيمًا يونانيًا ، وشرح كتب أرسطو ونقلت تصانيفه من الرومى إلى السريانى ، قال : ولا أعلم أن شيئًا منها خرج إلى العربى . ومنهم فولس الأجانيطى ويعرف بالقوابلى نسبة إلى القوابل جمع قابلة ، وكان خبيرًا بطب النساء كثير المعاناة له ، وكان القوابل يأتينه ويسألنه عن الأمور التى تحدث بالنساء عقيب الولادة ، فينعم السؤال لهن ويجيبهن بما يفعلنه ، وكان زمنه بعد زمن جالينوس ، وكان مقامه بالاسكندرية . ومنهم لسلون المتعصب ، وكان حكيمًا يونانيًا يقرأ فلسفة أفلاطون وينتصر لها ، فسمى لذلك بالمتعصب . [ومنهم : مقسطراطيس : وكان فيلسوفًا يونانيًا شرح كتب أرسطو وخرجت إلى العربى] . ومنهم : منطر الاسكندرى وكان إمامًا فى علم الفلك ، واجتمع هو وأفطيمن بالاسكندرية ، وأحكما آلات الرصد ورصدا الكواكب وحققاها ، وكان زمنهما قبل زمن بطليموس صاحب المجسطى بنحو خمسائة واحدى وسبعين سنة . ومنهم : مورطس ، ويقال مورسطس ، حكيم يونانى له رياضة وتخيل ، وصنف كتابًا للآلة المسماة بالأرغن ، وهى

آلة تسمع على ستين ميلاً . ومنهم : مغنس الحمصى من أهل حمص ، وكان من تلامذة أبقراط ، وله ذكر فى زمانه وله تصانيف منها كتاب البول وغيره . ومنهم : مثروديطوس ، ولم يذكر زمانه ، بل قال عنه إنه كان طبيبًا وحكيمًا وهو الذى ركب المعجون المسمى مثروديطوس سمى معجونه باسمه ، وكان معتنيًا بتجربة الأدوية ، وكان يمتحن قواها فى شرار الناس الذين قد وجب عليهم القتال ، فمنها ما وجده موافقًا للدغة الرتيلا ، ومنها ما وجده موافقًا للدغة العقرب ، وكذلك غير ذلك - انتهى كلام ابن القفطى .

وأما بطليموس وجالينوس ، فإن زمانهما متأخر عن زمن اليونان وكانا فى زمن الروم ، وأحدهما قريب من الآخر، وكان بطليموس متقدمًا على جالينوس بقليل ، قال ابن الأثير فى الكامل : وقد أدرك جالينوس زمن بطليموس ، وكان بطليموس مصنف المجسطى المذكور فى زمن أنطونينوس ، ومات أنطونينوس فى أول سنة اثنتين وستين وأربعمائة لغلبة الإسكندر ، وكان بين رصد [ق ٤٣/أ] بطليموس ورصد المأمون ستمائة وتسعون سنة ، وكان رصد المأمون بعد سنة مائتين للهجرة ، فيكون بين الهجرة ورصد بطليموس أربعمائة وتسعون سنة بالتقريب ، وكان جالينوس فى أيام قوموذوس الملك ، وكان موت قوموذوس فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة للإسكندر ، فيكون بين جالينوس والهجرة أكثر من أربعمائة سنة بقليل ، وذلك كله بالتقريب . ومن حكماء اليونان (أقليدس) صاحب كتاب الاستقصات المسمى باسمه ، قال أبو عيسى : وكان أقليدس فى أيام ملوك اليونان البطالسة ، فلم يكن بعد أرسطو ببعيد ، قال : وليس هو مخترع كتاب أقليدس بل هو جامعه ومحرره ومحققه ، ولذلك نسبه إليه . ومنهم : أبرخس وكان حكيمًا رياضيا ورصد الكواكب وحققها ، ونقل بطليموس عنه فى المجسطى ، وكان بين رصد أبرخس وبين رصد بطليموس مائتان وخمس وثمانون سنة فارسية بالتقريب .

ذكر أمة اليهود

قد تقدم ذكر موسى صلوات الله وسلامه عليه ، وكذلك تقدم ذكر بنى إسرائيل ، وإسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام ، وكان لاسرائيل المذكور اثنا عشر ابنا ، وهم : روبيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم يساخر ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالى ثم كاذ ثم أشار أولاد إسرائيل المذكور ، وهؤلاء الاثنا عشر منهم كانت أسباط بنى اسرائيل ، وجميع بنى إسرائيل هم أولاد الاثنى عشر المذكورين ، وأمة اليهود أعم من بنى اسرائيل ، لأن كثيرًا من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودًا ولم يكونوا من

بنى اسرائيل ، وإنما بنو اسرائيل هم الأصل فى هذه الملة وغيرهم دخيل فيها ، فلذلك قد يقال لكل يهودى إسرائيلى ، وقد تقدم ذكر حكام بنى اسرائيل وملوكهم فى الفصل الأول .

وأما اسم اليهود ، فقد قال الشهرستانى فى الملل والنحل : هاد الرجل أى رجع تاب ، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام إنا هُدْنَا إليك أى رجعنا وتضرعنا . قال البيرونى فى الآثار الباقية : ليس ذلك بشىء ، وإنما سُمى هؤلاء باليهود نسبة إلى يهوذا أحد [الأسباط ، فإن الملك استقر فى ذريته ، وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة كما يوجد مثل ذلك فى كلام العرب] ، وكتابهم التوراة ، وقد اشتملت على أسفار ، فذكر فى السفر الأول مبتدأ الخلق ، ثم ذكر الأحكام والحدود والأحوال والقصص والمواعظ والأذكار فى سِفْرِ سِفْر ، وأنزل على موسى عليه السلام الألواح أيضًا ، وهى شبه مختصر ما فى التوراة ، انتهى كلام الشهرستانى .

من كتاب خير البشر بخير البشر ، قال فيه : وليس فى التوراة ذكر القيامة ولا الدار الآخرة ، ولا فيها ذكر بعث ولا جنة ولا نار ، وكل جزاء فيها إنما هو معجل فى الدنيا ، فيجزون [ق ٤٣/ب] على الطاعة بالنصر على الأعداء وطول العمر ، وسعة الرزق ونحو ذلك ، ويجزون على الكفر والمعصية بالموت ومنع القطر والحميات والجرب ، وأن ينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ونحو ذلك ، وليس فيها ذم الدنيا ولا الزهد فيها ، ولا وظيفة صلوات معلومة ، بل الأمر بالبطالة والقذف واللهو . ومما تضمنته التوراة أن يهوذا بن يعقوب فى زمان نبوته ، زنا بامرأة ابنه وأعطاها عمامته وخاتمه رهنًا على [جدى] وهو اجرة الزنا وهو لا يعرفها ، فأمسكت رهنه عندها وأرسل إليها بالجدى ، فلم تأخذه ، وظهر حملها ، وأُخبر يهوذا بذلك ، فأمر بها أن تحرق ، فأنفذت إليه بالرهن ، فعرف يهوذا أنه هو الذى زنا بها فتركها ، وقال هى أصدق ، ومما تضمنته أيضًا : أن روبيل بن يعقوب وَطَأَ سرية أبيه ، وعرف بذلك أبوه] . ومما تضمنته أيضًا أن أولاد يعقوب من أمته كانوا يزنون مع نساء أبيهم ، وجاء يوسف وعَرَّف أباه بخبر إخوته القبيح . ومما تضمنته أن راحيل أخت ليا ، وكان الأختان المذكورتان قد جمع بينهما يعقوب فى عقد نكاحه ، وكان ذلك حلالاً فى ذلك الزمان ، قال : فاشترت راحيل من أختها وضرتها ليا مبيت ابن ليا وهو روبيل عند رحيل ليطأها بنوبتها من يعقوب ليبيت عند ليا . وقد تضمنت من نحو ذلك كثيرًا أضربنا عنه .

رجعنا إلى كلام الشهر ستانى ، قال : واليهود تدعى أن الشريعة لا تكون إلا واحدة ، وهى ابتدأت بموسى وتمت به ، وأما ما كان قبل موسى ، فإنما كان حدودًا عقلية وأحكامًا مصلحية ولم يجيزوا النسخ أصلاً ، فلم يجيزوا بعده شريعة أخرى ، قالوا : والنسخ فى الأوامر بُداء ، ولا يجوز البُداء على الله تعالى .

وافترقت اليهود فرقًا كثيرة فالربانية منهم كالمعتزلة فينا ، والقراءون كالمجبرة والمشبهة

فينا . ومن فرق اليهود الغاثانية نسبوا إلى رجل منهم يقال له غاثان بن داود ، وكان رأس جالوت ، ورأس الجالوت هو اسم للحاكم على اليهود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثانى ، فإنه لما ذهب الملك منهم بغزو بختنصّر ، صار الحاكم عليهم فى القدس يسمى هرذوس [أوهيروذس] ، وكان واليًا من جهة الفرس ، ثم صار من جهة اليونان كذلك ، ثم صار من جهة أغسطس ومن بعده من ملوك الروم كذلك حتى غزاهم طيطوس وأبادهم وخَرَّبَ بيت المقدس الخراب الثانى على ما تقدم ذكره . وتفرقت اليهود فى البلاد ولم تعد لهم بعد ذلك رياسة يعتد بها وصار منهم بالعراق وتلك النواحى جماعة ، وكانوا يرجعون إلى كبير منهم ، فصار اسم ذلك الكبير الذى يرجعون إليه رأس الجالوت .

فمن مذهب الغاثانية [المذكورين] أنهم يصدقون المسيح فى مواعظه وإشاراته ويقولون إنه لم يخالف التوراة ألبتة بل قررها ودعا الناس إليها ، وهو من أنبياء بنى إسرائيل المتعبدين بالتوراة إلا أنهم لا يقولون بنبوته ، ومنهم من يدعى أن عيسى لم يدع أنه نبى مرسل ولا أنه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى ، بل هو من أولياء الله المخلصين ، وأن الإنجيل ليس كتابًا منزلاً عليه وحيًا من الله تعالى ، بل هو جميع أحواله ، جمعه أربعة من أصحابه ، واليهود ظلموه أولاً حيث كذبوه ولم يعرفوا بعد دعواه [ق ٤٤/أ] وقتلوه آخرًا ولم يعلموا محله ومغزاه ، وقد ورد فى التوراة ذكر المشيحا فى مواضع كثيرة وهو المسيح . وأما السمرة : فمنهم فرقة يقال لهم الدستانية ، وتسمى الدستانية أيضًا الفانية . ومنهم فرقة يُقال لها كوشانية ، والدستانية يقولون إنما الثواب والعقاب فى الدنيا ، وأما الكوشانية فيقرون بالآخرة وثوابها وعقابها .

ولليهود أعياد وصيام ، فمنها : الفِصْح وهو اليوم الخامس عشر من نيسان ، وهو عيد كبير وهو أول أيام الفطير السبعة ، ولا يجوز لهم فيها أكل الخمير لأنهم أمروا فى التوراة أن يأكلوا فى هذه الأيام فطيرًا ، وآخر هذه الأيام الحادى والعشرين من الشهر المذكور ، والفصح يدور من ثانى عشر آذار إلى خامس عشر نيسان ، [وسبب ذلك أن بنى إسرائيل لما تخلصوا من فرعون وحصلوا على التيه ، اتفق ذلك ليلة الخامس عشر من نيسان] اليهود ، والقمر تام الضوء والزمان زمان ربيع ، فأمروا بحفظ هذا اليوم ، وفى آخر هذه الأيام غرق فرعون فى بحر السويس ، وهو بحر القلزم .

ولهم عيد العنصرة ، وهو بعد الفطير بخمسين يومًا ، ويكون فى السادس من شيون ، وفيه حضر مشايخ بنى إسرائيل إلى طور سيناء مع موسى عليه السلام ، فسمعوا كلام الله تعالى من الوعد والوعيد ، فاتخذوه عيدًا . ومن أعيادهم ، عيد الخنكة ومعناه التنظيف ، وهو ثمانية أيام أولها الخامس والعشرون كسليو ، يسرجون فى الليلة الأولى سراجًا وفى الثانية اثنين وكذلك

حتى يسرجوا فى الثامنة ثمانية سرج ، وذلك تذكار أصغر ثمانية إخوة قتل بعض ملوك اليونان ، فإنه كان قد تغلب عليهم ملك من اليونان ببيت المقدس ، وكان يفترع البنات قبل الإهداء إلى أزواجهن ، وكان له سرداب قد أخرج منه حبلين عليهما جلجلان ، فإن احتاج إلى امرأة ، حرك الأيمن فتدخل عليه ، فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلى سبيلها ، وكان فى بنى إسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة ، فتزوجها إسرائيلى وطلبها ، فقال له أبوها إن أهديتها إليك افترعها هذا الملعون ووبخ بنيه بذلك ، فأنفوا من ذلك ووثب الصغير منهم فلبس ثياب النساء وخبأ خنجرًا تحت قماشه وأتى باب الملك على أنه أخته ، فلما حرك الجرس أدخل عليه ، فحين خلا به قتله وأخذ رأسه ، وحرك الحبل الأيسر وخرج ، فخلى سبيله ، فلما ظهر قتل الملك فرح بذلك بنو إسرائيل ، واتخذوه عيدًا فى ثمانية أيام تذكارًا للإخوة الثمانية . ومن أعيادهم : المظالا وهى سبعة أيام أولها خامس عشر تشرين الأول ، يستظلون فيها بالخلاف والقصب [وغير ذلك] ، وهى فريضة على المقيم دون المسافر ، وأمروا بذلك تذكارًا لإظلال الله تعالى إياهم بالغمام فى التيه ، وآخر المظال وهو حادى عشرين تشرين يسمى عرابا ، وتفسيره شجر الخلاف ، وعيد عرابا وهو اليوم الثانى والعشرون من تشرين يسمى التبريك وتبطل فيه الأعمال ، ويزعمون أن التوراة به استتم نزولها [ق ٤٤/ب] ولذلك يتبركون فيه بالتوراة ، وليس فى صياماتهم فرض غير صوم الكبور وهو عاشر يوم من تشرين اليهود وابتداء الصوم من اليوم التاسع قبل غروب الشمس بنصف ساعة إلى بعد غروبها من اليوم العاشر بنصف ساعة تمام خمس وعشرين ساعة ، وكذلك غيره من صياماتهم النوافل والسنن .

ذكر أمة النصارى
وهم أمة المسيح عليه السلام

من كتاب الملل والنحل للشهرستانى قال : وللنصارى فى تجسد الكلمة مذاهب ، فمنهم من قال : أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف ، ومنهم من قال : انطبعت فيه انطباع النقش فى الشمعة ، ومنهم من قال : تدرع اللاهوت بالناسوت ، ومنهم من قال : مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء ، واتفقت النصارى على أن المسيح قتلته اليهود وصلبوه ، ويقولون : إن المسيح بعد أن قتل وصلب ومات ، عاش فرأى شخصه شمعون الصفا ، وكلمه وأوصى إليه ، ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء . قال : وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة ، وكبارهم ثلاث فرق : الملكانية والنسطورية واليعقوبية .

أما الملكانية : فهم أصحاب ملكا الذى ظهر ببلاد الروم واستولى عليها ، فصار غالب

الروم ملكانية ، وهم يصرحون بالتثليث ، وعنهم أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾[١] وصرحت الملكانية أن المسيح ناسوت كلى وهو قديم أزلى من قديم أزلىّ ، وقد ولدت مريم إلهاً أزليًا ، والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معًا ، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقة ، وذلك لما وجدوا فى الإنجيل « إنك أنت الابن الوحيد » ولما رووا عن المسيح أنه قال حين كان يصلب « أذهب إلى أبى وأبيكم » وجَرَّمُوا آربوس لما قال : « القديم هو الله تعالى والمسيح مخلوق » واجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة بالقسطنطينية بمحضر من قسطنطين ملكهم ، وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، واتفقوا على هذه الكلمة اعتقادًا ودعوة ، وذلك قولهم نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شىء وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبالابن الواحد إيشوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلاق كلها وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذى بيده اتفقت العوالم وكل شىء ، الذى من أجلنا وأجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، وولد من مريم البتول وصلب ودفن ، ثم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بالروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه وبمعبودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية [ق ٤٥/أ] وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين ، هذا هو الاتفاق الأول على هذه الكلمات ، ووضعوا شرائع النصارى ، واسم الشريعة عندهم الهيمانوت .

وأما النسطورية : فهم أصحاب نسطورس ، وهم عند النصارى كالمعتزلة عندنا ، وخالفت النسطورية الملكانية فى اتحاد الكلمة ، فلم يقولوا بالامتزاج ، بل إن الكلمة أشرقت على جسد المسيح كإشراق الشمس فى كوة أو على بللور وقالت النسطورية أيضًا إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، خلافًا للملكانية .

وأما اليعقوبية : وهم أصحاب يعقوب البردغانى[٢] وكان راهبًا بالقسطنطينية قالوا : إن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا ، فصار الإله هو المسيح ، قال ابن حزم : واليعقوبية يقولون إن المسيح هو الله [قتل] وصلب ومات ، وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر ، وعنهم أخبر القرآن العزيز بقوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾[٣] .

ومن كتاب ابن سعيد [المغربى] قال : البطارقة للنصارى بمنزلة الأئمة أصحاب المذاهب للمسلمين ، والمطارنة مثل القضاة ، والأساقفة مثل المفتين ، والقسيسون بمنزلة القراء ،

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٣ .
(٢) ط : البردغاوى .
(٣) سورة المائدة من الآية ١٧ .

والجاثليق بمنزلة الإمام الذى يؤم فى الصلاة ، والشمامسة بمنزلة المؤذنين وقومة المساجد .

وأما صلوات النصارى ، فإنها سبع عند الفجر والضحى والظهر والعصر والمغرب والعشاء ونصف الليل ، يقرءون فيها بالزبور المنزل على داود تبعًا لليهود فى ذلك ، والسجود فى صلاتهم غير محدودة ، قد يسجدون فى الركعة الواحدة خمسين سجدة ، ولا يتوضئون للصلاة ، وينكرون الوضوء على المسلمين واليهود ، ويقولون الأصل طهارة القلب .

ومما نقلناه من كتاب نهاية الإدراك فى دراية الأفلاك للخرقى فى الهيئة أن للنصارى أعيادًا وصيامات ، فمنها صومهم الكبير وهو صوم تسعة وأربعين يومًا أولها يوم الاثنين ، وهو أقرب اثنين إلى الاجتماع الكائن فيما بين اليوم الثامن من شباط إلى اليوم الثانى من آذار ، فأى الاثنين كان أقرب إليه إما قبل الاجتماع وإما بعده ، فهو رأس صومهم ثم وجدت ضابطًا لرأس صومهم أصح مما ذكر وهو أن ينظر إلى الريح وهو سادس كانون الثانى فى أى شهر هو من الشهور العربية ثم ينتقل إلى سابع عشر من الشهر العربى الذى يليه من حين رؤية الهلال ، فإن كان يوم الاثنين فهو رأس صومهم وإلا فأى اثنين كان أقرب إليه قبله أو بعده ، وفطرهم أبدًا يكون يوم الأحد الخمسين من هذا الصوم ، وسبب تخصيصهم هذا الوقت بالصوم أنهم يعتقدون أن البعث والقيامة يكون فى مثل يوم الفصح ، وهو اليوم الذى قام فيه المسيح من قبره لزعمهم . ومن أعيادهم الشعانين الكبير وهو يوم [ق ٤٥ / ب] الأحد الثانى والأربعين من الصوم ، وتفسير الشعانين التسبيح لأن المسيح دخل يوم الشعينة المذكورة إلى القدس راكبًا أتانًا يتبعها جحش ، فاستقبله الرجال والنساء والصبيان وبأيديهم ورق الزيتون وقرءوا بين يديه التوراة إلى أن دخل بيت المقدس واختفى عن اليهود يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء وغسل فى يوم الأربعاء أيدى أصحابه الحواريين وأرجلهم ومسحها فى ثيابه ، وكذلك يفعله القسيسون بأصحابهم فى هذا اليوم ، ثم أفصح يوم الخميس بالخبز والخمر ، وصار إلى منزل واحد من أصحابه ، ثم خرج المسيح ليلة الجمعة إلى الجبل فسعى به يهوذا ، وكان أحد تلامذته إلى كبراء اليهود ، وأخذ منهم ثلاثين درهمًا رشوة ودلهم عليه ، فألقى الله شبه المسيح على المذكور ، فأخذوه وضربوه ووضعوا على رأسه إكليلا من الشوك وأنالوه كل مكروه وعذبوه بقية تلك الليلة – أعنى ليلة الجمعة – إلى أن أصبحوا فصلبوه بزعمهم أنه المسيح على ثلاث ساعات من يوم الجمعة [على قول متى ومرقص ولوقا ، وأما يوحنا فإنه زعم أنه صلب على مضى ست ساعات] من النهار المذكور ، ويسمى جمعة الصلبوت وصلب معه لصان على جبل يقال له الجمجمة واسمه بالعبرانية كاكله ، وماتوا على ما زعموا فى الساعة التاسعة ، ثم استوهب يوسف النجار – وهو ابن عم مريم – المسيح من قائد اليهود هيروذوس واسمه فيلاطوس ، وكان ليوسف المذكور منزلة ومكانة عنده ، فوهبه إياه ، فدفنه يوسف فى قبر كان أعده لنفسه ، وزعمت النصارى أنه مكث فى القبر ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد ، ثم

قام صبيحة يوم الأحد الذى يفطرون فيه ، ويسمون النصارى ليلة السبت بشارة الموتى بقدوم المسيح .

ولهم : الأحد الجديد ، وهو أول أحد بعد الفطر ، ويجعلونه مبدأ للأعمال وتاريخًا للشروط والقبالات ، ولهم عيد السلاقا ، ويكون يوم الخميس بعد الفطر بأربعين يومًا ، وفيه تسلق المسيح مصعدًا إلى السماء من طور سينا . ولهم : عيد الفنطى قسطى ، وهو يوم الأحد بعد السلاقا بعشرة أيام ، واسمه مشتق من الخميس بلسانهم ، وفيه تجلى المسيح لتلامذته وهم السليحيون ، ثم تفرقت ألسنتهم وتوجهت كل فرقة إلى موضع لغتها . ولهم : الدنح ، هو سادس كانون الثانى وهو اليوم الذى غمس فيه يحيى بن زكريا المسيح فى نهر الأردن ولهم عيد الصليب وهو مشهور ، ولهم الميلاد ، ويصومون قبله أربعين يومًا أولها سادس عشر تشرين الآخر ، وكان الميلاد فى ليلة الرابع والعشرين من كانون الأول ، وفى الليلة المذكورة ولدت مريم المسيح فى قرية بالقرب من القدس تسمى بيت لحم .

وأما الإنجيل ، فهو كتاب يتضمن أخبار المسيح عليه السلام من ولادته إلى وقت خروجه من هذا العالم ، كتبه أربعة نفر من أصحابه هم : متى كتبه بفلسطين بالعبرانية ؛ ومرقص كتبه ببلاد الروم باللغة الرومية ؛ ولوقا كتبه بالاسكندرية باللغة اليونانية ؛ ويوحنا كتبه بأفسس باليونانية أيضاً . ولهم : صوم السليحيين ، وهو ستة وأربعون يومًا ، أولها يوم الاثنين [ق ٤٦ / أ] تالى الفنطى قسطى بعد الفطر الكبير بخمسين يومًا ، ولهم فيه خلاف . ولهم : صوم نينوى ثلاثة أيام ، أولها يوم الاثنين الذى قبل الصوم الكبير باثنين وعشرين يومًا . ولهم : صوم العذارى وهو ثلاثة أيام أولها يوم الاثنين لتلو الدنح وفطره يوم الخميس .

ذكر الأمم التى دخلت فى دين النصارى

فمنها : أمة الروم ، قال أبو عيسى : وهذه الأمة على كثرتها وعظم ملوكها واتساع بلادها ، إنما نجمت من بنى العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان أول ظهورهم فى سنة ست وسبعين وثلثمائة لوفاة موسى عليه السلام وصاروا إلى البلاد المعروفة ببلاد الروم وسكنوها وحينئذ ابتدأت الروم توجد .

ومن كتاب ابن سعيد المغربى : أن الروم يعرفون ببنى الأصفر ، والأصفر هو روم بن العيص بن اسحاق على أحد الأقوال . من الكامل وغيره : أن الروم كانت تدين بدين الصابئة ويعبدون أصنامًا على أسماء الكواكب ، ومازلت الروم ملوكها ورعيتها كذلك حتى تنصر قسطنطين وحملهم على دين النصارى فتنصروا عن آخرهم .

ومن أمم النصارى (الأرمن) ، وكانت بلادهم أرمينية وقاعدة مملكتها خِلَاط ، فلما ملكها المسلمون صارت الأرمن رعية فيها ، ثم تغلبت الأرمن على الثغور وملكوا من المسلمين طرسوس والمصيصة واستولوا على تلك البلاد التى تعرف اليوم ببلاد سليس ، وسليس مدينة ولها قلعة حصينة ، وهى كرسى مملكة الأرمن فى زماننا هذا .

ومنها : الكُرْج ، وبلادهم مجاورة لبلاد خلاط آخذة إلى الخليج القسطنطينى وممتدة إلى نحو الشمال ولهم جبال منيعة ، والكُرْجُ خلق كثير وقد غلب عليهم دين النصارى ، ولهم قلاع حصينة وبلاد متسعة ، وهم فى زماننا هذا مصالحون للتتر ، وبيت الملك عندهم محفوظ متوارث يليه الرجال والنساء من ذلك البيت .

ومنها : الجركس ، وهم على بحر نيطش من شرقيه ، وهم فى شظف من العيش ، والغالب عليهم دين النصارى .

ومنها : الروس ، ولهم بلاد فى شمالى بحر نيطش وهم من ولد يافث ، وقد غلب عليهم دين النصارى .

ومنها البلغار ، منسوبون إلى المدينة التى يسكنونها وهى فى شرقى بحر نيطش [ق ٤٦/ب] ، وكان الغالب عليهم النصرانية ، أسلم منهم جماعة .

ومنها : الألمان ، وهى من أكبر أمم النصارى ، يسكنون فى غربى القسطنطينية إلى الشمال ، وملكهم كثير الجنود ، وهو الذى سار إلى صلاح الدين بن أيوب فى مائة ألف مقاتل ، فهلك ملك الألمان المذكور وغالب عسكره فى الطريق قبل أن يصلوا إلى الشام على ما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى مع أخبار صلاح الدين المذكور .

ومنها : البرجان ، وهم أيضًا أمة كبيرة بل أمم كثيرة طاغية قد فشا فيها التثليث ، وبلادهم واغلة فى الشمال وأخبارهم وسير ملوكهم منقطعة عنا لبعدهم وجفاء طباعهم .

ومنها : الإفرنج ، وهم أمم كثيرة وأصل قاعدة بلادهم فرنجة ، ويقال فرنسة وهى مجاورة لجزيرة الأندلس من شمالها ، ويقال لملكهم الفرنسيس وهو الذى قصد ديار مصر وأخذ دمياط ، ثم أسره المسلمون واستنقذوا دمياط منه ومنوا عليه بالاطلاق ، وكان ذلك بعيد موت الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب على ما سنذكره فى سنة ثمان وأربعين وستمائة للهجرة إن شاء الله تعالى . وقد غلب الفرنج على معظم جزيرة الأندلس ، ولهم فى بحر الروم جزائر مشهورة مثل صقلية وقبرس وأقريطش وغيرها .

ومنهم : الجنوية ، منسوبون إلى جنوة ، وهى مدينة عظيمة وبلاد كثيرة وهى غربى القسطنطينية على بحر الروم .

ومنهم : البنادقة ، وهم أيضًا طائفة مشهورة ، ومدينتهم تسمى البندقية ، وهى على خليج يخرج من بحر الروم يمتد نحو سبعمائة ميل فى جهة الشمال والغرب ، وهى قريبة من جنوة فى البر وبينها نحو ثمانية أيام ، وأما فى البحر فبينهما أمد بعيد أكثر من شهرين لأنهم يخرجون من شعبة البحر التى على طرفها البندقية وقدرها سبعمائة ميل إلى بحر الروم مشرقًا ، ثم يسيرون فيه مغربًا إلى جنوة . وأما رومية فهى مدينة عظيمة تقع غربى جنوة والبندقية ، وهى مقر خليفتهم واسمه الباب وهى شمالى الأندلس بميلة إلى الشرق .

ومن أمم النصارى : الجلالقة ، وهم أشد من الفرنج ، وهم أمة يغلب عليهم الجهل والجفاء ، ومن زيهم أنهم لا [ق ٤٧/أ] يغسلون ثيابهم بل يتركونها عليهم إلى أن تبلى ، ويدخل دار أحدهم الآخر بدون استئذان كالبهائم ولهم بلاد كثيرة فى شمالى الأندلس .

ومنها : الباشقرد ، وهم أمة كثيرة ما بين بلاد الألمان وبلاد إفرنجة وملكهم ، وأغلبهم نصارى ، وفيهم أيضًا مسلمون وهم شرسو الأخلاق .

ذكر أمم الهند

وهم فرق كثيرة ، قال الشهرستانى : ومن فرقهم : الباسوية ، زعموا أن لهم رسولاً ملكًا روحانيًا نزل بصورة البشر ، فأمرهم بتعظيم النار والتقرب إليها بالطيب والذبايح ، ونهاهم عن القتل والذبح لغير النار ، وسَنَّ لهم أن يتوشحوا بخيط يعقدونه من مناكبهم الأيامن إلى تحت شمائلهم ، وأباح لهم الزنا ، وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها ، ويتضرعون فى التوبة إلى التمسيح بها . قال : ومنهم : اليهودية ، ومن مذهبهم أن لا يعافوا شيئًا ، لأن الأشياء جميعها صنع الخالق ، ويتقلدون بعظام الناس ، ويمسحون رءوسهم وأجسادهم بالرماد ، ويحرمون الذبائح والنكاح وجمع الأموال . ومنهم : عبدة الشمس وعبدة النهار . ومنهم : عبدة الأصنام ، وهم معظمهم ، ولهم أصنام عدة ، كل صنم لطائفة ، ويكون لذلك الصنم شكل غير شكل الصنم الآخر مثل أن يكون أحدها بأيد كثيرة أو على شكل امرأة أو معه حيات [ونحو ذلك]. ومنهم : عباد الماء ، [ويقال لهم] الجلهكينية ، ويزعمون أن الماء ملك ، وهو أصل كل شيء ، فإذا أراد الرجل عبادة الماء تجرد وستر عورته ، ثم دخل الماء حتى يصل إلى وسطه فيقيم فيه ساعتين أو أكثر ، ويأخذ ما أمكنه من الرياحين فيقطعها صغارًا ويلقيها فى الماء وهو يسبح ويقرأ، وإذا أراد الانصراف حرك الماء بيده ، ثم أخذ منه فنقط على رأسه ووجهه ، ثم يسجد وينصرف .

ومنهم : عباد النار ، ويقال لهم الأكنواطرية ، وصورة عبادتهم أن يحفروا فى الأرض أخدودًا مربعا ويؤججوا النار فيه ، ثم لا يدعون طعامًا لذيذًا ولا شرابًا لطيفًا ولا ثوبًا فاخرًا ولا عطرًا

فائحاً ولا جوهرًا نفيسًا إلا طرحوه فى تلك النار تقربًا إليها ، وحرموا إلقاء النفوس فيها خلافًا لطائفة أخرى .

ومنهم : البراهمة أصحاب الفكرة ، وهم أهل العلم بالفلك والنجوم ، ولهم طريقة فى أحكام النجوم تخالف طريقة منجمى الروم والعجم ، وذلك أن أكثر أحكامهم باتصالات التوابت دون السائرات ، وإنما سموا أصحاب الفكرة لأنهم يعظمون أمر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول ، ويجهدون كل الجهد حتى يصرفوا الفكر عن المحسوسات ، فإذا تجرد الفكر عن هذا العالم تجلّى له ذلك العالم ، فربما يخبر عن المغيبات ، وربما يوقع الوهم على حى فيقتله ، وإنما يصرفون النظر عن المجسوسات بالرياضة البليغة المجهدة ، وبتغميض أعينهم أيامًا ، والبراهمة لا يقولون بالنبوات وينفونها بالكلية ، ولهم على ذلك شُبَهٌ مذكورة فى الملل والنحل لا تليق بهذا المختصر .

ومن كتاب ابن سعيد المغربى ونقله عن المسعودى : أن الهنود لا يرون إرسال الريح من بطونهم قبيحًا ، والسعال عندهم أقبح من الضراط ، والجُشَاءُ[1] أقبح من الفساء . ومما نقله عن المسعودى أيضًا أن الهنود يحرقون أنفسهم ، وإذا أراد الرجل منهم ذلك ، أتى إلى باب الملِكِ فاستأذنه فى إحراق نفسه ، فإذا أذن له ، ألبس ذلك الرجل أنواع الحرير المنقوش وجُعِلَ على رأسه إكليلٌ من الريحان وضُرِبَتِ الطبول والصنوج بين يديه وقد أُجِّجَتْ له النيران ويدور [ق ٤٧/ب] كذلك فى الأسواق وحوله أهله وأقاربه ، حتى إذا دنا من النار أخذ خنجرًا بيده وشق به جوفه ثم يهوى بنفسه فى النار ، قال : والزنا فيها بينهم مباح ، قال : ويعظمون نهر كنك ، وهو نهر عظيم يجرى فى حدود الهند من الشرق إلى الغرب ،وهو حاد الانصباب ، وللهنود رغبة فى إتلاف نفوسهم بالتغريق فى هذا النهر ، ويقتلون أنفسهم على شطه أيضًا ، والهنود تتهادى ماء هذا النهر كما يتهادى المسلمون ماء بئر زمزم .

وللهند ممالك ، فمنها : مملكة المانكير ، وهى من أعظم ممالك الهند ، وهى على بحر اللان الذى عليه السند ولا يُدْرَك لهذا البحر قعر ، وهو أول بحار الهند من جهة الغرب ، وهذه المملكة أقرب ممالك الهند إلى بلاد الإسلام ، وهى التى كان يكثر محمود بن سُبُكْتَكِين غزوها حتى فتح منها بلاداً كثيرة . ومن مدنها العظام مدينة لهاور ، وهى على جانبى نهر عظيم مثل بغداد .

قال : ويلى مملكة المانكير : مملكة القنوح ، وهى مملكة بلادها الجبال ، وهى منقطعة عن البحر ، وكل من ملكها يسمى نوده ، ولأهل هذه المملكة أصنام يتوارثون عبادتها ويزعمون أن

---

(١) الجُشَاءُ : من جَسأَتْ نفسه : أى ثارت لِلْقَىْءِ ، انظر مادة جَشَأ فى لسان العرب جـ ١ ط دار المعارف .

لها نحو مائتى ألف سنة ، قال ويجاور هذه المملكة : مملكة قمار ، وهى التى ينسب إليها العود القمارى ، وهى على البحر ، وأهل هذه المملكة يرون تحريم الزنا بين أهل الهند .

قال ابن سعيد ورواه عن المسعودى : أن الذى يملكها يسمى زهم ، قال ويجاوره من جهة البحر ملك الخزر المعروف بالمهراج . قال وآخر ممالك الهند من جهة الشرق : مملكة بنارس ، وهى تلى بلاد الصين ، وهى مملكة طويلة وعرضها نحو عشرة أيام . وجزائر بحر الهند فى نهاية الكثرة ، وهى فى البحر قبالة هذه الممالك ، ولها ملوك وقد أكثر المصنفون فيها الكلام مما لا يليق بهذا المختصر .

ذكر أمة السند

وهم غربى الهند ، وبلاد السند قسمان ، قسم على جانب البحر ، ويقال لتلك البلاد اللان ، ومن مشاهير مدن هذا القسم المولتان والمنصورة والديبل والمسلمون غالبون على هذا القسم . والقسم الثانى [فى البر] إلى جانب الجبل ، وبلاده كثيرة الوعر ، ويقال للبلاد التى فى هذا القسم القشمير ، وهى فى أيدى الكفار وأهلها يعبدون الأوثان مثل الهنود ، وكل من ملك السند يقال له رُتْبِيل .

ذكر أمم السودان

وهم من ولد حام . قال ابن سعيد : وأديان السودان مختلفة ، فمنهم مجوس ، ومنهم من يعبد الحيات ، ومنهم أصحاب أوثان ، قال وقد روى عن جالينوس أنهم يختصون بعشر خصال وهى تفلفل الشعر وخفة اللحا وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحدد الأسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب . فمن أعظم أممهم : الحبش وبلادهم تقابل الحجاز وبينهما البحر وهى بلاد طويلة عريضة ، وبلادهم فى جنوب النوبة وشرقيها ، وهم الذين ملكوا اليمن قبل الإسلام حسبما تقدم خبره عقب ذكر ملوك اليمن من العرب وخصيان الحبشة أفخر الخصيان .

ويجاور الحبشة من الجنوب : الزيلع ، والغالب عليهم دين الإسلام . ومن أمم السودان : النوبة ، وهم يجاورون الحبشة من جهة الشمال والغرب ، والنوبة فى جنوب حدود مصر ، وكثيرًا ما يغزوهم عسكر مصر ، ويقال إن لقمان الحكيم الذى كان مع داود النبى عليه السلام من النوبة ، وأنه ولد بأيلة ، ومنهم ذو النون المصرى [ق ٤٨/ أ] وبلال بن حمامة . ومن

أممهم : البجا ، وهم شديد [و] السواد عراة ، ويعبدون الأوثان ، وهم أهل أمن وحسن مرافقة للتجار ، وفى بلادهم الذهب ، وهم فوق الحبشة إلى جهة الجنوب على النيل . ومن أممهم : الرمادم ، وبلادهم على النيل فوق بلاد الزنج ، والدمادم تتر السودان ، فإنهم خرجوا عليهم وقتلوا فيهم كما جرى للتتر مع المسلمين ، وهم مهملون فى أديانهم ، ولهم أوثان وأوضاع مختلفة ، وفى بلادهم الزرافات ، وفى أرض الدمادم يفترق النيل إلى جهة مصر وإلى الزنج . ومن أممهم : الزنج ، وهم أشد السودان سوادًا ، ويحاربون راكبين البقر ، ويعبدون الأوثان ، وهم أهل بأس وقساوة ، والنيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم . ومن أممهم : التكرور ، وهم على غربى النيل ، وبلادهم جنوبية غربية ، وببلادهم يكون الذهب ، وهم كفار مهملون ، ومنهم مسلمون . ومن أممهم : الكانم وأكثرهم مسلمون ، وهم على النيل ، وهم على مذهب مالك .

وأما مدينة غانة ، فهى من أعظم مدن السودان ، وهى فى أقصى جنوب المغرب ، ويسافر التجار من سِجِلْمَاسَةَ إلى غانة ، وسِجِلْمَاسَةَ مدينة بالمغرب الأقصى بعيدة عن البحر ، ويسيرون من سجلماسة إلى غانة فى مفازة لا يوجد فيها الماء نحو اثنى عشر يومًا ويحملون إليها التين والملح والنحاس والودع ، ولا يجلبون منها إلا الذهب العين .

ذكر أمم الصين

وأما بلاد الصين فطويلة عريضة ، طولها من المشرق إلى المغرب أكثر من مسيرة شهرين ، وعرضًا من بحر الصين فى الجنوب إلى سد يأجوج ومأجوج فى الشمال ، وقد قيل إن عرضها أكثر من طولها ، وتشتمل أرضها على الأقاليم السبعة ، وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلاً وأحذق الناس فى الصناعات ، وهم قصار القدود ، عظام الرءوس ، وهم أهل مذاهب مختلفة ، فمنهم مجوس وأهل أوثان وأهل نيران . قال : ومدينتهم الكبرى يقال لها جمدان ، يشقها نهرها الأعظم . وأهل الصين أحذق خلق الله تعالى بنقش وتصوير ، بحيث يعمل الرجل الصينى بيده ما يعجز عنه أهل الأرض ، والصين الأقصى – ويقال له صين الصين – هو نهاية العمارة من جهة الشرق ، وليس وراءه غير البحر المحيط ، ومدينته العظمى يقال لها السيلى ، وأخبارهم منقطعة عنا .

ذكر بنى كنعان

وهم أهل الشام قال ابن سعيد : وإنما سُمى الشام شامًا لسكنى سام بن نوح ، وسام اسمه بالعبرانية شام بشين معجمة وقيل تشأمت به بنو كنعان ، فسمى شامًا ، وكنعان هو ابن مازيغ ابن حام بن نوح ، وكان كنعان من جملة الذين اتفقوا على بناء الصرح ، فلما بلبل الله تعالى ألسنتهم فى أواخر سنة ستمائة وسبعين للطوفان وتفرقوا ، نزل كنعان فى الشام ونزل فى جهة فلسطين وتوارثها بنوه ، وكان كل من ملك من بنى كنعان يلقب جالوت إلى أن قتل داود جالوت آخر ملوكهم وكان اسمه كلياد ، عن البيرونى – ذكر ذلك فى أواخر كتاب الجواهر – فتفرقت بنو كنعان وسار منهم طائفة إلى المغرب وهم البربر .

ذكر البربر

وقد اختلف فى البربر اختلافًا كثيرًا ، فقيل إنهم من ولد فارق بن بيصر بن حام ، والبربر يزعمون أنهم من ولد قيس عيلان ، وصنهاجة من البربر [ق ٤٨/ب] تزعم أنها من ولد إريقس بن صيفى الحميرى ، وزناتة منهم تزعم أنها من لخم ، والأصح أنهم من ولد كنعان حسبما ذكرناه ، وأنه لما قتل ملكهم جالوت وتفرقت بنو كنعان قصدت طائفة منهم بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد ، وهم البربر .

وقبائل البربر كثيرة جدًا ، منهم : كُتَامة ، وبلادهم الجبال من المغرب الأوسط ، وكتامة الذين أقاموا دولة الفاطميين مع أبى عبد الله الشيعى . ومنهم : صنهاجة ، ومن صنهاجة ملوك أفريقية بنو بلكين بن زيْرى . ومن قبائل البربر : زناتة ، وكان منهم ملوك فاس وتلمسان وسجلماسة ، ولهم الفروسية والشجاعة المشهورة . ومن البربر : المصامدة ، وسكناهم فى جبل دَرَن ، وهم الذين قاموا بنصر المهدى بن تومرت ، وبهم [ملك] عبد المؤمن وبنوه بلاد المغرب ، وانفرق من المصامدة : قبيلة هنتانة ، وملك منهم أفريقية والمغرب الأوسط أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ، ثم خطب لولده أبى عبد الله محمد بن يحيى بالخلافة ، واستمر الحال على ذلك إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة وسنذكرهم إن شاء الله تعالى . ومن قبائل البربر المشهورة : برغواطة ، ومنازلهم فى تامست وجهات سلا على البحر المحيط .

والبربر مثل العرب فى سكنى الصحارى ، ولهم لسان غير العربى ، قال ابن سعيد : ولغاتهم ترجع إلى أصول واحدة وتختلف فروعها حتى لا يفهم بعضهم بعضًا إلا بترجمان.

ذكر أمة عاد

وهم من ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت عاد فى نهاية من عظم الأجساد والتجبر ، ونزل عاد لما تبلبلت الألسن فى حضر موت ، وأرسل الله تعالى إلى بنى عاد هودًا نبيًا حسبما تقدم ذكره فى الفصل الأول ، فلم يستجيبوا له ، وكانوا أهل قوة وبطش ، وكان لهم فى الأرض آثار عظيمة حتى قال لهم هود : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾[1] وبلاد عاد يقال لها الأحقاف ، وهى بلاد متصلة باليمن وبلاد عمان ، وصار الملك فى بنى عاد ، وأول من ملك منهم شداد بن عاد ، ثم ملك بعده من بنيه جماعة ، وقد كثر الاختلاف فى ذكرهم ، وجميع ما ذكر من ذلك مضطرب غير قريب للصحة فانصرفنا عنه .

ذكر العمالقة

وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام ، ولما تبلبلت الألسن نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن ، ثم تحولوا إلى الحرم وأهلكوا من قاتلهم[2] من الأمم ، وكان من العمالقة جماعة بالشام ، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام ، ثم يوشع بعده فأفناهم ، وكان منهم فراعنة مصر . وكان منهم من ملك يثرب ، وخيبر وتلك النواحى . قال صاحب الأغانى : كان السبب فى سكنى اليهود خيبر وغيرها من الحجاز أن موسى عليه السلام أرسل جيشًا إلى العمالقة أصحاب خيبر ويثرب وغيرهما من الحجاز ، وأمرهم موسى عليه السلام أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدًا ، فسار ذلك الجيش وأوقع بالعمالقة وقتلوهم واستبقوا منهم ابن ملكهم ورجعوا به إلى الشام ، وقد مات موسى عليه السلام ، فقالت لهم بنو إسرائيل : قد عصيتم وخالفتم فلا نأويكم ، فقالوا نرجع إلى البلاد التى غلبنا عليها وقتلنا أهلها ، فرجعوا إلى يثرب وخيبر [ق ٤٩ / أ] وغيرهما من بلاد الحجاز ، واستمرت اليهود بتلك البلاد حتى نزلت عليهم الأوس والخزرج لما تفرقوا من اليمن بسبب سيل العرم . وقيل إن اليهود إنما سكنوا الحجاز لما تفرقوا حين غزاهم بختنصّر وخرب بيت المقدس ، والله تعالى أعلم .

---

(١) السعراء : الآيات ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) ص : فابلهم .

ذكر أمم العرب وأحوالهم قبل الإسلام

قال الشهرستانى فى الملل والنحل : والعرب الجاهلية أصناف ، فصنف أنكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفنى كما أخبر عنهم التنزيل : ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾[١] ، وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث ، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾[٢] وصنف عبدوا الأصنام ، وكانت أصنامهم مختصة بالقبائل ، فكان ود لكلب وهو بدومة الجندل ، وسواع لهذيل ، ويغوث لمذحج ، ولقبائل من اليمن ، ونسر لذى الكلاع بأرض حمير ، ويعوق لهمدان ، واللات لثقيف بالطائف ، والعزى لقريش وبنى كنانة ، ومناة للأوس والخزرج ، وهبل أعظم أصنامهم ، وكان هبل على ظهر الكعبة ، وكان إساف ونائلة على الصفا والمروة ، وكان منهم من يميل إلى اليهودية ، ومنهم من يميل إلى النصرانية ، ومنهم من يميل إلى الصابئة ويعتقد فى أنواء المنازل اعتقاد المنجمين فى السيارات حتى لا يتحرك إلابنوء من الأنواء ، ويقول مُطرنا بنوء كذا ، وكان منهم من يعبد الملائكة . ومنهم من يعبد الجن .

وكانت علومهم علم الأنساب والأنواء والتواريخ وتعبير الرؤيا ، وكان لأبى بكر الصديق رضى الله عنه فيها يد طولى ، وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاءت به شريعة الإسلام فكانوا لا ينكحون الأمهات والبنات ، فكان أقبح ما يصنعونه[٣] الجمع بين الأختين ، وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه ويسمونه الضَّيْزَن[٤] ، وكانوا يحجون البيت ويحرمُون ويعتمرون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار ، وكانوا يكبسون فى كل ثلاثة أعوام شهرًا ، ويغتسلون من الجنابة ، وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق ، وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى .

ذكر أحياء العرب وقبائلهم

وقد قسم المؤرخون العربَ إلى ثلاثة أقسام : بائدة وعاربة ومستعربة ، أما البائدة : فهم العرب الأول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم وهم عاد وثمود وجرهم الأولى ،

---

(١) الجاثية : من الآية ٢٤ . (٢) ق . الآية ١٥ . (٣) ط : « شىء عندهم » .
(٤) الضَّيْزَنُ : المعوج أو الجائر فى عمله انظر : لسان العرب مادة ضيز جـ ٤ ط دار المعارف .

وكانت على عهد عاد فبادوا ودرست أخبارهم ، وأما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان ، وبهم اتصل إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، ولم يبق من ذكر العرب البائدة ، إلا القليل على ما نذكره الآن ، وأما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان ، وأما العرب المستعربة ، فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

ذكر ما نقل من أخبار العرب البائدة

وهم طَسْمٌ وجديس ، وكانت مساكن هاتين القبيلتين فى اليمامة من جزيرة العرب ، وكان الملك عليهم فى طسم واستمروا على ذلك برهة من الزمان[ق ٤٩/ب] حتى انتهى الملك من طسم إلى رجل ظلوم غشوم ، قد جعل سنته ألا تهدى بكر من جديس إلى بعلها حتى تدخل عليه فيفترعها ، ولما استمر ذلك على جديس ، أنفوا منه واتفقوا على أن دفنوا سيوفهم فى الرمل وعملوا طعامًا للملك ودعوه إليه ، فلما حضر فى خواصه من طَسْمٍ عمدت جديس إلى سيوفهم وقتلوا الملك وغالبت طَسْمٌ ، فهرب رجل من طسم وشكا إلى تبع ملك اليمن ، وقيل هو حسان بن أسعد واستنصر به وشكا ما فعلته جديس بملكهم ، فسار ملك اليمن إلى جديس وأوقع بهم فأفناهم ، فلم يبق لِطَسْمٍ وجديس ذكر بعد ذلك .

ذكر العرب العاربة

وهم بنو قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح . فمنهم : بنو جرهم بن قحطان ، وكانت مساكنهم بالحجاز ، ولما أسكن إبراهيم الخليل ابنه إسماعيل عليهما السلام مكة ، كانت جرهم نازلين بالقرب من مكة ، فاتصلوا بإسماعيل وتزوج منهم ، وصار من ولد إسماعيل العرب المستعربة ، لأن أصل إسماعيل ولسانه كان عبرانيًا ، فلذلك قيل له ولولده العرب المستعربة ، وأما ملوك جرهم ، فقد تقدم ذكرهم فى الفصل الرابع مع ملوك العرب .

ومن العرب العاربة : بنو سبأ ، واسم سبأ عبد شمس ، فلما أكثر الغزو والسبى سمى سبأ وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، [وقد مر نسب قحطان] ، وكان لسبأ عدة أولاد ، فمنهم : حمير وكهلان وعمرو وأشعر وعاملة بنو سبأ ، وجميع قبائل عرب اليمن وملوكها التبابعة من ولد سبأ المذكور ، وجميع تبابعة اليمن من ولد حمير بن سبأ خلا عمران وأخيه مُزَيقيَا ، فإنهما ابنا عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد .

والأزد من ولد كهلان بن سبأ ، وفى ذلك خلاف . أما التبابعة ، فقد تقدم ذكرهم فى الفصل الرابع مع ملوك العرب فأغنى عن الإعادة ، وأما هنا فنذكر أحياء عرب اليمن وقبائلهم المنسوبين إلى سبأ المذكور ، ونبدأ بذكر بنى حمير بن سبأ ، فإذا انتهوا ذكرنا كهلان بن سبأ ، وكذلك حتى نأتى على [ذكر]بنى سبأ إن شاء الله تعالى .

ذكر بنى حمير بن سبأ

من بنى حمير : التبابعة ملوك اليمن ، وقد تقدم ذكرهم فى الفصل الرابع . ومنهم : قضاعة ، وهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وقبل قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ ، وكان قضاعة المذكور مالكًا لبلاد الشحر [وقبر قضاعة فى جبل الشحر] . ومن قضاعة أيضًا : كلب ، وهم بنو كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران ابن إلحاف بن قضاعة ، وكانت بنو كلب فى الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام ، ومن مشاهير كلب : زهير بن خباب الكلبى ، وقد ذكره صاحب كتاب الأغانى وأورد له شعرًا ، ومنهم : زهير بن شريْك الكلبى وهو القائل :

ألا أصبحت أسماء فى الخمر تعذل ... وتزعم أنى بالسفاه موكل
فقلت لها كفى عتابك نصطبح ... وإلا فبينى فالتعزب أمثل

ومنهم حارثة الكلبى ، وهو أبو زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان قد أصاب ابنه زيدا سبى فى الجاهلية [ق ٥٠/أ] فصار إلى خديجة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فوهبته من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنشد ابن عبد البر فى كتاب الصحابة لحارثة المذكور يبكى ابنه زيدًا لما فقده :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحى فيرجى أم أتى دونه الأجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... ويعرض ذكراه إذا قارب الطفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره ... فياطول ما حزنى عليه وياوجل

ثم اجتمع بزيد أبوه حارثة وهو عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخيره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختاره على أبيه وأهله .

ومن قبائل قضاعة بَلِيّ ، ومن قبائل قضاعة تنوخ وكان بينهم وبين اللخميين ملوك الحيرة حروب ، ومن قضاعة : بهراء . ومن قضاعة : جهينة ، وهى قبيلة عظيمة ينسب إليها بطون كثيرة ، وكانت منازلها بأطراف الحجاز الشمالى من جهة بحر جدة ، ومن قبائل قضاعة :

بنو سَليحَ ، وكان لهم بادية الشام ، فغلبتهم عليها ملوك غسان وأبادوا بنى سَلِيح .

ومن قبائل قضاعة : بنو نهد ، ومن مشاهير [هم] **الصقعب** بن عمرو النهدى ، وهو أبو خالد بن الصقعب وكان ريساً فى الإسلام . ومن قضاعة : بنو عذرة ، ومنهم عروة بن حزام ، وجميل صاحب بثينة . ومن بطون حمير : بنو شعبان ، ومنهم الشعبى الفقيه واسمه عامر .

انتهى الكلام فى بنى حمير بن سبأ .

ذكر بنى كهلان بن سبأ

وصار من بنى كهلان المذكور أحياء كثيرة ، والمشهورة منها سبعة وهم : الأزد وطيىء ومذحِجْ وهمدان وكندة ومراد وأنمار . أما : الأزد ، فهم من ولد الأزد ين الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ولنذكر قبائل الأزد حتى ينتهوا ، ثم نذكر قبائل طيىء ثم مذحج ثم من بعدهم إلى آخرهم، أما قبائل الأزد فمنهم : الغساسنة ملوك الشام، وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد . والأوس والخزرج ، أهل يثرب والمسلمون منهم هم الأنصار رضى الله عنهم . ومن الأزد : خزاعة وبارق ودوس والعتيك وغافق ، فهؤلاء بطون الأزد . أما خزاعة ، فإنها لما انخزعت عن غيرها من قبائل اليمن الذين تفرقوا بذى سبأ من سيل العرم ونزلت ببطن مر على قرب من مكة سميت خزاعة ، وحصل لهم سدانة البيت والرياسة ، ولما اصطلح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع قريش فى عام الحديبية ، دخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهده ؛ وقد اختلف فى نسب خزاعة بين المَعَدِّيَّةِ واليمانية ، والأكثر أنها يمانية ، والذى تنسب إليه خزاعة هو عمرو بن كعب بن لحى بن حارثة ابن عمرو مُزَيْقِيَا بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن [بن الأزد] ، وقد تقدم ذكر عمرو مُزَيْقِيا فى الفصل الرابع مع تبابعة اليمن ؛ ومازالت سدانة البيت فى خزاعة حتى انتهت إلى رجل منهم يقال له أبو غبشان ، وكان فى زمان قصى بن كلاب ، فاجتمع مع قصى فى الطائف على شرب فأسكره قصى وخدع أبا غبشان الخزاعى المذكور ، واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر وأشهد عليه ، فتسلم قصى المفاتيح وأرسل ابنه عبد الدار بن قصى بها إلى مكة ، فلما وصل إليها رفع صوته وقال : معاشر قريش هذه [ق ٥٠/ب] مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل عليه السلام قد ردها الله عليكم من غير عار ولا ظلم ، فلما صحا أبو غبشان ندم حيث لا ينفعه الندم ، فقيل أخسر من أبى غبشان ، وأكثرت الشعراء القول فى ذلك ، فمنه :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت بـزق خمر فبئست صفقـة البادى
باعت سدانتهـا بالنـزر وانصرفت عن المقـام وظل البيت والنـادى

وجمع قصى أشتات قريش وظهر على خزاعة وأخرجها عن مكة إلى بطن مر .

ومن خزاعة : بنو المصطلق الذين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأما بارق . فهم من ولد عمرو مزيقيا الأزدى ، نزلوا جبلاً بجانب اليمن يقال له بارق ، فسموا به ، ومن مشاهيرهم : يعفر بن حمار البارقى الذى ذكره صاحب الأغانى ، وهو صاحب القصيد التى من جملتها البيت المشهور :

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينـا بالإيـاب المسافـر

وأما دوس ، فهو ابن عدنان بن عبد الله بن وهزان بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك ابن نصر بن الأزد ، وسكنت بنو دوس إحدى السروات[٢] المطلة على تهامة ، وكانت لهم دولة بأطراف العراق ، وأول من ملك منهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وقد تقدم ذكر مالك بن فهم المذكور ومن ملك بعده فى الفصل الرابع المشتمل على ذكر ملوك العرب ، ومن الدوس : أبو هريرة ، وقد اختلف فى اسمه ، فالأكثر أن اسمه عمير بن عامر . وأما العتيك وغافق ، فقبيلتان مشهورتان فى الإسلام ، وهم من ولد الأزد ؛ ومن الأزد أيضا : بنو الجلندى ملوك عمان ، والجلندى لقب لكل من ملك منهم عمان ، وكان ملك عمان فى أيام الإسلام قد انتهى إلى خنفر وعبد ابنى الجلندى وأسلما مع أهل عمان على يد عمرو بن العاص . انتهى الكلام فى الأزد .

ذكر الحى الثانى من بنى كهلان

وهم قبائل طيىء ، ولما تفرقت اليمن [بسبب] سيل العرم نزلت طيىء بنجد الحجاز فى جبلى أجا وسلمى ، فعرفا بجبلى طيىء إلى يومنا هذا ، وأما طيىء فهو أدد بن زيد بن كهلان ابن سبأ ؛ فمن بطون طيىء : جديلة ونبهان وبولان وسلامان وهنى وسدوس بضم السين ، وأما سدوس التى فى قبائل ربيعة بن نزار فمفتوحة السين ؛ ومن سلامان : بنو بحتر ؛ ومن هنى : إياس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان ، ومن طيىء : عمرو بن المسيح ، وهو من بنى ثعل الطائى ، وكان عمرو أرمى الناس ، وفيه يقول امرؤ القيس :

رب رام من بنى ثعلة مخرج كفيه من ستره

ومن [بنى] ثعل الطائى أيضا : زيد الخيل ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد الخير ؛ ومن طيىء : حاتم طيىء المشهور بالكرم .

ذكر الحى الثالث من بنى كهلان*

وأما الحى الثالث من بنى كهلان ، فهم بنو مذحج ، واسم مذحج مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ولمذْحِج بطون كثيرة فمنها : حولان وجنب ، ومن جنب : معاوية الخير الجنبى صاحب لواء مذحج فى حرب بنى وائل وكان من تغلب ؛ ومن مذحج : أود ، قبيلة الأفوه الأودى الشاعر ؛ ومن مذحج : بنو سعد العشيرة وسمى بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلثمائة رجل ، وكان إذا سُئل عنهم يقول : هؤلاء عشيرتى دفعا للعين عنهم ، فقيل له سعد العشيرة لذلك .

ومِن بطون سعد العشيرة : جُعْفِى وزبيد قبيلة عمرو بن معدى كرب ، ومن بطون مذحج [أيضًا] . النخع ومنهم الأشتر [النخعى] واسمه مالك بن الحارث صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٥١/أ] ثم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومن النخع : سنان بن أنس قاتل الحسين ، ومنهم أيضًا : القاضى شُريْك . ومن مذحج : عَنْس بالنون وهى قبيلة الأسود الكذاب الذى ادعى النبوة باليمن ، وعنس أيضًا : رهط عمار بن ياسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ذكر الحى الرابع من كهلان*

وأما الحى الرابع من بنى كهلان وهم همدان ، فهم من ولد ربيعة بن حيان بن مالك بن زيد ابن كهلان ، ولهم صيت فى الجاهلية والإسلام .

ذكر الحى الخامس من كهلان*

وأما الحى الخامس من بنى كهلان وهم كندة ، فهم بنو ثور ، وثور المذكور هو كندة بن غفير بن الحارث من ولد زيد بن كهلان وسُمى كندة لأنه كند أباه أى كفر نعمته ؛ وبلاد كندة باليمن تلى حضِر موت ؛ وقد تقدم ذكر ملوك كندة فى الفصل الرابع عند ذكر ملوك العرب .

ومن كندة : حجر بن عدى صاحب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو الذى قتله معاوية صبرًا ؛ ومنهم : القاضى شريح . ومن بطون كندة : السكاسك والسكون ، بنو أشرس

(*) العنوان من عندنا .

ابن كندة ؛ فمن السكون : معاوية بن حديج قاتل محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما ، ومنهم : حصين بن نمير السكونى الذى صار صاحب جيش يزيد بن معاوية بعد مسلم بن عقبة نوبة وقعة الحَرَّة بظاهر مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ذكر الحى السادس*

وأما الحى السادس من أحياء بنى كهلان وهم بنو مراد ، فبلادهم إلى جانب زبيد من جبال اليمن ، وإليه ينتسب كل مرادى من عرب اليمن .

ذكر الحى السابع*

وأما الحى السابع من أحياء بنى كهلان : فهم بنو أنمار بن كهلان ، ولأنمار فرعان وهما بجيلة وخثعم ؛ وبجيلة هى رهط جرير بن عبد الله البجلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان يقال لجرير المذكور يوسف الأمة لحسنه ، وفيه قيل :

لولا جرير هلكت بجيلة   نعم الفتى وبئست القبيلة

انتهى الكلام فى بنى كهلان بن سبأ .

ذكر [بنى] عمرو بن سبأ

أما القبائل المنتسبة إلى عمرو بن سبأ ، فمنهم : لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ ؛ ومن لخم : بنو الدار ، رهط تميم الدارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ومن لخم : المناذرة ، ملوك الحيرة وهم بنو عمرو بن عدى بن نصر اللخمى ، وكانت دولتهم من أعظم دول ملوك العرب ، وقد تقدم ذكرهم فى الفصل الرابع مع باقى ملوك العرب ، فأغنى عن الإعادة . ومن القبائل المنتسبة إلى عمرو بن سبأ : جذام ، وهو أخو لخم ؛ وجميع جذام من ابنيه حزام وجُشَم ، ابنى جذام ، وكان فى بنى حزام العدد والشرف ، ومن بطون جشم بن جذام عتيب بن أسلم .

(*) العنوان من عندنا .

ذكر بنى أشعر بن سبأ

وأما بنو الأشعر ، فيقال لهم الأشعريون ، وهم رهط أبى موسى الأشعرى ، واسم أبى موسى الأشعرى : عبد الله بن قيس .

ذكر بنى عاملة

وأما بنو عاملة ، فهم أيضًا من القبائل اليمانية التى خرجت إلى الشام عند سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق فى جبل هناك يعرف بجبل عاملة ، فمن عاملة : عدى بن الرقاع الشاعر . انتهى ذكر أولاد سبأ وهم عرب اليمن .

ذكر العرب المستعربة

وهم ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وقيل لهم العرب المستعربة ، لأن إسماعيل لم تكن لغته عربية ، بل عبرانية ، ثم دخل فى العربية ، فلذلك سمى ولده العرب المستعربة ، وقد تقدم عند ذكر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه سبب سكن إسماعيل وأمه هاجر مكة ، وأن ذلك كان بسبب غيرة سارة رضى الله عنها من هاجر وابنها إسماعيل ، وأن الله تعالى أمر إبراهيم أن يطيع سارة وأن يخرج إسماعيل عنها [ق ٥١ / ب] وأن الله تعالى يتكفله ، فخرج إبراهيم من الشام بإسماعيل وأمه هاجر ، وقدم بهما إلى مكة وأنزلهما بموضع الحجر ، وقال : ﴿ رب إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴾[1] الآية ، فأنزلهما إبراهيم هناك وعاد إلى الشام .

من كتب اليهود : وكان عمر إسماعيل إذ ذاك نحو أربع عشرة سنة وذلك لمضى مائة سنة من عمر إبراهيم الخليل عليه السلام ، فمن سكنى إسماعيل عليه السلام مكة إلى الهجرة ألفان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة ؛ وكان هناك قبائل جرهم ، فتزوج إسماعيل منهم امرأة وولدت له اثنى عشر ولدًا ذكرًا ، منهم : قيذار ؛ وماتت هاجر ودفنت بالحجر ، ثم لما مات ابنها إسماعيل بمكة دفن معها بالحجر أيضًا .

---

(١) إبراهيم : من الآية ٣٧ .

وقد اختلف المؤرخون اختلافًا كثيرًا فى أمر الملك على الحجاز [بين جرهم وبين إسماعيل ، فمن قائل كان الملك على الحجاز] فى جرهم ، ومفتاح الكعبة [وسدانتها فى يد][1] ولد إسماعيل ، ومن قائل أن قيذار توجته أخواله [جرهم] ، وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز . وأما سدانة البيت [الحرام] ومفاتيحه ، فكانت مع بنى إسماعيل بغير خلاف حتى انتهى ذلك إلى نابت من ولد إسماعيل ، فصارت السدانة بعده لجرهم ، ويدل على ذلك قول عامر بن الحارث الجرهمى من قصيدته التى منها :

وكنا ولاة البيت مـن بعـد نابت نطوف بذاك البيت والأمـر ظاهـر

ومنهـا :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنـيس ولم يسـمـر بمكـة سـامـر
بـلى [نحن] كنا أهلها فأبادنـا صـروف الليالى والجـدود العواثـر

ثم ولد لقيذار ابنه : حمل بن قيذار ؛ ثم ولد لحمل : نبت بن حمل ، ويقال له نابت ، وقيل نبت بن قيذار ، وقيل نبت [بن] إسماعيل ، وفى ذلك خلاف كثير ، ثم ولد لنبت : سلامان ابن نبت ؛ ثم ولد لسلامان : الهميسع بن سلامان بن نبت ؛ ثم ولد للهميسع : اليسع بن الهميسع ؛ ثم ولد لليسع : أدر بن اليسع بن الهميسع ؛ ثم ولد لأدر ابنه : أد بن أدر ؛ ثم ولد لأد : ابنه عدنان بن أد بن أدر ، وقيل عدنان بن أدر .

ثم ولد لعدنان : معد ؛ ثم ولد لمعد : نزار ؛ ثم ولد لنزار أربعة منهم : مضر على عمود النسب النبوى وثلاثة خارجون عن عمود النسب ؛ أولهم : إياد ، وكان أكبر من مضر ، وإلى إياد بن نزار المذكور يرجع كل إيادى من بنى معد ، وفارق إياد الحجاز وسار بأهله إلى أطراف العراق ؛ فمن بنى إياد : كعب بن مامة الإيادى ، وكان يضرب بجوده المثل ؛ وقيس بن ساعدة الإيادى وكان يضرب بفصاحته المثل .

والثانى من بنى نزار : ربيعة بن نزار ، ويعرف بربيعة الفرس لأنه ورث الخيل من مال أبيه ؛ وولد لربيعة المذكور : أسد وضبيعة ابنا ربيعة . فولد لأسد : جديلة وعنزة ؛ ومن جديلة : وائل ؛ ومن وائل : بكر وتغلب ابنا وائل ؛ فمن تغلب : كليب ملك بنى وائل الذى قتله جساس ، فهاجت بسبب قتله الحرب بين بنى وائل بكر وتغلب حسبما تقدم ذكره فى الفصل الرابع . ومن بكر بن وائل : بنو شيبان ؛ ومن رجالهم : مرة وابنه جساس قاتل كليب ، وطرفة بن العبد الشاعر المشهور ؛ ومن بكر أيضًا : المرقشان الأكبر والأصغر ؛ ومن بكر بن وائل أيضًا : بنو حنيفة ، ومنهم : مسيلمة الكذاب . وأما عنزة بن أسد بن ربيعة المذكور ، فمنه

---

(١) ص : « بين جرهم و » .

بنو عنزة ، [ق ٥٢ / أ] وهم أهل خيبر[1] ؛ ومن بنى عنزة : الطارظان ؛ وأما ضبيعة بن ربيعة ، فمن ولده المتلمس الشاعر . ومن قبائل ربيعة : النمر ؛ لجيم ، والعجل ؛ وبنو عبد القيس ، وهو من ولد أسد بن ربيعة . ومن بنى ربيعة : سدوس واللهازم .

والثالث : أنمار بن نزار ، ومضى أنمار إلى اليمن ، فتناسل بنوه بتلك الجهات وحُسبوا من العرب اليمنية .

ثم ولد لمضر المقدم الذكر : إلياس بن مضر على عمود النسب ، وولد له خارجًا [عن] عمود النسب : قيس عيلان بن مضر[2]، ويقال قيس بن عيلان بن مضر ، وعيلان بالعين المهملة ، قيل إن عيلان فرسه ، وقيل كلبه ، وقيل بل عيلان هو أخو إلياس واسم عيلان إلياس بن مضر ، وقد جعل الله تعالى لقيس المذكوز من الكثرة أمرًا عظيمًا . فمن ولده : قبائل هوازن ؛ ومن هوازن : بنو سعد بن بكر بن هوازن الذين كان فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رضيعًا .

ومن قبائل قيس : بنو كلاب ، وصار منهم أصحاب حلب ، وكان أولهم صالح بن مرداس . ومن قيس : قبائل عقيل الذين كان منهم ملوك الموصل المقلد ، وقرواش وغيرهما . ومن ولد قيس أيضًا : بنو عامر ؛ وصعصعة ؛ وخفاجة ، ومازالت لخفاجة إمرة العراق من قديم وإلى الآن .

ومن هوازن أيضًا : جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ؛ ومن جشم : دريد بن الصمة . ومن قيس أيضًا : بكر ؛ وبنو هلال ؛ وثقيف ، واسم ثقيف عمرو بن منبه بن بكر بن هوازن ، وقد قيل إن ثقيفا من إياد ، وقيل من بقايا ثمود ، وهم من أهل الطائف . ومن قيس أيضًا : بنو نمير ؛ وباهلة ؛ ومازن ؛ وغطفان وهو ابن سعد بن قيس عيلان . ومن قيس أيضًا : بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وكان بين عبس وذبيان حروب داحس المقدم ذكرها فى الفصل الرابع ، ومن بنى عبس أيضًا : عنترة العبسى وادعاه أبوه شداد بعد أن كبر . ومن قيس : أشجع ، وهم أيضًا من ولد غطفان ؛ ومن قيس أيضًا : قبائل سليم ؛ ومن قيس أيضًا : بنو ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . ومن بنى ذبيان المذكورين : بنو فزارة ، فمنهم : حصن بن حذيفة بن بدر الذى يمدحه زهير بقوله :

تراه إذا ما جئته متهللاً   كأنك تعطيه الذى أنت سائله

---

(١) ص : حنين .

(٢) ص : « قيس عيلان ، وولد لعيلان قيس عيلان بن مضر » .

وأسلم حصن ثم نافق ، وكان بين بنى ذبيان وبنى عبس الحرب المشهورة بحرب داحس ، وهو اسم حصانٍ سابقوا به واختلفوا بسبب السباق ، فثارت الحرب بينهم أربعين عامًا[1]، ومن بنى ذبيان [أيضًا] : النابغة الذبيانى الشاعر المشهور . ومن قبائل قيس : عدوان بن عمرو ابن قيس ، وكانوا ينزلون الطائف قبل ثقيف ، ومنهم : ذو الأصبع العدوانى الشاعر . انتهى الكلام على قيس بن مضر الخارج عن عمود النسب .

ولنرجع إلى ذكر إلياس بن مضر ، وولد لإلياس : مدركة على عمود النسب ؛ وولد له خارجًا عن عمود النسب : طابخة بن إلياس ؛ وبعضهم ينسب مدركة وطابخة إلى أمهما خندف ، واسمها ليلى بنت حلوان [ق ٥٢ / ب] بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وجميع ولد إلياس من خندف المذكورة ، وإليها ينسبون دون أبيهم ، فيقولون بنو خندف ولا يذكرون إلياس بن مصر . وصار من طابخة الخارج عن عمود النسب [عدة] قبائل ، فمنهم : بنو تميم ابن طابخة ؛ والرباب ؛ وبنو ضبة ؛ وبنو مزينة ، وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وَبَرَة .

ثم ولد لمدركة بن إلياس المذكور : خزيمة بن مدركة على عمود النسب ؛ وولد لمدركة خارجًا عن عمود النسب : هذيل بن مدركة ، ومن هذيل المذكور جميع قبائل الهذليين ، فمنهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبو ذؤيب الهذلى الشاعر . ثم ولد لخزيمة بن مدركة المذكور : كنانة بن خزيمة على عمود النسب ؛ وولد له خارجًا عن عمود النسب : الهون وأسد ابنا خزيمة ، فمن الهون : عَضْل ، وهى قبيلة أبوهم عضل بن الهون بن خزيمة ؛ ومنه أيضًا : الديش بن الهون وهو أخو عضل ، ويقال لهاتين القبيلتين ، وهما عضل والديش : القارة . وأما أسد بن خزيمة ، فمنه : الكاهلية ؛ ودوران وغيرهما ، وإليه يرجع كل أسدى . ثم ولد لكنانة بن خزيمة المذكور : النضر بن كنانة على عمود النسب ، وكان للنضر المذكور عدة إخوة ليسوا على عمود النسب ، وهم : ملكان وعبد مناة وعمرو ، وعامر ، أولاد كنانة . فصار من ملكان : بنو ملكان . وصار من [عبد] مناة عدة بطون ، وهم : بنو غفار ، رهط أبى ذر ؛ وبنو بكر ، ومن بنى بكر : الدُّئل ، رهط أبى الأسود الدئلى ؛ ومن [بطون] عبد مناة أيضًا : بنو ليث ؛ وبنو الحارثة ؛ وبنو مدلج ؛ وبنو ضمرة . وصار من عمرو بن كنانة : العمريون . ومن أخيه عامر : العامريون . ومن مالك بن كنانة : بنو فراس . ومن بطون كنانة : الأحابيش ، وكان الحليس بن عمرو رئيس الأحابيش نوبة أحد ، ومن لم يقف على ذلك إذا سمع ذكر الأحابيش فى نوبة أحد ظن أنهم من الحبشة وليس كذلك ، بل هم عرب من بنى كنانة كذا ذكره فى العِقد ، وهؤلاء إخوة النضر بن كنانة وولدهم .

---

(١) ص : يومًا .

وأما النضر المذكور ، فقد قيل إنه قريش ، والصحيح أن قريشًا هم بنو فهر الذى سنذكره . وولد للنضر المذكور : مالك بن النضر على عمود النسب ولم يشتهر له ولد غيره . ثم ولد لمالك : فهر بن مالك على عمود النسب ، وفهر المذكور هو قريش ، فكل من كان من ولده فهو قرشى ، ومن لم يكن من ولده فليس قرشيًا ؛ وقيل سُمى قريشًا لشدته تشبيهًا له بدابة من دواب البحر يقال لها القرش تأكل دواب البحر وتقهرهم ، وقيل إن قصى بن كلاب لما استولى على البيت وجمع أشتات بنى فهر سموا قريشًا لأنه قَرَّشَ بنى فهر أى جمعهم حول الحرم ، فقيل لهم قريش – كذا نقله ابن سعيد المغربى ، فعلى هذا يكون لفظة قريش اسمًا لبنى فهر لا لفهر نفسه ، ولم يولد لمالك غير فهر المذكور على عمود النسب . وولد لفهر : غالب على عمود النسب ، وولد له خارجًا عن عمود النسب [ق ٥٣ / أ] ولدان وهما : محارب والحارث ابنا فهر . فمن محارب : بنو محارب ؛ ومن الحارث : بنو الخُلج ، ومنهم : أبو عبيدة ابن الجراح ، أحد العشرة رضى الله [تعالى] عنهم .

ثم ولد لغالب : لؤى على عمود النسب ، وولد له خارجًا عن عمود النسب : تيم الأدرم ؛ والأدرم الناقص الذقن . ومن تيم المذكور : بنو الأدرم .

ثم ولد للؤى المذكور ستة أولاد ، وهم : كعب – على عمود النسب – وإخوته الخمسة – خارجون عن عمود النسب – وهم : سعد ، وخزيمة : والحارث ، وعامر ، وأسامة أولاد لؤى ابن غالب ، ولكل منهم ولد ينسبون إليه خلا الحارث منهم . ومن ولد عامر بن لؤى : عمرو بن عبد ودّ فارس العرب الذى قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ثم ولد لكعب : مرة – على عمود النسب ، وولد له خارجًا عن عمود النسب : هصيص ، وعدى ابنا كعب . فمن هصيص : بنو جمح ، ومن مشاهيرهم : أمية بن خلف عدو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ وأخوه أبى بن خلف ، وكان مثله فى العداوة ؛ ومن هصيص أيضًا : بنو سهم ؛ ومن بنى سهم : عمرو بن العاص . ومن عدى بن كعب : بنو عدى ، ومنهم عمر ابن الخطاب ، وسعيد بن زيد من العشرة رضى الله عنهما .

ثم ولد لمرة على عمود النسب ابنه كلاب ، وولد له خارجًا عن عمود النسب : تيم ويقظة ابنا مرة ؛ فمن تيم : بنوتيم [ومنهم] أبو بكر الصديق وطلحة من العشرة رضى الله عنهم ؛ ومن يقظة : بنو مخزوم نسب خالد بن الوليد رضى الله عنه وأبى جهل بن هشام واسمه عمرو ابن هشام المخزومى .

ثم ولد لكلاب : قصى بن كلاب على عمود النسب ، وولد له خارجًا عن عمود النسب زهرة بن كلاب ؛ ومنه بنو زهرة نسب سعد بن أبى وقاص أحد العشرة ، ونسب آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونسب عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنهم . وقصى المذكور

كان عظيمًا فى قريش ، وهو الذى ارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة حسبما تقدم ذكر ذلك ، وهو الذى جمع قريشًا وأثّل مجدهم .

وولد لقصى المذكور : عبد مناف بن قصى على عمود النسب ، وولد له خارجًا عن عمود النسب . عبدالدار وعبدالعزى ابنا قصى . فمن عبدالدار : بنو شيبة الحجبة ، ومن ولد عبدالدار : النضر بن الحارث ، وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقتله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [صبرا] يوم بدر ، ومن ولد عبدالعزى بن قصى الزبير بن العوام أحد العشرة ، ومن ولد عبدالعزى أيضًا : خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ومن بنى عبدالعزى أيضًا : ورقة بن نوفل بن أسد بن [عبد] العزى ابن قصى .

وولد لعبد مناف : هاشم على عمود النسب ؛ وولد له خارجًا عن عمود النسب : عبد شمس والمطلب ونوفل أولاد عبد مناف . فمن عبد شمس : أمية ومنه : بنو أمية ، ومنهم عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ومعاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية وسعيد بن العاص بن أمية وعقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وبنت عتبة المذكور : هند أم معاوية ، وقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقبة صبرًا يوم بدر . ومن المطلب بن عبد مناف : المطَّلِبيُّون ، ومنهم الإمام الشافعى رحمه الله تعالى . ومن نوفل : النوفليون .

ثم ولد لهاشم : عبدالمطلب على عمود النسب ، ولم يعلم لهاشم ولد غيره . وولد لعبدالمطلب : عبدالله على عمود النسب ، وولد [ق ٥٣ / ب] له خارجًا عن عمود النسب جميع أعمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم : حمزة ؛ والعباس ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، والغيداق ، ومنهم من يقول هوجحل الذى سنذكره ؛ والحارث ؛ وجحل ؛ والمقوم ؛ وضرار ؛ والزبير ؛ وقثم ، درج صغيرًا ؛ وعبدالكعبة ، ومنهم من يقول [إن] عبد الكعبة هو المقوم .

ثم ولد لعبدالله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عام الفيل . ولنذكر أولاً قصة الفيل ثم مولده صلى الله عليه وسلم وآله وسلم .

قصة الفيل *

من الكامل لابن الأثير قال : إن الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير ، فلما صار الملك إلى أبرهة منهم بنى كنيسة عظيمة وقصد أن يصرف حج العرب إليها ويبطل الكعبة الحرام ، فجاء شخص

(*) العنوان من عندنا .

من العرب وأحدث فى تلك الكنيسة ، فغضب أبرهة لذلك ، وسار بجيشه ومعه الفيل ، وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلاً ليهدم الكعبة ؛ فلما وصل إلى الطائف بعث الأسود بن مقصود إلى مكة ، فساق أموال أهلها وأحضرها إلى أبرهة ؛ وأرسل أبرهة إلى قريش وقال لهم : لست [أقصد] الحرب ، بل جئت لأهدم الكعبة ؛ فقال عبدالمطلب : والله ما نريد حربه ، هذا بيت الله ، فإن منع عنه فهو بيته وحرمه ، وإن خلا بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دفع ؛ ثم انطلق عبدالمطلب مع رسول أبرهة إليه ، فلما استؤذن على أبرهة لعبدالمطلب ، قالوا لأبرهة : هذا سيد قريش ، فأذن له أبرهة وأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله عن حاجته ؛ فذكر عبدالمطلب أباعره التى أخذت له ، فقال له أبرهة إنى كنت أظن أنك تطلب منى أن لا أخرب الكعبة التى هى دينك ، فقال عبدالمطلب : أنا رب الأباعر فأطلبها وللبيت رب يمنعه ، فأمر أبرهة برد أباعره عليه ، فأخذها عبدالمطلب وانصرف إلى قريش .

ولما قارب أبرهة مكة وتهيأ لدخولها بقى كلما قَبَلَ فيله مكة – وكان اسم الفيل محمودًا – ينام ويرمى بنفسه إلى الأرض ولم يسر ، فإذا قَبَلوه غير مكة ، قام يهرول ؛ وبينما هم كذلك ، إذ أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه فقذفتهم بها وهى مثل الحمص والعدس ، فلم يصب أحدًا منهم إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . ثم أرسل الله تعالى سيلاً فألقاهم فى البحر والذى سلم منهم ولًّى هاربًا مع أبرهة إلى اليمن يبتدر الطريق ؛ وصاروا يتساقطون بكل منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده وسقطت أعضاؤه ، ووصل إلى صنعاء كذلك ومات . ولما جرى ذلك ، خرجت قريش إلى منازلهم وغنموا من أموالهم شيئًا كثيرًا . ولما هلك أبرهة ملك بعده ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، ومنه أخذت العجم اليمن .

انتهى الكلام فى الفصل الخامس وهو آخر التواريخ القديمة ، ومن هنا نَشْرَعُ فى التواريخ الإسلامية .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر شيء من شرف بيته الطاهر

أما أبو رسول الله صلى الله [تعالى] عليه وآله وسلم ، فهو عبدالله بن عبدالمطلب المذكور ، وكانت ولادة عبدالله المذكور قبل الفيل بخمس وعشرين سنة ، وكان أبوه يحبه لأنه [كان] أحسن أولاده [ق ٥٤ / أ] وأعفهم . وكان أبوه قد بعثه يمتار له ، فمر عبدالله المذكور بيثرب فمات بها ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهران ، وقيل كان حملاً ،

ودفن عبدالله فى دار الحارث بن إبراهيم بن سراقة العدوى ، وهم أخوال عبدالمطلب ، وقيل دفن بدار النابغة ببنى النجار ، وجميع ما خلفه عبدالله خمسة أجمال وجارية حبشية اسمها بركة ، وكنيتها أم أيمن وهى حَاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وآمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوج عبدالله وأبوه عبدالمطلب .

وأما آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر وهو قريش ، فخطب عبدالمطلب من وهب المذكور – وكان وهب حينئذ سيد بنى زهرة – ابنته آمنة لعبدالله فزوجه بها فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول من عام الفيل ، وكان قدوم الفيل فى منتصف المحرم تلك السنة ، وهى السنة الثامنة والأربعون من ملك كسرى أنوشروان ، وهى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر على دارا ، وهى سنة ألف وثلثمائة وست عشرة لبختنصر .

ومن دلائل النبوة للحافظ أبى بكر أحمد البيهقى الشافعى قال : وفى السابع من ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذبح جده عبدالمطلب عنه ودعا له قريشًا ، فلما أكلوا قالوا : يا عبدالمطلب أرأيت ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟ قال سميته محمدًا . قالوا : فيم رَغبْتَ به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردت أن يحمده الله تعالى فى السماء وخلقه فى الأرض .

وروى الحافظ المذكور بإسناده المتصل بالعباس رضى الله عنه قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مختونًا مسرورًا . قال فأعجب جده عبدالمطلب وحظى عنده . وقال ليكونن لابنى هذا شأن .

وذكر الحافظ المذكور إسنادًا ينتهى إلى مخزوم بن هانئ المخزومى عن أبيه قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارْتجَسَ إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة[1]، ورأى الموبذان : وهو قاضى الفرس فى منامه إبلاً صِحَابًا تقود خيلاً عرابًا قد قطعت دجلة . وانتشرت فى بلادها ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك ، واجتمع بالموبذان فقص عليه ما رأى . فقال كسرى : أى شىء يكون هذا ؟ فقال الموبذان – وكان عالمًا – بما يكون حدث من جهة

---

(١) بعد الألف واو مفتوحة بعدها ساكنة مدينة حسنة بين الرى فى وسَط بينها وبين كل واحد من همذان والرى ثلاثون فرسخا ، وبقربها مدينة يقال لها واه انظر : معجم البلدان ٣ / ١٧٨ – ١٨٠ .

العرب أمر ، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر أما بعد « فوجه إلى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه » فوجه النعمان بعبدالمسيح بن عمرو بن حيان الغساني ، فأخبره كسرى بما كان من ارتجاس الإيوان وغيره . فقال له : علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام يقال له سطيح . قال كسرى : فاذهب إليه وسله وائتنى بتأويل ما عنده فسار [ق ٥٤ / ب] عبدالمسيح حتى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت فسلّم عليه وحياه فلم يحر جوابًا فأنشد عبدالمسيح يقول :

أَصَمّ أَمْ يسمعُ غِطْريف اليمن ؟ ... يافاصِلَ الخُطَّةِ أعْيَتْ مَنْ ومَنْ ؟
أم فَادَ فَازْلَمّ بـه شَأْوُ العنَنْ ... أتاك شَيْخُ الحيِّ من آلِ سَنَنْ
وأمـهُ من آلِ ذِئْبِ بنْ حَجَنْ ... أَزْرَقٍ مُمْهِى النَّـاب صَرَّار الأُذُنْ
أبيضُ فَضْفَاضِ الرِّداءِ والبَـدَنْ ... رَسُولُ قَيْلِ العُجْم يَسْرِى لِلْوسَنْ
تَجُوبُ بِى الأرْض عَلَنْدَاةٌ شجن ... يَرْفَعُنِى وَجْنًا ويَهْـوى بى وَجَنْ
لا يَرْهَبَ الرَّعْدَ ولا رَيْبُ الزَّمَنْ ... حتى أَتِى عَـارِى الْجَآجِى والقَطَنْ
تلفُّه فى الريح بَوغَـاءُ الدِّمَنْ ... كأنما حُثْحِثَ من حِضْنَىْ ثَكَنْ[١]

قال : ففتح سطيح عينيه ، ثم قال : عبدالمسيح : على جمل مشيح ، أتى إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لا رتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا صعابًا تقود خيلا عرابًا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ، ياعبدالمسيح : إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وخمدت نار فارس ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، فليس الشام لسطيح شامًا ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكلما هو آت آت . ثم قضِىَ سطيح مكانه ، ثم قدم عبدالمسيح على كسرى وأخبره بقول سطيح فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور ، فملك منهم عشرة فى أربع سنين .

وذكر فى العِقْد أن سَطيحًا كان على زمن نزار ين معد بن عدنان وهو الذى قسم الميراث بين بنى نزار وهم مضر وإخوته .

---

(١) وردت هذه الأبيات فى الأصل كما يلى :

أصم أم يسمع غطريف اليمن ... أم فاد فازلمّ به شأو العنن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن ... وكاشف الكربة عن وجه الغصن
أتاك شيخ الحى من آل سنن ... وأمه من آل ذئب بن حجنْ
رسول قيْل العجم يسرى بالوسن ... لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجُوبُ بِى الأرض علندة شَزَنْ ... يرفعنى وجنا ويهوى بى وجن

وأما شرف النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشرف أهل بيته . فقد روى الحافظ البيهقى المذكور بإسناد يرفعه إلى العباس عمٍ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : قلت يارسول الله إن قريشا إذا التقوا لقِيَ بعضهم بعضا بالبَشَاشَة وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك غضبًا شديدًا ثم قال : والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله .

وذكر فى موضع آخر عن ابن عمر رضى الله [تعالى] عنهما ، قال [إنا] لقعود بفناء رسول الله صلى الله [تعالى] عليه وآله وسلم إذ مرت به امرأةِ ، فقال بعض القوم : هذه بنت رسول الله صلى الله [تعالى] عليه وآله وسلم ، فقال أبو سفيان : مثل محمد فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن ، فانطلقت المرأة فأخبرت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُعْرَفُ فى وجهه الغضب فقال : ما بال أقوام تبلغنى عن أقوام أن الله عز وجل خلق السموات سبعًا ، فاختار العلى منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشًا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لى جبرائيل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أبٍ أفضل من بنى هاشم .

ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قد تقدم فى آخر [ق ٥٥ / أ] الفصل الخامس ذكر بنى إسماعيل عليه السلام الذين على عمود [نسب] رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والخارجين عن عمود النسب . وأما نسبه [عليه السلام] سَرْدًا فهو أبو القاسم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ونسبه صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدنان متفق عليه من غير خلاف ، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام من غير خلاف ، ولكن الخلاف فى عدة الآباء الذين بين عدنان وإسماعيل عليه السلام فَعَدَّ بعضهم بينهما نحو أربعين رجلا وعَدَّ بعضهم سبعة .

وروى عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت : قال رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم عدنان بن أدد بن زيد بن برا بن أعراق الثرى[1]. فقالت أم سلمة : زيد هميسع وَبَرانبت وإسماعيل أعراق الثرى .

والذى ذكره البيهقى قال : عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن تارح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .

وأما الذى ذكره الجوانى النسابة فى شجرة النسب وهو المختار فهو عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسماعيل عليه السلام ، وقد تقدم نسب إسماعيل مع نسب إبراهيم الخليل عليهما السلام مستقصى فى موضعه من الفصل الأول فأغنى عن الإعادة .

قال البيهقى المذكور : وكان شيخنا أبو عبدالله الحافظ يقول : نسبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحيحة إلى عدنان وما وراء عدنان فليس فيه شىء يعتمد عليه .

ذكر رضاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وأول من أرضعته بعد أمه ثويبة مولاة عمه أبى لهب ، وكان لثويبة المذكورة ابن اسمه مسروح ، فأرضعت رسول الله صلى الله [تعالى] عليه وآله وسلم بلبن ابنها مسروح المذكور ، وأرضعت أيضًا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلبن مسروح المذكور حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبا سلمة بن عبدالأسد المخزومى ، فهما أخوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاع .

ذكر رضاعه صلى الله عليه وآله وسلم من حليمة السعدية

كانت المراضع يقدمن من البادية إلى مكة يطلبن أن يرضعن الأطفال ، فقدمت عدة منهن وأخذت كُلُّ واحدة طفلاً ، ولم تجد حليمة طفلا تأخذه غير رسول الله صلى الله [تعالى] عليه وآله وسلم ، وكان يتيما قد مات أبوه عبدالله ، فلذلك لم يرغبن فى أخذه ، لأنهن كن يرجين الخير من أب الطفل ولا يرجين أمه ، فأخذته حليمة بنت أبى ذؤيب بن الحارث السعدية وتسلمته من أمه آمنة وأرضعته ومضتْ به إلى بلادها وهى بادية بنى سعد ، فوجدت من الخير والبركة ما لم تعهده [ق ٥٥ / ب] قبل ذلك ، ثم قدمت به إلى مكة وهى أحرص [الناس] على مكثه

---

(١) ص : عدنان بن أدد بن زيد بن اغرا بن براق الثرى .

عندها ، فقالت لأمه آمنة : لو تركتِ ابنك عندى حتى يغلظ فإنى أخشى عليه وباء مكة ، ولم تزل بها حتى تركته معها ، فأخذته وعادت به إلى بلاد بنى سعد ، وبقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هناك . ولما كان بعض الأيام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أخيه من الرضاع خارجًا عن البيوت إذ أتى ابن حليمة أمه فقال لها ذلك القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه ، فخرجت حليمة وزوجها نحوه فوجداه قائما فقالا : ما بالك يا بنى ؟ قال : جاءنى رجلان فأضجعانى وشقا بطنى ، فقال زوج حليمة لها : قد حسبت أن هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله ، فاحتملته حليمة وقدمت به إلى أمه آمنة . فقالت آمنة : ما أقدمك به وكنت حريصة عليه ، فأبدت حليمة عذرًا لم تقبله آمنة منها ، وسألتها عن الصحيح . فقالت حليمة : أتخوف عليه من الشيطان . فقالت : أمه آمنة : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل إن لابنى شأنا .

وإخوةرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاع : عبدالله وأنيسة وجذامة وهى الشيما[ء] غلب ذلك على اسمها ، وأمهم حليمة السعدية ، وأبوهم الحارث بن عبدالعزّى السعدى وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاع ، وقدمت حليمة على رسول الله ﷺ بعد أن تزوج بخديجة وشكت الجدب فكلم رسول الله ﷺ لها خديجة فأعطتها أربعين شاة ، ثم قدمت حليمة وزوجها الحارث على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد النبوة ، فأسلمت هى وزوجها الحارث .

وبقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أمه آمنة ، فلما بلغ ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة ، وكانت قد قدمت به إلى أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهى راجعة إلى مكة ، وكفله جده عبدالمطلب ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنين توفى جده عبدالمطلب ثم قام بكفالته عمه أبو طالب بن عبدالمطلب ، وكان أبو طالب شقيق [عبدالله أبى] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم خرج به أبو طالب فى تجارة له إلى الشام حتى وصل إلى بُصْرَى ، وعُمْر رسول الله ﷺ إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، وكان بها راهب يقال له بُحَيْرًا فقال لأبى طالب ارجع بهذا الغلام واحْذَرْ عليه [من] اليهود فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته ، وشب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغ ، فكان أعظم الناس مروءة وحلما ، وأحسنهم جوابًا [ق ٥٦ / أ] وأصدقهم حديثًا وأعظمهم أمانةً وأبعدهم عن الفحش حتى صار اسمه فى قومه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ، وحضر مع عمومته حرب الفِجَار وعمره أربع عشرة سنة وهى حرب كانت بين قريش وكنانة وبين هوازن ، وسميت بالفجار لما انتهكت فيها هوازن حرمة الحرم ، وكانت الكرة فى هذه الحرب أولًا على قريش وكنانة ، ثم كانت على هوازن وانتصرت قريش .

ذكر سفرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام فى تجارة لخديجة

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصى بن كلاب تاجرة ذات شرف ومال، وكانت قريش قوما تجارًا ، فلما بلغها صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمانته عرضت عليه الخروج فى تجارتها إلى الشام مع غلام لها يقال له ميسرة ، فأجاب إلى ذلك وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قدم الشام ومعه ميسرة وباع ما كان معه واشترى عوضه ثم أقبل قافلا إلى مكة .

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمال خديجة وحدثها ميسرة بما شاهده من كرامات النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأنه كان يشاهد ملكين يظلانه وقت الحر ، فعرضت خديجة نفسها على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فتزوجها وأصدقها عشرين بكرة ، وهى أول امرأة تزوجها ولم يتزوج غيرها حتى ماتت ، وكان عمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما تزوجها خمسا وعشرين سنة وكان عمرها يومئذ أربعين سنة ، وكانت أيمًا ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكرًا غير عائشة ، وخديجة أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت معه بعد مبعثه عشر سنين ، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين .

ذكر تجديد قريش عمارة الكعبة

قيل لما مات إسماعيل عليه السلام ولى البيت بعده ابنه نابت ، ثم صارت ولاية البيت إلى جرهم قال عامر بن الحارث الجرهمى :

وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والأمر ظاهر

ومنها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالى والجدود العواثر

ثم إن جرهما بغت واستحلّت المحارم فأبيدوا ، وصارت ولاية البيت إلى خزاعة ، ثم صارت من بعدهم إلى قريش ، وكانت الكعبة قصيرة البناء فأرادت قريش رفعها فهدموها ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود ، فاختصموا فيه ، لأن كل قبيلة أرادت أن ترفعه إلى موضعه ، ثم اتفقوا على أن يحكّموا أول داخل من باب الحرم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول داخل ، فحكموه فأمرهم أن يضعوا الحجر فى ثوب [ق ٥٦ / ب] وأن

تمسك كل قبيلة بطرف من أطرافه وأن يرفعوه إلى موضعه ففعلوا ذلك ، وأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند وصوله إلى موضعه فوضعه بيده موضعه ثم أتموا بناء الكعبة ، وكانت تكسى القباطى ثم كسيت البرود ، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف ، وكان عمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث رضيت قريش بحكمه خمسا وثلاثين سنة قبل مبعثه بخمس سنين .

ذكر مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين سنة بعثه الله [تعالى] إلى الأسود والأحمر رسولا ناسخا بشريعته الشرائع الماضية ، فكان أول ما ابتدئ به من النبوة الرؤيا الصادقة ، وحبب الله تعالى إليه الخلوة ، وكان رسول الله ﷺ يجاور فى جبل حراء من كل سنة شهرًا ، فلما كانت سنة مبعثه خرج إلى حراء فى رمضان للمجاورة فيه ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله سبحانه وتعالى فيها جاءه جبريل عليه السلام فقال له : اقرأ قال له : فما أقرأ . قال : ﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق ﴾ إلى قوله ﴿ علم الإنسان مالم يعلم ﴾[1]، فقرأها ، ثم إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى وسط الجبل فسمع صوتا من جهة السماء : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرائيل ، فبقى واقفًا فى موضعه يشاهد جبرائيل حتى انصرف جبرائيل ، ثم انصرف النبى صلى الله عليه وسلم وأتى خديجة ، فحكى لها ما رأى فقالت : أبشر فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ثم انطلقت خديجة إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد نظر فى الكتب وقرأها ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته ما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال ورقة : قدوس ، فوالذى نفس ورقة بيده لإن صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى بن عمران ، وأنه نبى هذه الأمة ، فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بقول ورقة ، ولما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جواره[وانصرف] ، طاف بالبيت أسبوعًا ، ثم انصرف إلى منزله ثم تواتر الوحى إليه أولا فأولا ، وكان أول الناس إسلاما خديجة لم يتقدمها أحد ، وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع : آسية زوجة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد .

---

(١) سورة العلق : الآيات ١ - ٥ .

ذكر أول من أسلم من الناس

لا خلاف فى أن خديجة أول من أسلم ، واختلف فيمن أسلم بعدها فذكر صاحب السيرة وكثير من أهل العلم : أن أول الناس إسلاما بعدها على بن أبى طالب رضى الله عنه وعمره تسع سنين وقيل عشر سنين وقيل إحدى عشرة سنة ، وكان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الإسلام ، ذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه العباس . إن أخاك أبا طالب [ق ٥٧ / أ] كثير العيال فانطلق لنأخذ من بنيه ما يخفف عنه به . فأتيا أبا طالب وقالا : نريد أن نخفف عنك ، فقال : أبو طالب اتركا لى عقيلاً واصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًا فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرًا ، فلم يزل علىّ مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعثه الله نبيًّا فصدقه على ، ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم ، ومن شعر علىّ فى سبقه :

سبقتكم إلى الإسلام طرًّا غُلَامًا ما بلغتُ أوان حلمى

وذكر صاحب السيرة : أن الذى أسلم بعد على زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشتراه وأعتقه ، ثم أسلم بعد زيد أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو عبدالله ابن أبى قحافة ، واسم أبى قحافة عثمان ، وذهب آخرون إلى أن أول الناس إسلاما أبو بكر ثم أسلم بعد أبى بكر عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبيدالله ، وكان إسلامهم بأن دعاهم أبو بكر إلى الإسلام وجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا به وصدقوه رضى الله عنهم ، فهؤلاء أول الناس إسلامًا[1] ، ثم أسلم أبو عبيدة واسمه عامر بن عبدالله بن الجراح وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وعبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر . وكانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام سِرًّا ثلاث سنين ، ثم بعدها أمر الله رسوله بإظهار الدعوة ، ولما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[2] دعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليا ، فقال : اصنع لنا صاعًا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عُسًّا[*] من لبن ، واجمع لى بنى المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ، ففعل ما أمره ودعاهم ، وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس ، وأحضر علىٌّ الطعام فأكلوا حتى شَبِعُوا قال على : لقد كان [الرجل] الواحد منهم

(١) ط : إيمانا .

(٢) السعراء : الآية ٢١٤ .

(*) العُسُّ : القدَح الضخم انظر : لسان العرب مادة عسس ج ٤ ط دار المعارف .

ليأكل جميع ما شبعوا كلهم منه ، فلما فرغوا من الأكل وأراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يتكلم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال ما أشد ما سحركم صاحبكم ، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله ﷺ لعلى : يا على قد رأيت كيف سبقنى هذا الرجل إلى الكلام فاصنع لنا فى غد كما صنعت اليوم ، واجمعهم ثانيا ، فصنع على فى الغد كذلك ، فلما أكلوا وشربوا اللبن قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعلم إنسانًا فى العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به ، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله [تعالى] أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم ، فأحجم القوم جميعا ، قال على : فقلت – وإنى لأحدثهم سنًا وأرمصهم عينًا وأعظمهم بطنًا وأحمشهم ساقًا – أنا يانبى الله أكون وزيرك عليهم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برقبة على وقال : إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ، فقام [ق ٥٧ / ب] القوم يضحكون ويقولون [لأبى طالب] قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ، واستمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ما أمره الله .

ولم يبعد عنه قومه فى أول الأمر ولم يردوا عليه حتى عاب آلهتهم ونسب قومه وآباءهم إلى الكفر والضلال فأجمعوا على عداوته إلا من عصمة الله بالإسلام ، وذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبو طالب ، فجاء رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب ، منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد مناف ، وأبو سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البختری بن هشام ابن الحارث بن أسد ، والأسودبن المطلب بن أسد ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، والوليد ابن المغيرة المخزومى عم أبى جهل ونُبَيْه ومُنَبّه ابْنَا الحجاج السهميان ، والعاص بن وائل السهمى وهو أبو عمرو بن العاص فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد عاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فانهه عنا ، اخل بيننا وبينه ، فردهم أبو طالب رَدًّا حسنًا واستمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما هو عليه فعظم عليهم وأتوا أبا طالب ثانيا . وقالوا له ما قالوه أولا وقالوا إن لم تنه نازلناك وإياه حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم على أبى طالب ذلك وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابن أخى إن قومك قالوا لى كذا وكذا فظن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [أن عمه خاذله ، فقال رسول الله عليه وآله وسلم] والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ما تركت هذا الأمر ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكى وقام فولى فناداه أبو طالب : أقبل يا ابن أخى وقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبدًا ، فأخذت كل قبيلة تعذب من أسلم منها ، ومنع الله رسوله بعمه أبى طالب .

ذكر إسلام حمزة رضى الله عنه

كان النبى ﷺ عند الصفا فمر به أبو جهل بن هشام ، فشتم النبى صلى الله وآله وسلم فلم يكلمه صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان حمزة فى القنص فلما حضر أنبأته مولاة لعبدالله بن جدعان بشتم أبى جهل لابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فغضبَ حمزة وقصد البيت ليطوف به وهو متوشح قوسه ، فوجد ابن هشام قاعدًا مع جماعة فضربه حمزة بالقوس فشجه ثم قال : أتشتم محمدًا وأنا على دينه . فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل . فقال أبو جهل : دعوه فإنى سببت ابن أخيه سَبًّا قبيحًا وتم حمزة على إسلامه ، وعَلمتْ قريش أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عَزَّ وامتنع بإسلام حمزة .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى

وكان شديد البأس والعداوة للنبى صلى الله [تعالى] عليه وآله وسلم ، فروى أن رسول الله صلى الله [تعالى] عليه وسلم قال : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى الحكم بن هشام وهو أبو جهل ، فهدى الله تعالى عمر ، وكان قد أخذ سيفه وقصد قتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلقيه نعيم بن عبدالله النحام فقال : ما تريد يا عمر فأخبره ، فقال له نعيم : لئن فعلت ذلك لن يتركك بنو عبد مناف تمشى على الأرض ، ولكن أردع أختك وابن عمك سعيد [ق ٥٨ / أ] بن زيد وخباب ، فإنهم قد أسلموا ، فقصدهم عمر وهم يتلون سورة طه من صحيفة فسمع شيئا منها ، فلما علموا به أخفوا الصحيفة وسكتوا ، فسألهم عما سمعه فأنكروه ، فضرب أخته فشجها وقال : أرينى ما كنتم تقرءونه ، وكان عمر قارئًا كاتبًا فخافت أخته على الصحيفة ، وقالت : تعدمها ، فأعطاها العهد على أنه يردها إليها فدفعتها إليه فقرأها ، وقال : ما أحسن هذا وأكرمه فطمعت فى إسلامه ، وكان خباب قد استخفى منه فلما سمع ذلك خرج إليه ، فسألهم [عمر] عن موضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا له : هو بدار عند الصفا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هناك وعنده قريب أربعين نفسًا ما بين رجال ونساء منهم حمزة وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب فقصدهم عمر وهو متوشح بسيفه فاستأذن فى الدخول فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما دخل نهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بمجمع ردائه وجبذه جَبْذَةً شديدة وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ، أو ما تزال حين تنزل بك قارعة[1]، فقال عمر : يا رسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتم إسلام عمر .

---

(١) ط : القارعة ، وفى الكامل لابن الأثير : « ما أراك تنتهى حتى ينُزل الله عليك قارعة » (٢ / ٨٦) .

ذكر الهجرة الأولى وهى هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة

ولما اشتد أذى قريش لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن ليس له عشيرة تحميه فى الهجرة إلى أرض الحبشة ، فأول من خرج اثنا عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن مظعون ، وعبدالله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وركبوا البحر وتوجهوا إلى النجاشى وأقاموا عنده ، ثم خرج جعفر بن أبى طالب مهاجرًا وتتابع المسلمون أولا فأولا ، فكان جميع من هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة ثلاثة وثمانين رجلا [وثمانى عشرة نسوة] سوى الصغار ومن ولد بها ، فأرسلت قريش فى طلبهم عبدالله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص وأرسلوا معهما هدية من الأدم إلى النجاشى ، فوصلا وطلبا من النجاشى المهاجرين ، فلم يجبهما النجاشى ، وقال عمرو بن العاص : سلهم عما يقولون فى عيسى ، فسألهم النجاشى فقالوا ما قاله الله تعالى من أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم العذراء ، فلم ينكر النجاشى ذلك ، فأقام المهاجرون فى جوار النجاشى آمنين ، ورجع عمرو ابن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة خائبين بعد أن رد النجاشى عليهما الهدية . فلما رأت قريش ذلك وأن الإسلام [قد] جعل يفشو فى القبائل ، تعاهدوا على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، وكتبوا بذلك صحيفة وتركوها فى جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم ، وانحازت بنو هاشم كافرهم ومسلمهم إلى أبى طالب ودخلوا معه فى شعبه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب إلى قريش مظاهرًا لهم ، وكانت امرأته أم جميل بنت حرب وهى أخت أبى سفيان على رأيه [ق ٥٨ / ب] فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى التى سماها الله تعالى حمّالة الحطب ، لأنها كانت تحمل الشوك فتضعه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقامت بنو هاشم فى الشِعب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو ثلاث سنين ، وبلغ المهاجرون الذين فى الحبشة أن أهل مكة أسلموا فقدم منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ، ولما قربوا من مكة لم يجدوا ذلك صحيحًا ، فلم يدخل أحد منهم مكة إلا مستخفيًا ، وكان من الذين قدموا عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون .

ذكر نقض الصحيفة

روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبى طالب : يا عم إن ربى سلّط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها أسماء الله ونفت منها الظلم والقطيعة ، فخرج أبو طالب إلى

قريش ، وأعلمهم بذلك ، وقال إن كان ذلك صحيحًا فانتهوا عن قطيعتنا ، وإن كان كذبًا دفعت إليكم ابن أخى فرضوا بذلك ، ثم نظروا فإذا الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فزادهم ذلك شرًّا فاتفق جماعة من قريش ونقضوا ما تعاهدوا عليه فى الصحيفة من قطيعة بنى المطلب .

ذكر الإسراء

ذكر صاحب السيرة : أن الإسراء كان قبل موت أبى طالب ، وذكر ابن الجوزى أنه كان بعد موت أبى طالب فى سنة اثنتى عشرة للنبوة ، واخْتُلِفَ فيه فقيل كان ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فى السنة الثالثة عشرة للنبوة ، وقيل كان فى ربيع الأول ، وقيل كان فى رجب ، وقد اختلف أهل العلم فيه هل كان بجسده أم [كان] رؤيا صادقة ؟ فالذى عليه الجمهور أنه كان بجسده ، وذهب آخرون إلى أنه كان رؤيا صادقة ، ورووا عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه » ، ونقلوا عن معاوية أيضًا أنه كان يقول : « إن الإسراء كان رؤيا صادقة » ، ومنهم من جعل الإسراء إلى بيت المقدس جسدانيًّا ، ومنه إلى السموات السبع وسِدْرَةِ المنتهى روحانيًّا .

ذكر وفاة أبى طالب

توفى فى شوال سنة عشر من النبوة ، ولما اشتد مرضه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ياعم قُلْهَا أَسْتَحِلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة يعنى الشهادة ، فقال له أبو طالب : ياابن أخى لولا مخافة السُّبَّة وأن تَظُنَّ قريش إنما قلتها جزعًا من الموت لقلتها ، فلما تقارب من أبى طالب الموت جعل يحرك شفتيه فأصغى إليه العباس بأذنه وقال : والله يا ابن أخى لقد قال الكلمة التى أمرته أن يقولها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الحمد لله الذى هداك ياعم ، هكذا روى عن ابن عباس ، والمشهور أنه مات كافرًا ، ومن شعر أبى طالب مما يَدُل على أنه كان مصدقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

ودعوتنى وعلمت أنك صادق ولقد صدقتَ وكُنْتَ ثَمَّ أمينا
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمدٍ من خير أديان البرية دينا
واللهِ لن يَصِلُوا إليك بجمعهم حتى أُوَسَّدَ فى التراب دفينا [ق٥٩/أ]

وكان (عمر) أبى طالب بضعًا وثمانين سنة .

ذكر وفاة خديجة رضى الله عنها

ثم توفيت خديجة بعد أبي طالب ، وكان موتها قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ، وتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بموتها المصائب ، ونالت منه قريش خصوصًا أبو لهب بن عبدالمطلب والحكم بن العاص ، وعقبة بن أبي مُعَيط [بن أبي عمرو] بن أمية ، فإنهم كانوا جيران النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ويُؤْذُونه بما يلقون عليه وقت صلاته وفى طعامه من القاذورات .

ذكر سفره إلى الطائف

ولما نالت قريش من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] بعد وفاة عمه سافر إلى الطائف يلتمس من ثقيف النُّصْرَةَ ، ورجاء أن يقبلوا ما جاء به من الله فوصل إلى الطائف وعمد إلى جماعة من أشراف ثقيف مثل مسعود وحبيب ابنى عمرو ، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله ، وقال له واحد منهم . أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك ، وقال الآخر والله لا أكلمك أبدًا ، لأنك إن كنت رسولا [من الله] كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك ، فقام رسول الله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وأغرُوا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط ، ورجع عنه سفهاء ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إن لم تكن عَلَيَّ غضبانًا فلا أبالى ، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة وقومه أشد مما كانوا عليه من خلافه .

ذكر عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه على القبائل

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل فى مواسم الحج ويدعوهم إلى الله تعالى فيقول : « يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله

---

(١) لم ترد فى ط .

ولاتشركوا به شيئًا وأن تخلعوا ما يعبد من دونه وأن تؤمنوا [بى] وتصدقونى » ، وعمه أبو لهب ينادى : (إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه) وكان أبو لهب أحول له غديرتان .

ذكر ابتداء أمر الأنصار [رضى الله عنهم]

ولما أراد الله تعالى إظهار أمر دينه وإعزاز نبيه خرج رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فى الموسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع ، فبينما هو عند العقبة إذ لقى نفرًا من الخزرج من أهل مدينة يثرب ، وأهلها قبيلتان [هما] الأوس والخزرج يجمعهم أب واحد ، وهم يمانيون وبين القبيلتين حروب ، وهم حلف قبيلتين من اليهود يقال لهما قريظة والنضير من نسل هارون بن عمران ، فعرض رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم الإسلام عليهم وتلا عليهم القرآن وكانوا ستة رجال فآمنوا به وصدقوه ثم انصرفوا إلى يثرب ، وذكروا ذلك لقومهم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشافيهم ، فلم تبق دار إلا وفيها ذكر لرسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم .

ذكر بيعة العقبة الأولى

ولما كان العام المقبل وافى الموسم أثنا عشر رجلا من الأنصار ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب ، وبيعة [ق ٥٩ / ب] النساء هى المبايعة على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا [ولا يزنوا] ولا يقتلوا أولادهم ، فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبدالدار ليعلمهم شرائع الإسلام والقرآن .

ولما قدم مصعب المدينة دخل به أسعد بن زرارة وهو أحد الستة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فى العقبة حائطا من حوائط بنى ظَفَر ، وكان سعد بن معاذ سيد الأوس ابن خالة أسعد بن زرارة ، وكان أسيد بن حصين أيضا سيدًا فأخذ أسيد بن حصين حربته ووقف على مصعب وأسعد ، وقال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ، اعتزلا إن كان لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب أَوَ تَجْلِسُ فتسمع ، فجلس أسيد وأسمعه مصعب القرآن وعرفه الإسلام ، فقال أسيد ما أحسن هذا ؟ كيف تصنعون إذا أردتم الدخول فى هذا الدين ؟ فعلمه مصعب فأسلم وقال : ورائى رجل إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد وسأرسله إليكما ، يعنى سعد

ابن معاذ ثم أخذ أُسَيْد حربته وانصرف إلى سعد بن معاذ ، وبعث به إلى مصعب وأسعد فلما أقبل قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد من وراءه . فلما وقف عليهما سعد بن معاذ تهدد أسعد وقال لولا قرابتك منى ما صبرت علي أن تغشانا فى دارنا بما نكره ، فقال له مصعب أو ما تسمع فإن رضيتَ أمرًا قبلته وإلا عزلنا عنك ما تكره ؟ فقال : أنصفت ، فعرض مصعب عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قال : فعَرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ثم قال : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم فعرفاه ذلك فأسلم وانصرف إلى النادى حتى وقف عليه ومعه أسيد بن حصين ، فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع سعد بغير الوجه الذى ذهب به ، فقال : يا بنى عبدالأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ، قالوا : سيدنا وأفضلنا ، قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فما أمسى فى دار بنى عبدالأشهل أحد حتى أسلم ، ونزل سعد بن معاذ ومصعب فى دار [أسعد بن زرارة] يدعون الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وبها مسلمون إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد .

ذكر بيعة العقبة الثانية

وكانت فى سنة ثلاث عشرة من المبعث ، وذلك أن مصعب بن عمير عاد إلى مكة ومعه من الذين أسلموا ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، بعضهم من الأوس ، وبعضهم من الخزرج ، مع كفار من قومهم وهم مستخفون من الكفار ، فلما وصلوا إلى مكة واعدوا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أن يجتمعوا به ليلا فى أوسط أيام التشريق بالعقبة وجاءهم رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ومعه عمه العباس وهو مشرك إلا أنه أحب أن يتوثق منهم لابن أخيه ، فقال العباس : يا معشر الخزرج إن محمدًا منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا وهو فى عز ومنعة فى بلده ، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم تقفون عندما دعوتموه إليه وتمنعونه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه فمن الآن ، فدعوه . فقالوا : قد سمعنا [العباس] ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما [ق ٦٠ / أ] أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وتلا القرآن ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم ، ودار الكلام بينهم واستوثق كل فريق من الآخر ، ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فقالوا : إن قتلنا دونك ما لنا ؟ قال : الجنة . قالوا : فابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة ، وأمر النبى صلى الله عليه (وآله) وسلم أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم بمكة ينظر أن يأذن له ربه فى الخروج

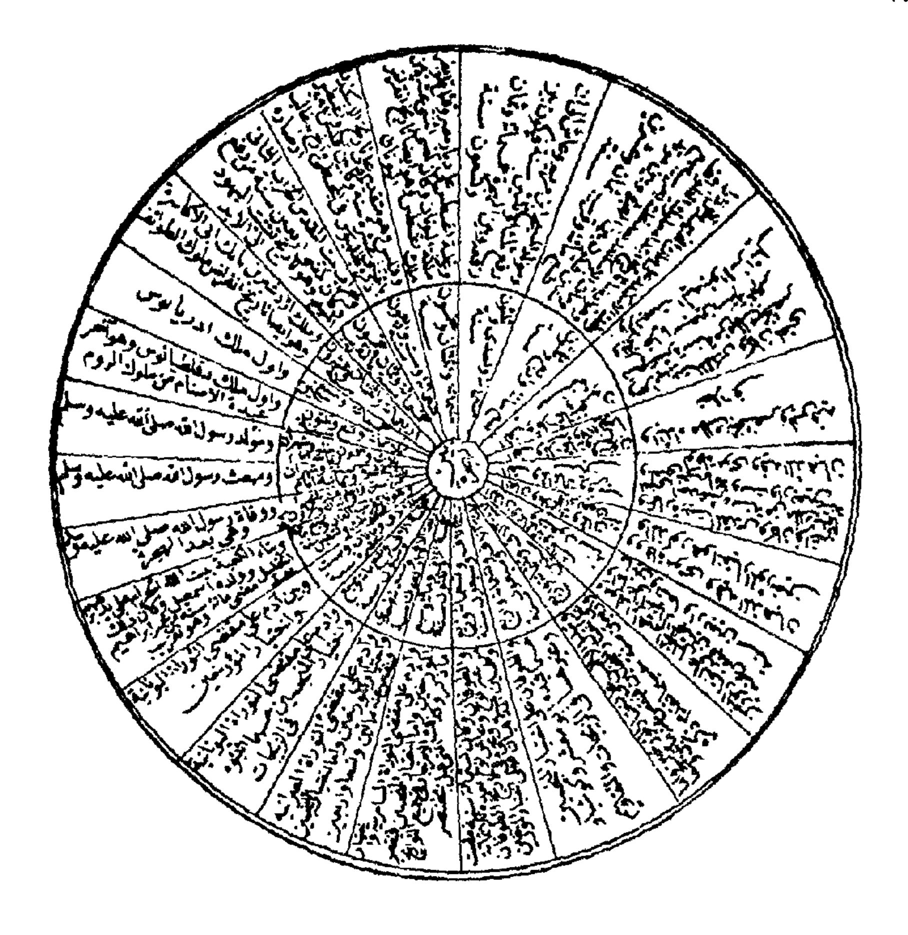
من مكة ، وبقى مع النبى صلى الله عليه (وآله) وسلم أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما .

ذكر الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وهى ابتداء التاريخ الإسلامى ، أما لفظة التاريخ فإنه محدث فى لغة العرب ، لأنه معرب من ماه روز ، وبذلك جاءت الرواية ، روى ابن سليمان عن ميمون بن مهران أنه رفع إلى عمر ابن الخطاب فى خلافته رضى الله تعالى عنه صك محله شعبان ، فقال أى شعبان ؟ أهذا هو الذى نحن فيه أو الذى هو آت ؟ ثم جمع وجوه الصحابة ، وقال [إن] الأموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل إلى ما نضبط به ذلك ؟ فقالوا نحب أن نتعرف ذلك من رسوم الفرس ، فعندها استحضر عمر الهرمزان وسأله عن ذلك فقال : إن لنا حسابًا نسميه ماه روز ومعناه حساب الشهور والأيام فعربوا الكلمة وقالوا تورَّخ جعلوا اسمه التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه أولا لتاريخ دولة الإسلام ، واتفقوا على أن يكون المبدأ سنة هذه الهجرة ، وكانت الهجرة من مكة إلى المدينة شرفهما الله ، وقد تصرم من شهور هذه السنة وأيامها المحرم وصفر وثمانية أيام من ربيع الأول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى [ثمانية] وستين يوما وجعلوا مبدأ التاريخ أول المحرم من هذه السنة ثم أحصوا من أول يوم فى المحرم إلى آخر يوم من عمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فكان عشر سنين وشهرين وأما إذا حسب عمره من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش بعدها تسع سنين وأحد عشر شهرًا واثنين وعشرين يوما وقد وضعنا زايجة تتضمن ما بين الهجرة وبين التواريخ القديمة المشهورة من السنين .

وإذا أردت أن تعرف ما بين أى تاريخين شئت منها ، فانظر إلى [ق ٦٠ / ب] ما بينها وبين الهجرة ، وأنقص أقلهما من أكثرهما فمهما بقى يكون ذلك ما بينهما مثاله .

وإذا أردت أن تعرف ما بين مولد المسيح ومولد رسول الله صلوات الله عليهما وسلامه نقصنا ما بين مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين الهجرة وهوثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام من ستمائة واحدى وثلاثين سنة يبقى خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية أيام هى جملة ما بين مولد رسول الله عليه وآله وسلم [وبين] مولد المسيح ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما ، وكذلك أى تاريخين أردت من هذه الدائرة .



والتواريخ القديمة المشهورة من السنين بين الهجرة وبين آدم على مقتضى التوراة اليونانية واختيار المؤرخين ستة آلاف ومائتان وست عشرة سنة ، وعلى مقتضى التوراة اليونانية ، واختيار المنجمين حسبما أثبتوا فى الزيجات خمسة آلاف وتسعمائة وسبع وستون سنة ، وعلى مقتضى التوراة العبرانية واختيار المؤرخين أربعة آلاف وسبعمائة وإحدى وأربعون سنة .

وأما على اختيار المنجمين ينقص عنه مائتان وتسع وأربعون سنة ، وعلى مقتضى التوراة السامرية واختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة ، وأما على اختيار المنجمين فينقص ما ذكر وكذلك جاء الأمر فى جميع التواريخ التى قبل بختنصر .

بين الهجرة وبين الطوفان على اختيار المؤرخين ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة ، وكان الطوفان لستمائة سنة مضت من عمر نوح ، وعاش نوح بعده ثلاثمائة وخمسين سنة ،

وعلى اختيار المنجمين ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرون سنة حسبما قرره أبو معشر وكوشيار وغيرهما فى الزيجات والتقاويم .

بين الهجرة وبين تبلبل الألسن على اختيار المؤرخين ثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربع سنين ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعا وأربعين سنة حسبما تقدم ذكره .

بين الهجرة وبين مولد إبراهيم الخليل على اختيار المؤرخين ألفان وثمانمائة وثلاثة وتسعون سنة . وأما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعا وأربعين سنة .

بين الهجرة وبين بناء الكعبة على يد إبراهيم الخليل وولده إسماعيل ألفان وسبعمائة ونحو ثلاث وتسعين سنة ، وكان ذلك بعد مضى مائة سنة من عمر إبراهيم وهو القريب والله أعلم .

بين الهجرة وبين وفاة موسى عليه السلام على اختيار المؤرخين ألفان وثلاثمائة وثمان وأربعون سنة ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعا وأربعين سنة .

بين الهجرة وبين عمارة بيت المقدس على اختيار المؤرخين ألف وثمانمائة وقريب سنتين ، وكان فراغه لمضى أحد عشر سنة من ملك سليمان ولمضى خمسمائة وست وأربعين سنة لوفاة موسى ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعا وأربعين سنة .

بين الهجرة وبين ابتداء ملك بختنصر ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة وليس فيه خلاف .

بين الهجرة وبين خراب بيت المقدس ألف وثلاثمائة وخمسون سنة ، وكان لمضى تسعة عشر سنة لبختنصر ، واستمر خرابا سنة ثم عمر .

بين الهجرة وبين غلبة الإسكندر على دارا ملك الفرس تسعمائة وأربع وثلاثون سنة وكانت أيضًا ابتداء ملكه على الفرس ، وبقى الاسكندر بعد غلبته على دارا نحو سبع سنين .

بين الهجرة وبين فيلبس تسعمائة وسبع وعشرون سنة ، وهو أخو الإسكندر أصغر منه باثنى عشر سنة وملك بعده على مقدونية ، ذكره بطليموس .

بين الهجرة وبين غلبة أغسطس على قلوبطرا ملكة مصر ستمائة واثنان وخمسون سنة وكانت بسنة اثنتى عشرة من ملك اغسطس .

بين الهجرة وبين مولد المسيح عليه السلام ستمائة وإحدى وثلاثون سنة ، وكان بسنة أربع وثلاثمائة لغلبة الإسكندر ولإحدى وعشرين سنة مضت من غلبة أغسطس على قلوبطرا .

بين الهجرة وبين خراب بيت المقدس الثانى خمسمائة وثمان وخمسون سنة وكان لمضى أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام وهو تاريخ تشتت اليهود إلى الآن .

بين الهجرة وبين أول ملك أدريانس خمسمائة وسبع سنين .

بين الهجرة وبين قيام أردشير بن بابك أربعمائة واثنان وعشرون سنة وهو أيضًا تاريخ انقراض ملوك الطوائف .

بين الهجرة وبين أول ملك دوقلطيانس ثلاثمائة وتسع وثلاثون سنة ، وهو آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم .

بين الهجرة وبين مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام .

بين الهجرة وبين مبعث رسول الله ثلاث عشرة سنة وشهران وثمانية أيام .

بين الهجرة وبين وفاة رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] تسع سنين وأحد عشر شهرًا واثنان وعشرون يوما وهى بعد الهجرة[1] .

حديث الهجـرة

وأما ما كان من [حديث] الهجرة فإنه لما علمت قريش أنه قد صار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنصار [ق ٦١ / أ] وأن أصحابه بمكة قد لحقوا بهم ، خافوا من خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، فاجتمعوا واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة رجلا ليضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد ليضيع دمه فى القبائل ، وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأمر عليا أن ينام على فراشه ، وأن يتشح ببرده الأخضر ، وأن يتخلف عنه ليؤدى ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الودائع إلى أربابها ، وكان الكفار قد اجتمعوا على باب النبى صلى الله عليه وآله وسلم [يرصدونه ليثبوا عليه] فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفنة تراب وتلا أول يس وجعل [ذلك] التراب على رءوس الكفار فلم يروه ، فأتاهم آت وقال : إن محمدًا خرج ووضع على رءوسكم التراب ، وجعلوا ينظرون فيرون عليا عليه برد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون محمد نائم فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على فعرفوه وأقام على بمكة حتى أدى ودائع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقصد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من داره [دار] أبى بكر رضى الله عنه وأعلمه بأن الله قد أذن بالهجرة فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ، قال : الصحبة ، فبكى أبو بكر رضى الله عنه فرحا ، واستأجر عبدالله بن أريقط وكان مشركا ليدلها على الطريق ، ومضى

---

(١) هذه الفقرة مطموسة تماما فى ص ، وهى تبدأ من السطر ٢٩ [ق ٦٠ /أ] إلى السطر ٢٩ من [ق ٦٠ /ب] ولذلك لم نستطع تحديد بداية [ق ٦٠ /ب] ، فاستكملنا هذه الفقرة من ط .

النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر إلى غار ثور وهو جبل أسفل مكة فأقاما فيه ثم خرجا من الغار بعد ثلاثة أيام وتوجها إلى المدينة ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق وعبدالله بن أريقط الدليل وهو كافر ، وجدت قريش فى طلبه فتبعه سراقة بن مالك المدلجى ، فلحق النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال أبو بكر يارسول الله أدركنا الطلب ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا تحزن إن الله معنا ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سراقة فارتطمت فرسه إلى بطنها فى أرض صلبة ، فقال سراقة : ادع الله يا محمد أن يخلصنى ولك أن أرد الطلب عنك ، فدعا له النبى صلى الله عليه وآله وسلم فخلص ، ثم تبعه فدعا عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فترطمَ ثانيا وسأل الخلاص وأن يرد الطلب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فأجابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له وقال : كيف بك يا سراقة إذا سورت بسوار كسرى برويز ؟ فرجع سراقة ورد كل من لقيه عن الطلب بأن يقول كفيتم ما هاهنا ، وقدم المدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من سنة إحدى ، وذلك يوم الاثنين الظهر .فنزل قباء على كلثوم بن الهدم ، وأقام بقباء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأسس مسجد قباء وهو الذى نزل فيه : ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ﴾[1] وخرج من قباء يوم الجمعة فما مر على دار من دور الأنصار إلا قالوا : هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة ويعترضون ناقته فيقول خلوا سبيلها فإنها مأمورة حتى انتهت إلى موضع مسجده صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان مربدًا لسهل وسهيل ابنى عمرو وكانا يتيمين فى حجر معاذ بن عفراء ، فبركت هناك ووضعت جرانها فنزل عنها النبى صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٦١ / ب] ، واحتمل أبو أيوب الأنصارى رحل الناقة إلى بيته ، وأقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم عند أبى أيوب الأنصارى حتى بنى مسجده ومساكنه ، وقيل : بل كان موضع المسجد لبنى النجار وفيه نخل وخِرب وقبور المشركين .

ذكر تزويج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها

وتزوجها قبل الهجرة بعد وفاة خديجة ودخل بها بعد الهجرة بثمانية أشهر ، وهى ابنة تسع سنين وتوفى عنها وهى ابنة ثمانى عشرة سنة .

---

(١) التوبة : من الآية ١٠٨ .

ذكر المؤاخاة بين المسلمين

آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبي طالب أخا ، وكان على يقول على منبر الكوفة [أيام خلافته] أنا عبدالله وأخو رسول الله ، وصار أبو بكر وخارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصارى أخوين ، وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ الأنصارى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان [بن] مالك الأنصارى أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصارى أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس ابن ثابت الأنصارى أخوين ، وطلحة بن عبيدالله وكعب [بن] مالك الأنصارى أخوين ، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب الأنصارى أخوين ، وأول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة عبدالله بن الزبير ، وأول مولود ولد للأنصار النعمان بن بشير .

[ثم] دخلت سنة اثنتين من الهجرة :

فيها : حولت الصلاة إلى الكعبة ، وكانت الصلاة بمكة وبعد مقدمه إلى المدينة بثمانية عشر شهرًا إلى بيت المقدس وذلك يوم الثلاثاء منتصف شعبان ، فاستقبل الكعبة فى صلاة الظهر ، وبلغ أهل قباء ذلك فتحولوا إلى الكعبة وهم فى الصلاة .

وفى هذه السنة : أعنى سنة اثنتين : فرض صيام رمضان .

وفى هذه السنة : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله بن جحش [الأسدى] فى ثمانية أنفس إلى نخلة بين مكة والطائف ليتعرفوا أخبار قريش ، فمربهم عير لقريش فغنموها وأسروا اثنين وحضروا بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى أول غنيمة غنمها المسلمون .

من (التنبيه) والإشراف للمسعودى .

وفى هذه السنة : أُرِىَ عبدالله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى صورة الأذان فى النوم وورد الوحى به .

ذكر غزوة بدر الكبرى

وهى الغزوة التى أظهر الله بها الدين ، وكان من خبرها أنه لما قدم لقريش قَفَلٌ من[1] الشام مع أبى سفيان بن حرب ومعه ثلاثون رجلا ، فندب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الرجوع للسان العرب مادة قفل .

[الناس] إليهم ، وبلغ أبا سفيان ذلك فبعث إلى مكة وأعلم قريشًا أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقصده ، فخرج الناس من مكة سراعًا ولم يتخلف من الأشراف غير أبى لهب وبعث مكانه العاصى بن هشام .

وكانت عِدَّتُهم تسعمائة وخمسين رجلا فيهم مائة فرس ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة [لثلاث] خلون من رمضان سنة اثنتين للهجرة ومعه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا منهم سبعة وسبعون من المهاجرين والباقون من الأنصار ، ولم يكن فيهم إلا فارسان [أحَدهما] المقداد بن عمرو الكندى بلا خلاف ، والثانى قيل هو الزبير بن العوام ، وقيل غيره وكانت الإبل سبعين يتعاقبون عليها ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] الصفراء وجاءته الأخبار بأن العير [قد] قاربت بدرًا ، وأن المشركين قد خرجوا ليمنعوا عنها ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل فى بدر على أدنى ماء من القوم وأشار سعد بن معاذ ببناء عريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَعُمِلَ وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٦٢ / أ] ومعه أبو بكر ، وأقبلت قريش ، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، وتقاربوا وبرز من المشركين عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب عتبة ، وحمزة عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم شيبة ، وعلى بن أبى طالب الوليد بن عتبة ، فقتل حمزة شيبة ، وعلى الوليد ، وضرب كل واحد من عبيدة وعتبة صاحبه ، وكر علىّ وحمزة على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ثم مات ، وتزاحف القوم ، ورسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] ومعه أبو بكر [على] العريش وهويدعو ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض ، اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه فوضعها أبو بكر عليه ، وخفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم انتبه فقال أبشر يا أبا بكر فقد أتى نصر الله ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العريش يحرض الناس على القتال ، وأخذ حفنة من الحصا ورمى بها قريشا وقال : شاهت الوجوه [ثم] قال لأصحابه شدوا عليهم فكانت الهزيمة ، وكانت الوقعة صبيحة الجمعة لسبع عشرة [ليلة] خلت من رمضان ، وحمل عبدالله بن مسعود رأس أبى جهل بن هشام إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسجد شكرا لله تعالى ، وقتل أبو جهل وله سبعون سنة ، واسم أبى جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، وكذلك قتل أخو أبى جهل وهو العاصى بن هشام ، ونصر الله نبيه بالملائكة . قال الله تعالى : ﴿ إذْ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة ﴾[1] وجاء الخبر إلى أبى لهب بمكة عن مصاب أهل بدر فلم يبق

(١) سورة الأنفال : الآية ٩ .

غير سبع ليال ومات كمدًا ، وكانت عدة قتلى بدر من المشركين سبعين رجلا والأسرى كذلك ، فمن القتلى غير من ذكرنا حنظلة بن أبي سفيان بن حرب وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية قتله على بن أبي طالب وزمعة بن الأسود قتله حمزة وعلى وأبو البخترى بن هشام قتله المجدر ابن زياد ، ونوفل بن خويلد أخو خديجة وكان من شياطين قريش ، وهو الذى قرن أبا بكر وطلحة بن خويلد لما أسلما فى حبل ، قتله على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وعمير بن عثمان ابن عمر التميمى قتله على أيضًا ، ومسعود بن أبي أمية المخزومى قتله حمزة ، وعبدالله بن المنذر المخزومى قتله على بن أبي طالب ، ومنبه بن الحجاج السهمى قتله أبو يسر الأنصارى ، وابنه العاص بن منبه قتله على بن أبي طالب وأخوه نبيه بن الحجاج اشترك فيه حمزة وسعد بن أبي وقاص ، وأبو العاص بن قيس السهمى قتله على بن أبي طالب ، وكان من جملة الأسرى العباس عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وابنا أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ابن عبدالمطلب .

ولما انقضى القتال أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بسحب القتلى إلى القليب وكانوا أربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا فيه ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعرصة بدر ثلاث ليال ، وجميع من استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصفراء راجعًا من بدر أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحارث ، وكان من شدة عداوته للنبى صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٦٢ / ب] إذا تلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم القرآن يقول لقريش : ما يأتيكم محمد إلا بأساطير الأولين ، ثم أمر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أمية ، وكان عثمان بن عفان قد تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [فى المدينة] بأمره وبسبب مرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وماتت رقية فى غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت مدة غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة عشر يومًا .

ثم كانت غزوة بنى قينقاع
من اليهود

وهم أول يهود نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العهد ، فخرج إليهم فى منتصف شوال سنة اثنتين ، فتحصنوا فحاصرهم خمس عشرة ليلة ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكتفوا وهو يريد قتلهم ، فكلمه عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجى المنافق ، وكان هؤلاء اليهود حلفاء الخزرج فأعرض النبى صلى الله عليه وآله

وسلم عنه ، فأعاد السؤال فأعرض عنه فأدخل يده فى جيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا رسول الله أحسن ، فقال : ويحك أرْسِلْنى ، فقال : لا والله حتى تحسن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم لك ثم أمر بإجلائهم ، وغنم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون جميع أموالهم .

ثم كانت غزوة السويق

وكان من أمرها أن أبا سفيان حلف أن لا يمس الطيب والنساء حتى يغزو محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بسبب قتلى بدر ، فخرج فى مائتى راكب وبعث قدامه رجالاً إلى المدينة فوصلوا إلى العريض وقتلوا رجالاً من الأنصار . فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ركب فى طلبه وهرب أبو سفيان وأصحابه وجعلوا يلقون جُرُبَ السويق تخفيفا ، فسميت لذلك غزوة السويق .

ثم كانت غزوة قُرْقُرَة الكُدْرِ

وقيل كانت سنة ثلاث ، وقرقرة الكدر ماء مما يلى جادة العراق إلى مكة [و] بلغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن بهذا الموضع جمعًا من سليم وغطفان فخرج لقتالهم فلم يجد أحدًا ، فاستاق ما وجد من النَّعَم ثم قدم المدينة .

وفى هذه السنة : تزوج على بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيها : كانت الوقعة بذى قار بين بكر بن وائل وبين جيش كسرى برويز وعليه الهامرز[١] ، واقتتلوا قتالاً شديدًا وانهزمت الفرس ومن كان معهم من العرب وقتل الهامرز .

وفيها : هلك أمية بن أبى الصَّلت ، واسم أبى الصلت عبد الله بن ربيعة ، وكان أمية المذكور من رؤساء الكفار ، وكان قد قرأ فى الكتب واطلع على بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فكفر به حسدًا وكان يَرْتَجى أن يكون هو المبعوث ، وكان أمية قد سافر إلى الشام وعاد إلى الحجاز عقب وقعة بدر ، ولما مر بالقليب قيل [له] إن فيه قتلى بدر ومنهم عتبة ابنا وشيبة ربيعة وهما ابنا خال أمية المذكور فجدع أذنى ناقته ووقف على القليب وقال قصيدة طويلة منها :

---

(١) كذا فى الأصل وصحتها الهَارْمُز قال ابن منظور فى لسان العرب ج ٦ ص ٤٦٥٧ – الهُرْمُزُ والها مزان والهاروموز الكبير من ملوك العجم وفى التهذيب : هُرْمُزُ من أسماء العجم .

ألا بكيت على الكرا م بنى الكرام أولى الممادح
كَبُكَا الحمام على فرو ع الأيك فى الغصن الجوانح
يبكين حزنى مستكيـ ـنات يرحن مع الروائح
أمثالهن الباكيا ت المعولات من النوائح
ماذا ببدر والعتنـ ـقل من مرازبة جحاجح
شُمُطٌ وشبان بها ليل مغاوير وحاوح
إن قد تغير بطن مك ـة فهى موحشة الأباطح

[ق ٦٣ / أ] ثم دخلت سنة ثلاث :
فيها : فى رمضان ولد الحسن بن على .
وفيها : قتل كعب بن الأشرف اليهودى قتله محمد بن مسلمة الأنصارى .

ذكر غزوة أحد

وكان من حدينها (أنه) اجتمعت قريش [فى] ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومعهم مائتا فارس وقائدهم أبو سفيان بن حرب ومعه زوجته هند بنت عتبة ، وكان جملة النساء خمس عشرة امرأة ومعهن الدفوف يضربنها ويبكين على قتلى بدر ويحرضن المشركين على حرب المسلمين ، وساروا من مكة حتى نزلوا ذا الحليفة مقابل المدينة ، وكان وصولهم يوم الأربعاء لأربع ليال مضين من شوال سنة ثلاث ، وكان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقام بالمدينة وقتالهم بها ، وكذلك رأى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق ، وكان رأى باقى الصحابة الخروج لقتالهم ، فخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ألف من الصحابة إلى أن صار بين المدينة وأحد ، فانخزل عنه عبد الله بن أبى بن سلول فى ثلث الناس ، وقال أطاعهم وعصانى علام نقتل أنفسنا ها هنا ، ورجع بمن تبعه من أهل النفاق ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشعب من أحد وجعل ظهره إلى أحد ، ثم كانت الوقعة يوم السبت لسبع مضين من شوال وعِدَّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعمائة فيهم مائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين ، فرس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفرس لأبى بُرْدة ، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع مصعب بن عمير من بنى عبد الدار ، وكان على ميمنة المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل ولواؤهم مع بنى عبد الدار ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرماة وهم خمسون رجلاً وراءه ، ولما

التقى الناس [و] دنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان مع النسوة اللاتى معها وضربن بالدفوف خلف الرجال وهند تقول :

ويها بنى عبد الدار ، ويها حماة الأديار. ضربا بكل بتار

وقاتل حمزة عم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قتالا شديدًا [يومئذ] فقتل أرطاة حامل لواء المشركين ومر به سِبَاع بن عبد العزى وكانت أمه ختانة بمكة ، فقال له حمزة : هلم يا ابن مقطعة البظور وضربه ، فكأنما أخطأ رأسه فبينا هو مشتغل بسِبَاع إذ ضربه وحشىّ عَبْد جُبير بن مطعم – وكان وحشى حبشيا – بحربة ، فقتل حمزة ، وقتل ابن قمئة الليثى مصعب ابن عمير حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال لقريش إنى قتلت محمدًا ، ولما قتل مصعب بن عمير أعطى (النبى صلى الله عليه وآله وسلم الراية) لعلى بن أبى طالب .

ذكر الكرة على المسلمين

وانهزم المشركون فطمع الرماة فى الغنيمة وفارقوا المكان الذى أمرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بملازمته ، فأتى خالد بن الوليد مع خيل المشركين من خلف المسلمين ، ووقع الصارخ أن محمدًا قتل ، وانكشف المسلمون وأصاب فيهم العدوّ ، وكان يومَ بلاء على المسلمين ، وكانت عِدَّة الشهداء من المسلمين سبعين رجلًا ، وعِدَّة قتلى المشركين اثنين وعشرين رجلًا ، ووصل العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٦٣ / ب] وأصابته حجارتهم حتى وقع وأصيبت رباعيته وشُج فى وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذى أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص ، وجعل الدم يسيل على وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : كيف يُفْلِحُ قومٌ خَضَّبُوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ، فنزل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾[1] . ودخلت حلقتان من حَلَقِ المِغْفَرِ فى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشجة ، ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه صلى الله عليه وآله وسلم فسقطت ثنيته الواحدة ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان أبو عبيدة ساقط الثنيتين ، ومصَّ أبو سعيد الخدرى الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وازدرده فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « من مس دمى دمه لم تصبه النار » ، وروى أن طلحة أصابته يومئذ ضربة فشلت يده وهو يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان

(١) آل عمران : الآية ١٢٨ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ظاهر بين درعين ، ومثلت هند وصواحبها بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فَجدَعْنَ الآذان والأنوف واتخذن منها قلائد ، وبقرت هند عن كبد حمزة ولاكتها ولم تسغها ، وضرب أبو سفيان زوجها بزج الرمح شِدْق حمزة وصعد الجبل وصرخ بأعلى صوته : الحرب سجال يوم بيوم بدرًا على هبل أى ظهر دينك .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى إن موعدكم بدر العام القابل ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لواحد : قل هو بيننا وبينكم ، ثم سار المشركون إلى مكة ، ثم التمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمه حمزة ، فوجده وقد بقر بطنه وجدع أنفه وأذناه ، فقال رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] ، لئن أظهرنى الله على قريش لأمثلن بثلاثين منهم ، ثم قال جاءنى جبريل ، فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحمزة فسجى ببرده ، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ، وهذا دليل لأبى حنيفة فإنه يرى الصلاة على الشهيد خلافا للشافعى رحمهما الله تعالى ؛ ثم أمر بحمزة فدفن ، واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك ، وقال : « ادفنوهم حيث صرعوا » .

ثم دخلت سنة أربع :

فيها : فى صفر قدم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوم من عَضْلٍ والقارة ، وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث معهم من يفقه قومهم فى الدين ؛ فبعث معهم ستة نفر ، وهم : ثابت بن أبى الأقلح ، وخبيب بن عدى ، ومَرْثَدِ بن أبى مَرْثَدِ (الغنوى) ، وخالد بن البكير الليثى ، وزيد بن الدِّثِنَّة ، وعبد الله بن طارق ، وقدم عليهم مرثد بن أبى مرثد)[1] ؛ فلما وصلوا [إلى] الرجيع ، وهو ماء لهذيل على أربعة عشر ميلا من عُسْفَان ، غدروا بهم ، وقاتلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقتل ثلاثة وأسر ثلاثة وهم : زيد بن الدثنة وخُبيب وعَبد الله بن طارق ، فأخذوهم إلى مكة ، وانفلت عبد الله بن طارق فى الطريق ، فقاتل إلى أن قتلوه بالحجارة ، ووصل زيد بن الدثنة وخُبيب إلى مكة وباعوهما من قريش فقتلوهما صَبرًا .

وفى صفر سنة أربع أيضًا [ق ٦٤ / أ] قدم أبو [براء] عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يُسْلِم ولم يبعد من الإسلام ،

---

(١) وردت على هامس المخطوط .

وقال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : لو بعثت من أصحابك رجالاً إلى أهل نجد يدعونهم رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أخاف على أصحابى ، فقال أبو براء : أنا لهم جارٍ ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذر بن عمرو الأنصارى فى أربعين رجلاً من خيار المسلمين ، فيهم عامر بن فهير [ة] مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فمضوا ونزلوا بئر معونة على أربع مراحل من المدينة ، وبعثوا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فقتل الذى أحضر الكتاب وجمع الجموع وقصد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فتقاتلوا وقتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد ، فإنه بقى فيه رمق وتوارى بين القتلى ، ثم لحق بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، واستشهد يوم الخندق ؛ وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرِى ورجل من الأنصار ، فرأيا الطيور تحوِّم حول العسكر ، فقصدا العسكر ، فوجدا القوم مقتولين ، فقاتل الأنصارى وقتل ، وأما عمرو بن أمية (الضَّمْرى) فأخذ أسيرًا وأعتقه عامر بن الطفيل لكونه من مضر ، ولحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخبره بالخبر ، فشقَّ عليه .

ذكر غزوة بنى النضير من اليهود

وسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ، وحاصرهم فى ربيع الأول سنة أربع ، ونزل تحريم الخمر وهو محاصر لهم ، فلما مضت ست ليال محاصرًا لهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخليهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ، فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير (مظهرين) بذلك تجلدًا ، وكانت أموالهم فيئًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسمها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيفة وأبا دجانة ذكرا فقرًا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك شيئًا ، ومضى إلى خيبر [من] بنى النضير ناس ، وإلى الشام ناس .

ذكر غزوة ذات الرقاع

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجدًا ، فلقى جمعًا من غطفان [فى ذات الرقاع] ، وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، و [كان] ذلك فى جمادى الأولى سنة أربع ، وفى هذه الغزوة ، قال رجل من غطفان لقومه : ألا أقتل لكم محمدًا ، قالوا : بلى ، وحضر إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : يا محمد أريد أن أنظر إلى سيفك هذا ، وكان محلًّى بفضة ، فدفعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم

إليه ، فأخذه واستله ، ثم جعل يهزه ويهم ويكبته الله ، ثم قال : يا محمد ما تخافنى ، فقال له : لا أخاف منك ، ثم رد سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه ، فأنزل الله تعالى عليه ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾[١] .

ذكر غزوة بدر الثانية

وفى شعبان سنة أربع خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لميعاد أبى سفيان [ق ٦٤ / ب] وأتى بدرًا ، وأقام ينتظر أبا سفيان وخرج أبو سفيان من مكة ، ثم رجع فى أثناء الطريق إلى مكة ، فلما لم يأت انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة .

وفى هذه السنة : ولد الحسين بن على رضى الله عنهما .

ثم دخلت سنة خمس :

ذكر غزوة الخندق وهى غزوة الأحزاب

وكانت فى شوال من هذه السنة ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحزب قبائل العرب ، فأمر بحفر الخندق حول المدينة ، قيل إنه كان بإشارة سلمان الفارسى وهو أول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وظهرت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حفر الخندق عدة معجزات منها ما رواه جابر ، قال اشتدت عليهم كُدْيَةٌ أى صخرة ، فدعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بماء وتفل فيه ونضحه عليها ، فانهالت تحت المساحى .

ومنها أن ابنة بشير بن سعد الأنصارى ، وهى أخت النعمان بن بشير بعثتها أمها بقليل تمر – غذاء أبيها بشير وخالها عبد الله بن رواحة – فمرت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فدعاهم ، وقال : هاتى ما معك يا بنية ، قال فصبّت ذلك التمر فى كفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما امتلأ ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثوب وبدد ذلك التمر عليه ، ثم قال لإنسان اصرخ فى أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه ، وأنه ليسقط من أطراف الثوب ..

ومنها ما رواه جابر ، قال كانت عندى شويهة غير سمينة ، فأمرت امرأتى أن تخبز قرص

---

(١) المائدة : من الآية ١١ .

شعير وأن تشوى تلك الشاة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكنا نعمل فى الخندق نهارًا وننصرف إذا أمسينا ، فلما انصرفنا من الخندق ، قلت : يا رسول الله صنعت لك شويهة ومعها شيئا من خبز الشعير ، وأنا أحب أن تنصرف إلى منزلى ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يصرخ فى الناس أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت جابر ، قال جابر فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وكان قصده أن يمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس معه وقدمنا له ذلك ، فبرك وسمّى ثم أكل وتوردها الناس كلما صدر عنها قوم جاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها .

وروى سلمان الفارسى قال : كنت قريبًا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أعمل فى الخندق ، فتغلظ علىَّ الموضع الذى كنت أعمل فيه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شدة المكان ، أخذ المعول وضرب ضربة ، فلمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب أخرى فلمعت برقة أخرى ، قال : فقلت بأبى أنت وأمى ما هذا الذى يلمع تحت المعول ، فقال أرأيت ذلك ياسلمان ، فقلت : نعم ، فقال : أما الأولى ، فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة : فإن الله فتح على بها المشرق ، وفرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الخندق ، وأقبلت قريش فى أحابيشها ومن تبعها من كنانة فى عشرة آلاف ، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد ، وكان [ق ٦٥ / أ] بنو قريظة وكبيرهم كعب بن أسيد قد عاهدوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فما زال عليهم أصحابهم من اليهود حتى نقضوا العهد وصاروا مع الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعظم عند ذلك الخطب واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وأقام المشركون بضعًا وعشرين ليلة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقابلهم وليس بينهم قتال غير المراماة بالنبل ، ثم خرج عمرو بن عبد وُدّ من ولد لؤى بن غالب يريد المبارزة فبرز إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال [له] عمرو : يا ابن أخى والله ما أحب أن أقتلك ، فقال على : لكنى والله أحب أن أقتلك ، فحمى عمرو عند ذلك ونزل عن فرسه فعقره ، وأقبل إلى علىّ وتجاولا وعلا عليهما الغَبَرة ، وسمع المسلمون التكبير فعلموا أن عليًا قتله ، فانكشفت الغبرة وعلا على صدر عمر [و] يذبحه ، ثم إن الله تعالى أهب رياح الصبا كما قال الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها ﴾[1] وكان ذلك فى أيام شاتية فجعلت

---

(١) الأحزاب : من الآية ٩ .

تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم ، ورمى الله الاختلاف بينهم ، فرحلت قريش مع أبى سفيان ، وسمعت غطفان ما فعلت قريش ، فرحلوا راجعين إلى بلادهم .

ذكر غزوة بنى قريظة

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة ، ووضع المسلمون السلاح ، فلما كان الظهر أتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناديًا ينادى : من كان سميعًا مطيعًا فلا يصلى العصر إلا ببنى قريظة ، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه برايته إلى بنى قريظة ، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بئر من آبارهم ، وتلاحق الناس ، وأتى قوم بعد العشاء الآخر ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يصلى أحد العصر إلا ببنى قريظة ، فلم ينكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ذلك ، وحاصر بنى قريظة خمسًا وعشرين ليلة ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، ولما اشتد بهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا حلفاء الأوس ، فسأل الأوس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى إطلاقهم كما أطلق بنى قينقاع حلفاء الخزرج بسؤال عبد الله بن أبى بن سلول المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ وهو سيد الأوس ؟ فقالوا : بلى ظنًا منهم أن يحكم بإطلاقهم ، فأمر بإحضار سعد ، وكان به جرح فى أَكْحُلِهِ من الخندق ، فحملت الأوس سعدًا على حمار وطئوا له عليه بوسادة ، وكان رجلًا جسيمًا ، ثم أقبلوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم يقولون لسعد يا أبا عمرو : أحسن إلى مواليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قوموا إلى سيدكم ، والمهاجرون يقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٦٥ / ب] الأنصار ، يقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين ، فقاموا إليه وقالوا يا أبا عمرو : إن رسول الله قد حكمك فى مواليك ، فقال سعد : أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وحبس بنى قريظة فى بعض دور الأنصار وأمر فحفر لهم خنادق ثم بعث بهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، وكانوا سبعمائة رجل يزيدون أو ينقصون عنها قليلًا ، ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا بنى قريظة ، فأخرج الخمس ، واصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو ، فكانت فى مِلْكِه حتى مات .

ولما انقضى أمر بنى قريظة ، انفجر جرح سعد بن معاذ ، فمات رضى الله عنه ، وجميع من استشهد من المسلمين فى حرب الخندق ستة نفر منهم سعد بن معاذ ، مات بعد حرب بنى قريظة على ما وصفناه ، وكان سعد بن معاذ لما جُرح على الخندق قد سأل الله تعالى أن لا يميته حتى يغزو بنى قريظة لغدرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاندمل جرحه حتى فرغ من غزو بنى قريظة كما سأل الله تعالى ، ثم انتقض جرحه ومات رحمه الله تعالى ؛ وفى حرب بنى قريظة لم يستشهد غير رجل واحد ، وكانت غزوة بنى قريظة فى ذى القعدة سنة خمس ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة حتى خرجت السنة .

ذكر غزوة بنى لحيان *

ثم دخلت سنة ست :

فيها : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جمادى الأولى إلى بنى لحيان طلبًا بثأر أهل الرجيع ، فتحصنوا برءوس الجبال ، فنزل عُسْفَان تخويفًا لأهل مكة ، ثم رجع إلى المدينة .

ذكر غزوة ذى قَرَدْ

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة أيامًا ، فأغار عيينة بن حصن الفزارى على لقاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأربعاء حتى وصل إلى ذى قَرَد لأربع خلون من ربيع الأول ، فاستنقذ بعضها ، وعاد إلى المدينة ، وكانت غيبته خمس ليال ، وذو قرَدٍ موضع على ليلتين من المدينة على طريق خيبر .

ذكر غزوة بنى المصطلق

وكانت فى شعبان من هذه السنة ، أعنى سنة ست ، وقيل سنة خمس ، وكان قائد بنى المصطلق : الحارث بن أبى ضِرار ، ولقيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ماء لهم يقال له المريسيع ، واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، فقتل وسبى وغنم الأموال ووقعت جويرية بنت قائدهم الحارث بن أبى ضرار فى سهم ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسها ، فأدى عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتابتها وتزوجها ، فقال الناس أصهار رسول الله صلى

(*) العنوان من عندنا .

الله عليه وآله وسلم ، فأعتق بتزوجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فكانت عظيمة البركة على قومها ، وفى هذه الغزاة قتل رجل من الأنصار رجلاً من المسلمين خطأ يظنه كافرًا ، وكان المقتول من بنى ليث بن بكر واسمه هشام ، وكان أخوه مقيس مشركًا ، فلما بلغه قتل أخيه خطأً ، قدم من مكة مظهرًا الإسلام ، وأنه يطلب دية أخيه ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه [وآله وسلم] غير كثير ، ثم عَدَى على قاتل أخيه فقتله ثم رجع إلى مكة مرتدًا [ق ٦٦ / أ] وقال من أبيات لعنه الله :

حللت [به] وترى وأدركت ثارتى   وكنت إلى الأوثان أول راجع

وهو ممن أهدر النبى صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم فتح مكة .

وفى هذه الغزوة : ازدحم جَهْجَاهُ الغِفَارِىّ أجير عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسنان الجهنى حليف الأنصار على الماء وتقاتلا ، فصرخ الغفارى : يامعشر المهاجرين ، وصرخ الجهنى يا معشر الأنصار ، فغضب عبدالله بن أبى بن سلول المنافق وعنده رهط من قومه فيه زيد بن أرقم ، فقال عبدالله المنافق : قد فعلوها ، قد كاثرونا فى بلادنا ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؛ ثم قال لمن حضر من قومه ، هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم ولو أمسكتم عنهم [ما] بأيديكم لتحولوا عنكم ، فأخبر زيد بن أرقم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال يارسول الله مُرْ به عبدالله بن بشير فليقتله ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم كيف يتحدث الناس إذن أن محمدًا يقتل أصحابه ، ثم أمر بالرحيل فى وقت لم يكن ليرحل فيه ليقطع ما الناس فيه ، فلقيه أسيد بن حصين وقال يا رسول الله رحت فى ساعة لم تكن لتروح فيها ، فقال : أو ما بلغك ما قاله عبدالله بن أبى بن سلول ، فقال : وما ذاك ، قال فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقاله ، فقال أسيد : أنت تخرجه والله إن شئت ، أنت العزيز وهو الذليل ، وبلغ ابن عبدالله المنافق واسمه أيضًا عبدالله وكان حسنُ الإسلام مقال أبيه ، فقال يارسول الله : بلغنى أنك تريد قتل أبى ، فإن كنت فاعلاً ، فمرنى فأنا أحمل إليك رأسه ، فقال رسول الله صلى عليه وآله وسلم : بل ترفق به وتحسن صحبته .

ذكر قصة الإفك

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الغزوة ، وكان ببعض الطريق ، قال أهل الإفك ما قالوا وهم : مِسْطح بن أثاثة بن عباد بن عبدالمطلب ، وهو ابن خالة أبى بكر ، وحسان بن ثابت ، وعبدالله بن أبى بن سلول الخزرجى المنافق ، وأم حسنة ابنة جحش ؛ فرموا عائشة بالإفك مع صفوان بن المعطل ، وكان صاحب الساقة ، فلما نزلت براءتها جلدهم

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانين إلا عبدالله بن أبى فإنه لم يجلده[1] .
من الإشراف للمسعودى ، وفى هذه الغزوة - أعنى غزوة بنى المصطلق - نزلت آية التيمم .

ذكر عمرة الحديبية

وهى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج من المدينة فى ذى القعدة سنة ست معتمرًا لا يريد حربًا بالمهاجرين والأنصار فى ألف وأربعمائة ، وساق الهدى وأحرم بالعمرة وسار حتى وصل إلى ثنية المرار مهبط الحديبية أسفل مكة وأمر بالنزول فقالوا ننزل على غير ماء ، فأعطى رجلاً سهمًا من كنانته وغرزه فى بهض تلك القلب فى جوفه ، فجاش حتى ضرب الناس عنه ، وهذا من مشاهير معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فبعثت قريش عروة بن مسعود الثقفى ، وهو سيد أهل الطائف ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : إن قريشًا لبسوا جلود النمور وعاهدوا الله أن [لا] تدخل عليهم مكة عنوة أبدًا ؛ ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يكلمه [ق ٦٦ / ب] والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعل يقرع يده ويقول : كف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن لا ترجع إليك ، فقال له عروة : ما أفظك وأغلظك ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ثم قام عروة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يرى ما يصنع أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق إلا ابتدروا بصاقه ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه ؛ ورجع إلى قريش وقال لهم : إنى جئت كسرى وقيصر فى ملكهما ، فوالله ما رأيت ملكًا فى قومه مثل محمد فى أصحابه .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى قريش ليعلمهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت لحرب ، فقال عمر : إنى أخاف قريشًا لغيظى عليهم وعداوتى لهم ؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن عفان إلى أبى سفيان وأشراف قريش أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرًا ومعظمًا لهذا البيت ؛ فلما وصل إليهم عثمان وعرفهم بذلك ، قالوا له : إن أحببت أنك تطوف بالبيت فطف ، فقال ما كنت لأفعله حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمسكوه وحبسوه ، وبلغ رسول الله صلى الله

---

(١) جاء فى تفسير الآلوسى وغيره : أن ابن أُبَىٍّ لم يُحَدَّ أصلًا ، لأنه لم يُقِرَّ ، ولم يلتزم إقامة البينة عليه تأخيراً لجزائه إلى يوم القيامة . وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه ، فجىء به ، فضربه حَدَّين ، ثم بعث إلى حسان بن ثابت ، ومسطح ، وأم حسنة فضربوا ضرباً وجيعًا . [انظر المصدر المذكور ج ١٨ ص ١١٦].

عليه وآله وسلم أن عثمان قتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا نبرح حتى نناجز القوم .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر يقول : لم يبايعنا إلا على أننا لا نفر ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ، ولم يتخلف أحد من المسلمين إلا الجد بن قيس استتر بناقته ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان فى غيبته ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى ، ثم أتى النبى صلَّى الله عليه وآله وسلم الخبر أن عثمان لم يقتل .

ذكر الصلح بين النبى صلى الله عليه وسلم وقريش

ثم إن قريشًا بعثوا سهيل بن عمرو فى الصلح ، وتكلم مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك ، فلما أجابه إلى الصلح قال عمر بن الخطاب [رضى الله تعالى عنه] : يا رسول الله [أولست برسول الله] أولسنا بالمسلمين ، فقال النبى صلَّى الله عليه وآله وسلم : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا عبدالله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى ؛ ثم دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اكتب باسمك اللهم [ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأشهد فى الكتاب على الصلح رجالاً من المسلمين والمشركين ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خرجوا من المدينة لا يشكون فى فتح مكة لرؤيا رآها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، داخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٦٧ / أ] من ذلك نحر هديه وحلق رأسه ، وقام الناس أيضًا فنحروا وحلقوا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله قال : رحم الله المحلقين ، حتى أعادوا وأعاد ذلك مرات ، ثم قال : والمقصرين ؛ ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، وأقام بها حتى خرجت السنة .

ثم دخلت سنة سبع :

ذكر غزوة خيبر

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى منتصف المحرم من هذه السنة إلى خيبر وحصرهم وأخذ الأموال وفتحها حصناً حصناً ، فأول ما فتح : حصن ناعم ثم افتتح حصن القموص ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها سبايا منهن : صفية بنت كبيرهم حُيَيّ بن أخطب فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل عتقها صداقها وهى من خواصه عليه آلصلاة والسلام ، ثم افتتح حصن الُمْصَعب ، وما كان بخيبر حصن أكثر طعاماً ووِدكًا منه ، ثم انتهى إلى الوطيح والسُّلَالم ، وكانا آخر حصون خيبر افتتاحًا . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربما كانت تأخذه الشقيقة ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته ، فأخذ أبو بكر الصديق الراية ، فقاتل قتالاً شديدًا ثم رجع ، فأخذها عمر بن الخطاب فقاتل قتالاً أشد من الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : أما والله لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرّار غير فرار ، يأخذها عنوة ، فتطاول المهاجرون والأنصار . وكان على بن أبى طالب غائبًا ، فجاء وهو أرمد قد عصّب عينيه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله (وسلم) : ادن منى ، فدنا منه فتفل فى عينيه فزال وجعهما ، ثم أعطاه الراية ، فنهض بها وعليه حلة حمراء ، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مَرْحب شاكى السلاح بطل مجرب

فقال على :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره أكيلكم بالسيف كيل السندرة

فاختلفا بضربتين ، فقدت ضربة على المغفر ورأس مرحب وسقط إلى الأرض ، وروى ابن إسحاق خلاف ذلك ، والذى ذكرنا هو الأصح ، وفتحت المدينة على يد على رضى الله عنه وذلك بعد حصار بضع عشرة ليلة . وحكى أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : خرجنا مع على رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر ، فخرج إليه أهل الحصن وقاتلهم على رضى الله عنه ، فضربه رجل من اليهود فطرح ترس على من يده فتناول بابًا كان عند الحصن فترس به ولم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتنى فى سبعة نفر أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه ، وكان فتح خيبر فى صفر سنة سبع للهجرة ، وسأل أهل خيبر رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم على أن يساقيهم على النصف من ثمارهم ويخرجهم متى شاء ففعل ذلك ؛ وفعل مثل ذلك أهل فدك ، فكانت خيبر للمسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنها فتحت بغير إيجاف خيل ، ولم يزل يهود خيبر كذلك إلى خلافة عمر رضى الله عنه فأجلاهم منها .

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٦٧ / ب] من خيبر انصرف إلى وادى القرى فحاصره ليلة وافتتحه عنوة ، ثم سار إلى المدينة ، ولما قدمها وصل إليه من الحبشة بقية المهاجرين ومنهم جعفر بن أبى طالب ، وروى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما أدرى بأيها أبشر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ، وكان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قد كتب إلى النجاشى يطلبهم ويخطب أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكانت [قد] هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فتنصَّر عبيد الله المذكور وأقام بالحبشة فتزوجها النبى صلى الله عليه وآله وسلم من ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكان بالحبشة من جملة المهاجرين ، وأصدقها النجاشى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أربعمائة دينار ، ولما بلغ أباها أبا سفيان أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تزوجها ، قال : ذلك الفحل الذى لا يقرع أنفه ، فقدمت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين فى أن يدخلوا الذين حضروا من الحبشة فى سهامهم من مغنم خيبر ، ففعلوا .

وفى غزوة خيبر ، أهدت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم [زينب] بنت [الحارث] اليهودية شاة مسمومة ، فأخذ منها قطعة ولاكها ثم لفظها ، وقال : تخبرنى هذه الشاة أنها مسمومة ؛ ثم قال فى مرض موته : إن أكلة خيبر لم تزل تعاودنى ، وهذا زمان انقطاع أَبْهُرى .

ذكر رسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

فى هذه السنة - أعنى سنة سبع ، بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم كتبه ورسله إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، فأرسل إلى كسرى برويز بن هرمز عبدالله بن حذافة فمزق كسرى كتاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يكاتبنى بهذا وهو عبدى ، ولما بلغ النبى صلى الله عليه وآله (وسلم) ذلك ، قال : مزق الله ملكه ، ثم بعث كسرى إلى باذان وهو عامله باليمن ، أن ابعث إلى هذا الرجل الذى فى الحجاز ، فبعث باذان إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم اثنين ، أحدهما يقال له خرخسرة كتب معهما يأمر النبى عليه الصلاة والسلام بالمسير إلى كسرى ، فدخلا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد حلقا لحاهما وشواربهما ، فكره النبى النظر إليهما وقال : ويلكما من أمر كما بهذا ؟ قالا : ربنا ، يعنيان كسرى ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لكن ربى أمرنى أن أعف عن لحيتى وأقص شاربى ، فأعلماه بما قدما له

وقالا : إن فعلت كتب فيك باذان إلى كسرى وإن أبيت فهو يهلكك ، فأخر النبى صلى الله عليه وآله (وسلم) الجواب إلى الغد ، وأتى الخبر من السماء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ، فدعاهما رسول صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرهما بذلك وقال لهما : إن دينى وسلطانى سيبلغ ما يبلغ ملك كسرى ، فقولا لباذان أسلم ، فرجعا إلى باذان وأخبراه بذلك ، ثم ورد مكاتبة شيرويه إلى باذان بقتل أبيه كسرى ، وأن لا يتعرض إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فأسلم باذان وأسلم معه ناس من فارس .

وأرسل دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ملك الروم ، فأكرم قيصر دحية ووضع كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذه ، ورد دحية ردًا جميلاً .

وأرسل حاطب بن أبى بلتعة ، وهو بالحاء المهملة إلى صاحب مصر وهو المقوقس جريج بن متى ، فأكرم حاطبًا وأهدى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٦٨ / أ] أربع جوار ، وقيل جاريتين إحداهما مارية وولدت من النبى صلى الله عليه وآله وسلم إبراهيم ابنه ، وأهدى أيضًا بغلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم دُلدُل وحماره يعفور .

وكان قد أرسل إلى النجاشى عمرو بن أمية ، فقبل كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأسلم على يد جعفر بن أبى طالب حين كان عنده فى الهجرة .

وأرسل شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ، فلما قرأ كتاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ها أنا سائر إليه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما بلغه ذلك باد ملكه .

وأرسل [سليط] بن عمرو إلى هوذة بن على ملك اليمامة ، وكان نصرانيا ، فقال هوذة : إن جعل الأمر لى من بعده سرت إليه وأسلمت ونصرته وإلا قصدت حربه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا ولا كرامة ، اللهم اكفنيه فمات بعد قليل ، وكان قد أرسل هوذة رجلاً يقال له الرحال - بالحاء وقيل بالجيم - إلى النبى صلى الله عليه وآله (وسلم) فأسلم وقرأ سورة البقرة وتفقه ورجع إلى اليمامة وارتد وشهد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أشرك معه مسيلمة الكذاب فى النبوة .

وأرسل العلاء بن الحضرمى إلى ملك البحرين وهو المنذر بن ساوى فأسلم وهو من قبل الفرس ، وأسلم جميع العرب بالبحرين .

ذكر عمرة القضاء

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذى القعدة من سنة سبع معتمرًا عمرة القضاء وساق معه سبعين بُدنة ، ولما قرب من مكة خرجت له قريش عنها ، وتحدثوا أن النبى

صلى الله عليه وآله وسلم فى عسر وجهد ، فاصطفوا له عند دار الندوة ، فلما دخل المسجد اصطنع بأن جعل وسط ردائه تحت عضده الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر ، ثم قال : رحم الله امرأ أراهم اليوم قوة ، ورمل فى أربعة أشواط من الطواف ثم خرج إلى الصفا والمروة ، فسعى بينهما ، وتزوج فى سفره هذا ميمونة بنت الحارث ، زوجه إياها عمه العباس ، وذكر أنه تزوجها محرمًا وهى من خواصه . ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة وهو بالمدينة .

سنة ثمان من الهجرة :

ذكر إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص

وفى سنة ثمان قدم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص السهمى وعثمان بن طلحة بن عبدالدار ، فأسلموا .

ذكر غزوة مؤتة(*)

ثم كانت غزوة مؤتة وهى أول الغزوات بين المسلمين والروم ، وكانت فى جمادى الأولى سنة ثمان ، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة آلاف وأمر عليهم مولاه زيد بن حارثة ، وقال : إن قتل فأمير الناس جعفر بن أبى طالب ، فإن قتل فأميرهم عبدالله بن رواحة ؛ ووصلوا إلى مؤته من أرض الشام وهى قبل الكَرَكِ ، فاجتمعت عليهم الروم والعرب المتنصرة فى نحو مائة ألف ، والتقوا بمؤتة وكانت الراية مع زيد فقتل ، فأخذها جعفر فقتل ، فأخذها عبدالله بن رواحة فقتل ، واتفق العسكر على خالد بن الوليد ، فأخذ الراية ورجع بالناس ، وقدم المدينة ؛ وكان سبب هذه الغزاة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث الحارث بن عمير رسولاً إلى ملك بُصرى بكتاب كما بعث إلى سائر الملوك ، فلما نزل مؤته عَرَض له عمرو بن شرحبيل [الغسانى] فقتله ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول غيره .

ذكر نقض الصلح وفتح [ق ٦٨ / ب] مكة

كان السبب فى نقض الصلح أن بنى بكر(١) كانوا فى عقد قريش وعهدهم ، وخزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهده . وفى هذه السنة أعنى سنة ثمان لقيت بنو بكر

(*) العنوان من عندنا .

(١) بنو بكر من أولاد عبد مناف بن كنانة ، وكانوا من أحلاف قريش .

خزاعة ، فقتلوا منهم ، وأعانهم على ذلك جماعة من قريش ، فانتقض بذلك عهد قريش ، وندمت قريش على نقض العهد ، فقدم أبو سفيان بن حرب إلى المدينة لتجديد العهد ، ودخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فطوته عنه فقال : يا بنية أرغبت به عنى ، فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت مشرك نجس فقال : لقد أصابك بعدى شر ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فكلمه ، فلم يرد شيئًا ، وأتى كبار الصحابة مثل أبى بكر الصديق وعلى رضى الله عنهما وتحدث معهما ، فما أجاباه إلى ذلك ، فعاد إلى مكة ، فأخبر قريشًا بما جرى . وتجهز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقصد أن يبغت قريشًا بمكة من قبل أن يعلموا به ، فكتب حاطب بن أبى بلتعة كتابًا إلى قريش مع سارة مولاة بنى هاشم يعلمهم بقصد النبى صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، وأرسل على ابن أبى طالب والزبير بن العوام ، فأدركا سارة وأخذا منها الكتاب ، وأحضر النبى صلى الله عليه وسلم حاطبًا وقال : ما حملك على هذا ، فقال : والله إنى مؤمن ما بدلت ولا غيرت ولكن لى بين أظهرهم أهل وولد وليس لِي عشيرة فصانعتهم ، فقال عمر بن الخطاب : دعنى أضرب عنقه فإنه منافق ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لعل الله [قد] اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله (وسلم) من المدينة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومعه المهاجرون الأنصار وطائف من العرب ، فكان جيشه عشرة آلاف حتى قارب مكة ، فركب العباس بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لعلى أجد حطابًا أو رجلًا يعلم قريشًا بخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيأتونه ويستأمنوه وإلا هلكوا عن آخرهم، قال : فلما خرجت سمعت صوت أبى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعى قد خرجوا يتجسسون ، فقال العباس : أبا حنظلة يعنى أبا سفيان ، فقال أبا الفضل ، قلت : نعم ، قال : لبيك فداك أبى وأمى ، ماراءك ، فقلت : قد أتاكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عشرة آلاف من المسلمين ، فقال أبو سفيان : ما تأمرنى به ، قلت : تركب لأستأمن لك رسول الله وإلا يضرب عنقك ، فردفنى وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجاءت طريقى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال عمر : أبا سفيان : الحمد لله الذى أمكننى منك بغير عقد ولا عهد ، ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأدركته ، فقال : يا رسول الله دعنى أضرب عنقه ، وسأل العباس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : قد أمنته وأحضره يا عباس بالغداة فرجع به العباس إلى منزله وأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالغداة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا سفيان أما آن أن تعلم أن لا إله

إلا الله ، قال : بلى ، قال : ويحك ، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول صلى الله عليه وآله وسلم [ق٦٩/أ] فقال: بأبى أنت وأمى، أما هذه ففى النفس منها شىء، فقال له العباس: ويحك تشهد قبل أن تضرب عنقك ، فتشهّد ، وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم للعباس : اذهب بأبى سفيان إلى مضيق الوادى ليشاهد جنود الله ، فقال العباس : يا رسول الله ، إنه يحب الفخر فاجعل له شيئًا يكون فى قومه ، فقال : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام[1] فهو آمن ، قال : فخرجت به كما أمرنى رسول الله صلى عليه وآله وسلم ، فمرت عليه القبائل وهو يسأل عن قبيلة قبيلة وأنا أعلمه حتى مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار لا يبين منهم إلا الحدق ، فقال : من هؤلاء فقلت : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المهاجرين والأنصار ، فقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكًا عظيمًا ، قال فقلت : ويحك إنها النبوة فقال : نعم .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزبير بن العوام أن يدخل ببعض الناس من كُداء ، وأمر سعد بن عبادة سيد الخزرج أن يدخل ببعض الناس من ثنية كُدًا ، ثم أمر عليًا أن يأخذ الراية منه ، فيدخل بها لما بلغه من قول سعد :

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمه

وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة فى بعض الناس ، وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال ، إلا أن خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش فرموه بالنبل ومنعوه من الدخول ، فقاتلهم خالد ، فقتل من المشركين ثمانية وعشرين رجلاً فلما ظهر النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك ، قال : ألَمْ أنْه عن القتال ؟ فقالوا له إن خالدًا قوتل فقاتل ، وقتل من المسلمين رجلان .

وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وملكها صلحًا ، وإلى ذلك ذهب الشافعى رضى الله عنه ، وقال أبو حنيفة إنها فتحت عنوة ؛ ولما أمكن الله رسوله من رقاب قريش عنوة قال لهم : ما ترونى فاعلا بكم ، قالوا له : خيرًا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء . ولما اطمأن الناس خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطواف ، فطاف بالبيت سبعًا على راحلته واستلم الركن بمحجن كان فى يده ، ودخل الكعبة ورأى فيها الشخوص على صورة الملائكة وصورة إبراهيم وفى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم

---

(١) ينفرد أبو الفدا بهذه الإشارة هنا إلى حكيم بن حزام وداره ، دون سائر المراجع .

والأزلام، ثم أمر بتلك الصورة فطمست، فصلى فى البيت ؛ وأهدر دم ستة رجال وأربع نسوة، أحدهم : عكرمة بن أبى جهل ، ثم استأمنت له زوجته أم حكيم فأمنه، فقدم عِكرمة وأسلم؛ وثانيهم : هبار بن الأسود ؛ وثالثهم : عبدالله بن سعد بن أبى سرح وكان أخا عثمان[بن عفان] من الرضاعة ، فأتى عثمان به النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسأله فيه فصمت النبى صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً ثم أمنه فأسلم ، وقال لأصحابه : إنما صَمَتُّ ليقوم أحدكم فيقتله ، فقالوا ، هلا أَوْمَأْتَ إلينا ، فقال إن الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين ، وكان عبدالله المذكور قد أسلم قبل الفتح وكتب الوحى فكان يبدل القرآن ثم ارتد وعاش إلى خلافة [ق٦٩/ب] عثمان رضى الله عنه وولاه مصر، ورابعهم: مقيس بن صبابة لقتله الأنصارى الذى قتل أخاه خطأ وارتد ؛ وخامسهم : عبدالله بن هلال ، كان قد أسلم ثم قتل مسلماً وارتد ؛ وسادسهم : الحويرث بن نفيل ، كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويهجوه ، فلقيه على بن أبى طالب فقتله . وأما النساء ، فإحداهن : هند زوج أبى سفيان أم معاوية التى أكلت من كبد حمزة ، فتنكرت مع نساء قريش وبايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما عرفها قالت : أنا هند فاعف عنى ما سلف ، فعفا ، ولما جاء وقت الظهر يوم الفتح أذن بلال على ظهر الكعبة ، فقالت جويرية بنت أبى جهل : لقد أكرم الله أبى حين لم يسهد نهيق بلال فوق الكعبة ، وقال الحارث بن هشام : ليتنى مت قبل هذا ، وقال خالد بن أسيد : لقد أكرم الله أبى فلم ير هذا اليوم ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكر لهم ما قالوه ، فقال الحارث بن هشام : أشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد فنقول أخبرك ، ومن النساء المهدرات الدم : سارة مولاة بنى هاشم التى حملت كتاب حاطب .

ذكر غزوة خالد بن الوليد على بنى خزيمة

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة ، بعث السرايا حول مكة إلى الناس يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمرهم بقتال ، وكان بنو خزيمة قد قتلوا فى الجاهلية عوفاً أبا عبدالرحمن بن عوف وعم خالد بن الوليد ، كانا أقبلا من اليمن وأخذوا ما كان معهما ؛ وكان من السرايا التى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس ليدعوهم إلى الإسلام سرية مع خالد بن الوليد ، فنزل على ماء لبنى خزيمة المذكورين ، فلما نزل عليه أقبلت بنو خزيمة بالسلاح فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فوضعوه وأمر بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل ؛ فلما بلغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما فعله خالد رفع يديه إلى السماء حتى بان بياض إبطيه وقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد ، ثم

أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب بمال وأمره أن يؤدى لهم الدماء والأموال ففعل على ذلك ، ثم سألهم هل بقى لكم مال أو دم فقالوا : لا ، وكان قد فضل مع على بن أبى طالب رضى الله عنه قليل مال ، فدفعه إليهم زيادة تطييبًا لقلوبهم ، وأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فأعجبه وأنكر عبدالرحمن بن عوف على خالد فعله ذلك ، فقال خالد : ثأرت أباك ، فقال عبدالرحمن : بل ثأرت عمك الفاكه ، وفعلت فعل الجاهلية فى الإسلام ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصامهما ، فقال : يا خالد دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أحدٌ ذهبًا ثم أنفقته فى سبيل الله تعالى ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته .

ذكر غزوة حنين

وكانت فى شوال سنة ثمان ، وحنين واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب ، لما فتحت مكة تجمعت هوازن بحريمهم وأموالهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومُقَدَّمُهُمْ مالك بن عوف النضرى ، وانضمت إليهم ثقيف وهم أهل الطائف ، وبنو سعد بن بكروهم الذين كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرتضعًا عندهم ، وحضر مع بنى جُشم : دريد بن الصِّمَّة وهو شيخ كبير قد جاوز المائة وليس يراد منه غير التيمن برأيه ، وقال رجزًا : [ق ٧٠ / أ]

يا ليتنى فيها جذع أَخُبُّ فيها وأضع

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باجتماعهم خرج من مكةلست خلون من شوال سنة ثمان ، وكان يقصر الصلاة بمكة من يوم الفتح إلى حين خرج للقاء هوازن ، وخرج معه اثنا عشر ألفًا ، ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف كانت معه ، وكان صفوان بن أمية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو كافر لم يسلم ، سأل أن يمهل بالإسلام شهرين وأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك ، واستعار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه مائة درع فى هذه الغزوة ، وحضرها أيضًا جماعة كثيرة من المشركين وهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فانتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حنين والمشركون بأوطاس ، فقال دريد بن الصمة بأى واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال نِعم مجال الخيل لا حَزَنٌ ضَرِسْ ولاَ سَهْلٌ دَهِسْ ، وركب النبى صلى الله عليه وآله وسلم بغلته الدُّلْدُل ، وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة جيش النبى صلى الله عليه وآله وسلم لن يغلب هؤلاء من قلة ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا ﴾[1] (ولما التقوا

(١) التوبة : من الآية ٢٥ .

انكشف المسلمون لا يلوى أحد على أحد ، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات اليمين فى نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، ولما انهزم المسلمون أظهر أهل مكة ما فى نفوسهم من الحقد ، فقال أبو سفيان : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وكانت الأزلام معه فى كنانته ، وصرخ كَلَدَةُ : الآن بطل السحر ، وكَلَدَةُ أخو صفوان بن أمية لأمه ، وكان صفوان حينئذ مشركًا ، فقال [له] صفوان : اسكت فَضَّ الله تعالى فاك ، قال : والله لئن يَرُبُّنى رجل من قريش أحب إلىّ [من] أن يَرُبُّنى رجل من هوازن ، واستمر رسول الله صلى الله وآله وسلم ثابتًا وتراجع المسلمون واقتتلوا قتالا شديدًا ، وقال النبى لبغلته الدلدل : البدى البدى ، فوضعت بطنها على الأرض وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفنة تراب فرمى بها فى وجه المشركين فكانت الهزيمة ، ونصر الله تعالى المسلمين واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم ، وكان فى السبى الشيماء بنت الحارث وأمها حليمة السعدية ، وكانت أخت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاع ، فعرفته بذلك وأرته العلامة وهى عضة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ظهرها ، فعرفها وبسط لها رداءه وزودها وردها إلى قومها حسبما سألت .

ذكر حصار الطائف

ولما انهزمت ثقيف من حنين إلى الطائف سار النبى صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ، فأغلقوا باب مدينتهم وحاصرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم نيفًا وعشرين يومًا وقاتلهم بالمنجنيق ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فقطعت ، ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرحيل فرحل عنهم حتى نزل الجِعِرَّانة وكان قد ترك بها غنائم هوازن ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض هوازن [ودخلوا عليه][٢]، فرد عليهم نصيبه ونصيب بنى [عبد] المطلب ورد [على] الناس أبناءهم ونساءهم ثم لحق مالك بن عوف مقدم هوازن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٧٠ / ب] وحسن إسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل ، وكان عدة السبى الذى أطلقه ستة آلاف رأس [ثم] قسم الأموال ، وكانت عدة الإبل أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، وأعطى المؤلفة قلوبهم مثل أبى سفيان وابنيه يزيد ومعاوية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام أخى أبى جهل وصفوان بن أمية ، وهؤلاء من قريش ؛ وأعطى الأقرع بن حابس [التميمى][٦] وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الذبيانى ومالك بن عوف مقدم هوازن وأمثالهم ، فأعطى لكل واحد من الأشراف مائة من الإبل وأعطى الآخرين أربعين

أربعين وأعطى للعباس بن مرداس السلمى أباعر لم يرضها ، وقال فى ذلك من أبيات :

فأصبح نهبى ونهب العبيـ ـد بَيْنَ عُيَيْنة والاقرع
وما كانِ حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنتُ دون امرئ منهما ومن يضع اليوم لا يرفع

فروى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : اقطعوا عنى لسانه ، فأعطِى حتى رضى ؛ ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [الغنائم] لم يعط الأنصار شيئًا ، فوجِدُوا فى نفوسهم ، فدعاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال [لهم] : أوَجِدتُمْ يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا ألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالبعير والشاة وترجعون برسول الله إلى رحالكم ، أما والذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبًا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنيمة هوازن وأعطى عيينة بن حصن وأبا سفيان بن حرب وغيرهما ماذكرناه، قال ذو الخويصرة من بنى تميم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لم أرك عدلت ، فغضب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ، فقال عمر يا رسول الله ألا أقتله ؟ قال : لا دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، وهذه الرواية عن محمد بن إسحاق ، وروى غيره أن ذا الخويصرة قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وقت قَسْم الغنيمة المذكورة لم تعدل ، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لايجاوز إيمانهم تراقيهم ، وكان كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه خرج من ذى الخويصرة المذكور حُرْقوص بن زهير البَجَلى المعروف بذى الثدية وهو أول من بويع من الخوارج بالإمامة وأول مارق من الدين ، وذو الخويصرة تسمية سماه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاد إلى المدينة واستخلف على مكة عتاب ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة ، وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس ، وحج بالناس فى [ق ٧١ / أ] هذه السنة عتاب على ما كانت العرب تحج .

وفى ذى الحجة سنة ثمان ولد إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مارية القبطية .

وفيها : أعنى سنة ثمان مات حاتم الطائى وهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج من ولد طيئ بن أدد ، وكان حاتم يكنى أباسفانة وهو اسم ابنته كنى بها ، وسفانة المذكورة أتت

النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد بعثته وشكت إليه حالها ، وحاتم المذكور كان يضرب بجوده وكرمه المثل ، وكان من الشعراء المجيدين .

ثم دخلت سنة تسع : والنبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ، وترادفت عليه وفود العرب ، فممن ورد عليه عروة بن مسعود الثقفى وكان سيد ثقيف وكان غائبًا عن الطائف لما حاصرها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأسلم وحسن إسلامه وقال يا رسول الله : أمضى إلى قومى بالطائف فأدعوهم ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إنهم قاتلوك ، فاختار المضى ، فمضى إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام فرماه أحدهم بسهم فوقع فى أكْحَلِه[1] ومات رحمه الله تعالى . ووفد كعب بن زهير بن أبى سلمى بعد أن كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أهدر دمه ومدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقصيدته المشهورة وهى :

* بانت سعاد فقلبى اليوم متبول *

وأعطاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بردته ، فاشتراها معاوية فى خلافته من أهل كعب بأربعين ألف درهم ، ثم توارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون حتى أخذها التتر .

ذكر غزوة تبوك

وفى رجب [من] هذه السنة ، أعنى سنة تسع ، أمر النبى صلَّى الله عليه وآله وسلم بالتجهز لغزو الروم وأعلم الناس مقصدهم لبعد الطريق وقوة العدو ، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة وَرَّى بغيرها ، وكان الحر شديدًا والبلاد مجدبة والناس فى عُسْرَة ولذلك سمى ذلك الجيش جيش العسرة ، وكانت الثمار قد طابت ، فأحب الناس المقام فى ثمارهم ، فتجهزوا على كره ، وأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بالنفقة ، فأنفق أبو بكر جميع ماله ، وأنفق عثمان نفقة عظيمة ، قيل كانت ثلثمائة بعير طعامًا وألف دينار ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لا يَضُرُّ عثمان ما صنع بعد اليوم . وتخلف عبدالله بن أبىّ المنافق ومن تبعه من أهل النفاق ، وتخلف ثلاثة من عين الأنصار وهم : كعب بن مالك ومُرَارَة ابن الربيع وهلال بن أمية ، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أهله على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا ما خلفه إلا استثقالاً له ، فلما سمع ذلك على أخذ سلاحه ولحق بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخبره بما قال المنافقون ، فقال

---

(١) الأكْحَل : عرقٌ فى اليد يُفْصَدُ ، ويقال له النَّسَانى الفَخِذ ، وفى الظَّهْرِ الأبْهَرُ ، وقيل : الأكحل عرقُ الحياة ، يدعى نهر البَدَن ، وفى كل عُضْو منه شعبةٌ لها اسم على حِدَةٍ ، فإذا اقطع فى اليد لم يَرْقَأ الدَّمُ انظر لسان العرب مادة كحل ج ٥ ط دار المعارف .

له النبى صلى الله عليه وآله (وسلم) كذبوا ، وإنما خلفتك لما ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى ، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى .

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون ألفًا ، فكانت الخيل عشرة آلاف فرس ولقوا فى الطريق شدة عظيمة من العطش والحر ، ولما وصلوا [ق ٧١ / ب] إلى الحجر ، وهى أرض ثمود ، نهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ورود ذلك الماء وأمرهم أن يهريقوا ما استقوه من مائه وأن يطعموا العجين الذى عجن بذلك الماء الإبل . ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك وأقام بها عشرين ليلة ، وقدم عليه بها يوحنا صاحب أيلة فصالحه على الجزية ، فبلغت جزيتهم ثلثمائة دينار ، وصالح أهل أَذْرُح على مائة دينار فى كل رجب ، وأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانيًا من كندة ، فأخذه خالد وقتل أخاه وأخذ منه خالد قباء ديباج مخوصًا بالذهب ، فأرسله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعل المسلمون يتعجبون منه ، وقدم خالد بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، فاعتذر إليه الثلاثة الذين تخلفوا عنه ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كلامهم وأمر باعتزالهم ، فاعتزلهم الناس ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وبقوا كذلك خمسين ليلة ثم أنزل الله تعالى توبتهم ، فقال تعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾[1].

وكان قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فى رمضان ، ولما دخلها قدم عليه وفد الطائف من ثقيف ثم إنهم أسلموا ، وكان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدع لهم اللات التى كانوا يعبدونها لا يهدمها إلى ثلاث سنين ، فأبى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، فنزلوا إلى شهر واحد ، فلم يجبهم وسألوه أن يعفيهم من الصلاة ، فقال لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فأجابوا وأسلموا وأرسل معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب ليهدما اللات فتقدم المغيرة فهدمها ، وخرج نساء ثقيف حُسَّرًا يبكين عليها .

ذكر حج أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالناس

وبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر الصديق فى سنة تسع ليحج بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ثلثمائة رجل ، فلما كان بذى الحليفة

---

(١) التوبة : الآية ١١٨ .

أرسل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أثره على بن أبى طالب رضى الله عنه وأمره بقراءة آيات من أول سورة براءة على الناس ، وينادى أن لا يطوف بالبيت بعد السنة عريان ، ولا يحج مشرك ، فعاد أبو بكر وقال يا رسول الله أنزل فى شىء ؟ قال : لا ، ولكن لا يبلغ عنى إلا أنا أو رجل منى ، ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار وصاحبى على الحوض ، قال : بلى ، فسار أبو بكر رضى الله عنه أميرًا على الموسم وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يؤذن ببراءة يوم الأضحى ، وأن لا يحج مشرك ولا يطوف عريان .

من الإشراف للمسعودى : وفى ذى القعدة سنة تسع كانت وفاة عبدالله بن أبى بن سلول المنافق .

ثم **دخلت سنة عشر** : ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ، وجاءته وفود العرب قاطبة ، ودخل الناس فى الدين أفواجًا كما قال الله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾[1] وأسلم أهل اليمن وملوك حمير [ق ٧٢ / أ] .

ذكر إرسال على بن أبى طالب إلى اليمن

روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث عليًا كرم الله وجهه إلى اليمن ، فسار إليها ، وقرأكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أهل اليمن ، فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام وكتب بذلك إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فسجد شكرًا لله تعالى ، ثم أمر عليًا بأخذ صدقات نجران وجزيتهم ففعل وعاد فلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فى حجة الوداع .

ذكر حجة الوداع

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاجًا لخمس بقين من ذى القعدة ، وقد اختلف فى حجه ، هل كان قرانا أم تمتعا أم إفرادًا ، والأظهرُ الذى اشتهر أنه كان قارنًا ، وحج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقى على بن أبى طالب محرمًا ، فقال : حل كما حل أصحابك ، فقال : إنى أهللت بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فبقى على إحرامه ونحر

---

(١) النصر : الآية ١ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهدى عنه ، وعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس مناسك الحج والسنن ، ونزل قوله تعالى : ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلاتخشوهم واخشونى ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾[١] فبكى أبو بكر رضى الله عنه لما سمعها وكأنه استشعر أنه بعد ما الكمال إلا النقصان ، وأنه قد نعيت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ، وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس خطبة بين فيها الأحكام ، منها : يا أيها الناس إنما النسىء زيادة فى الكفر ، فإن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اتنا عشر شهرًا ، وتمت حجته وسميت حجة الوداع لأنه لم يحج بعدها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، وأقام بها حتى خرجت السنة .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة :

ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع أقام بالمدينة حتى خرجت سنة عشر والمحرم من سنة إحدى عشرة ومعظم صفر ، وابتدأ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرضه فى أواخر صفر ، قيل لليلتين بقيتا منه وهو فى بيت زينب بنت جحش ، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه وهو فى بيت ميمونة بنت الحارث ، فجمع نساءه واستأذنهن فى أن يمرض فى بيت إحداهن ، فأذنّ له أن يمرض فى بيت عائشة ، فانتقل إليها ، وكان قد جهز جيشا مع مولاه أسامةبن زيد وأكد فى مسيره فى مرضه . وروى عن عائشة رضى الله عنها [أنها] قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبى صداع وأنا أقول وارأساه ، فقال : بل أنا والله [يا عائشة] أقول وارأساه ، ثم قال ما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ، قالت : فقلت كأنى بك والله لو فعلت ذلك ورجعت إلى بيتى [و] تعزيت ببعض نسائك ، فتبسم صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى أثناء مرضه وهو فى بيت عائشة ، خرج بين الفضل بن العباس وبين على بن أبى طالب حتى جلس على المنبر ، فحمد الله ثم قال : أيها الناس [ق ٧٢ / ب] من كنت جلدت له ظهرًا ، فهذا ظهرى فَلْيَسْتقدمنى ، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضى فليستقدمنه ، ومن أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه ولا يخشى التشحناء من قبلى ، فإنها ليست من شأنى ، ثم

---

(١) المائدة : من الآية ٣ .

نزل وصلى الظهر ثم رجع إلى المنبر فعاد إلى مقالته ، فادعى عليه رجل ثلاثة دراهم فأعطاه عوضها ، ثم قال : ألا إن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال : إن عبدًا خيره [الله] بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عنده ، فبكى أبو بكر ثم قال فديناك بأنفسنا ، ثم أوصى بالأنصار .

ولما اشتد به وجعه ، قال : ائتونى بدواة وبيضاء فأكتب لكم كتابًا لا تضلون بعدى أبدًا ، فتنازعوا ، فقال : قوموا عنى لا ينبغى عند نبى تنازع ، فقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُهَجِّرُ ، فذهبوا يعيدون عليه ، فقال دعونى ، فما أنا فيه خير مما تدعونى إليه . وكان فى أيام مرضه يصلى بالناس ، وإنما انقطع ثلاثة أيام ، فلما أذن بالصلاة أول ما انقطع ، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، وتزايد به مرضه حتى توفى يوم الاثنين ضحوة النهار وقيل نصف النهار .

قالت عائشة رضى الله عنها : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ، ثم يقول : اللهم أعنى على سكرات الموت ، قالت : وثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه وإذا بصره قد شخص وهو يقول : بل الرفيق الأعلى ، فلما قبض وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهى مع النساء ، وكانت وفاته صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين لا ثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، فعلى هذه الرواية يكون يوم وفاته موافقًا ليوم مولده .

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتد أكثر العرب إلا أهل المدينة ومكة والطائف ، فإنه لم يدخلها ردة ، وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مكة : عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، فاستخفى عتاب خوفًا على نفسه ، فارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون ، فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بقريش وغيرهم فاجتمعوا إليه ، فقال : يا أهل مكة كنتم آخر من أسلم ، فلا تكونوا أول من ارتد ، والله لَيتمن الله هذا الأمر ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فامتنع أهل مكة من الردة .

وحكى القاضى شهاب الدين [بن أبى الدم][١] فى تاريخه ، قال : فاقتحم جماعة [على النبى][٢] صلى الله عليه وآله وسلم ينظرون إليه [قالوا][٣] كيف يموت وهو شهيد [علينا][٤] ، لا والله ما مات بل رفع [كما رفع][٥] عيسى ، ونادوا على الباب [لاتدفنوه][٦]، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله (وسلم)[٧] لم يمت ، وخرج عمه العباس وقال :

---

(١) زيادة من المطبوع .
(٢) بياض فى الأصل والتكملة من المطبوع .
(٣) بياض فى الأصل والتكملة من المطبوع .
(٤) بياض فى الأصل والتكملة من المطبوع .
(٥) بياض فى الأصل والتكملة من المطبوع
(٦) بياض فى الأصل والتكملة من المطبوع .
(٧) زيادة من عندنا .

والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموت . وقيل دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الثلاثاء ثانى يوم موته ، وقيل ليلة الأربعاء وهو الأصح ، وقيل بقى ثلاثًا لم يدفن ، وكان الذى تولى غسله على بن أبى طالب والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأسامة بن زيد وشَقَران مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رضى الله عنهم ، فكان العباس وابناه يقلبونه . وأسامة بن زيد وشقران يصبان الماء ، وعلى يغسله وعليه قميصه وهو يقول : بأبى أنت وأمى طبت حيًا وميتا [ق ٧٣ / أ] ولم ير منه ما يرى من ميت ، وكفن صلى الله عليه وآله وسلم فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صحاريين وبرد حبرة درج فيها أدراجًا [وصلوا عليه][1]ودفن تحت فراشه الذى مات عليه ، وحفر له أبو طلحة الأنصارى ، ونزل فى قبره على بن أبى طالب والفضل وقثم ابنا العباس .

واختلف فى مدة عمره ، فالمشهور أنه ثلاث وستون سنة ، وقيل خمس وستون [سنة] والمختار أنه بعث لأربعين سنة وأقام بمكة يدعو إلى الإسلام ثلاث عشرة سنة وكسرًا وأقام بالمدينة بعد الهجرة قريب عشر سنين فذلك ثلاث وستون سنة وكسور وقد مضى ذكره وتحقيقه عند ذكر الهجرة .

ذكر صفته

وصفه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس ، كث اللحية ، شثن الكفين [والقدمين][2]، ضخم الكراديس ، مشربًا وجهه حمرة ، وقيل : كان أدعج العينين ، سبط الشعر ، سهل الخدين كأن عنقه إبريق فضة ، وقال أنس : لم يشنه الله بالشيب ، كان فى مقدم لحيته عشرون شعرة بيضاء ، وفى مفرق رأسه شعرات بيض ، وروى أنه كان يخضب بالحناء والكَتْم ، وكان بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو بضعة ناشزة حولها شعر مثل بيضة الحمامة تشبه جسده وقيل كان لونه أحمر . قال القاضى شهاب الدين بن أبى الدم فى تاريخه المظفرى ، وكان أبو رثمة طبيبًا فى الجاهلية ، فقال يا رسول الله إنى أداوى فدعنى أطب ما بكتفك ، فقال يداويها الذى خلقها .

ذكر خلقه

كان صلى الله عليه وآله وسلم أرجح الناس عقلًا وأفضلهم رأيًا يكثر الذكر ويقل اللغو دائم البشر . مطيل الصمت ، لين الجانب ، سهل الخلق ، وكان عنده القريب والبعيد والقوى

---

(١) التكملة من المطبوع . (٢) تكملة من المطبوع .

والضعيف فى الحق سواء ، وكان يحب المساكين ولا يحقر فقيرًا لفقره ولايهاب ملكًا لملكه ، وكان يؤلف قلوب أهل الشرف ، وكان يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ويصابر من جالسه ولايحيد عنه حتى يكون الرجل هو المنصرف ، وما صافحه أحد فيترك يده حتى يكون ذلك الرجل هو الذى يترك يده ، وكذلك من قاومه لحاجة يقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه حتى يكون الرجل هو المنصرف ، وكان يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، وكان يحلب العنز ويجلس على الأرض ، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويلبس المخصوف والمرقوع ، عن أبى هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، وكان يأتى على آل محمد الشهر والشهران ، لايوقد فى بيت من بيوته نار ، وكان قوتهم التمر والماء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعصب على بطنه الحجر من الجوع .

ذكر أولاده

وكل أولاده صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية ، وولد إبراهيم فى سنة ثمان من الهجرة فى ذى الحجة وتوفى سنة عشر .

من الإشراف للمسعودى : قال عاش إبراهيم سنة وعشرة أشهر ، وأولاده الذكور من خديجة : القاسم وبه كان يكنى ، والطيب والطاهر وعبدالله ماتوا صغارًا ؛ والإناث أربع : فاطمة زوج على رضى الله عنها ، وزينب زوج أبى العاص وفرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما بالإسلام ، ثم ردها إلى أبى العاص بالنكاح الأول لما أسلم ، ورقية وأم كلثوم تزوج بهما عثمان واحدة بعد أخرى .

ذكر زوجاته

وتزوج صلى الله عليه وآله وسلم [ق ٧٣ / ب] خمس عشرة امرأة ، دخل بثلاث عشرة وجمع بين إحدى عشرة : وقيل إنه دخل بإحدى عشرة ولم يدخل بأربع وتوفى عن تسع غير مارية القبطية سريته ، والتسع هن : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وسودة بنت زمعة ، وزينب بنت جحش ، وميمونة وصفية وجويرية وأم حبيبة وأم سلمة رضى الله عنهن .

[ذكر كتابه][*]

وكان يكتب له عثمان [بن عفان] أحيانا ، وعلى بن أبي طالب ، وكتب [له خالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمى ، وأول من كتب له أبي بن كعب ، وكتب له زيد بن ثابت ، وكتب له عبدالله بن سعد بن أبي سرح وارتد ثم أسلم يوم الفتح ، وكتب له بعد الفتح : معاوية بن أبي سفيان .

[ذكر سلاحه][*]

وكان لرسول الله صلى الله عليه [وآله وسلم] من السلاح سيفه المسمى ذا الفقار غنمه يرم بدر ، وكان لمنبه [بن] الحجاج السهمى وقيل لغيره ، وسمى ذا الفقار لحفر فيه ، وغنم من بنى قينقاع ثلاثة أسياف ، وقدم معه إلى المدينة لما هاجر سيفان شَهِدَ بأحدهما بدرًا . وكان له أرماح [ثلاثة] وثلاثة قسى ، ودرعان غنمهما من بنى قينقاع ، وكان له ترس فيه تمثال فأصبح وقد أذهبه الله تعالى .

ذكر عدد غزواته وسراياه صلى الله عليه وسلم

قيل كانت غزواته تسع عشرة ، وقيل ستًا وعشرين ، وقيل سبعًا وعشرين غزوة ، وآخر غزواته غزوة تبوك ، ووقع القتال منها فى تسع ، وهى بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف ، وبأقى الغزوات لم يجر فيها قتال ، وأما السرايا والبعوث ، فقيل خمس وثلاثون وقيل ثمان وأربعون .

ذكر أصحابه صلى الله عليه وسلم

قد اختلف الناس فيمن يستحق أن يطلق عليه صحابى ، فكان سعيد بن المسيب لا يعد الصحابى إلا من أقام مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم سنة وأكثر وغزا معه ، وقال بعضهم :

(*) العنوان من عندنا .

كل من أدرك الحلم وأسلم ورأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو صحابى ولو أنه صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة واحدة . وقال بعضهم : لا يكون صحابيًا إلا من تخصص به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتخصص هو بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بسريرته ويلازم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى السفر والحضر . والأكثر على أن الصحابى هو كل من أسلم ورأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه ولو أقل زمان . وأما عددهم على هذا القول الأخير ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سار فى عام فتح مكة فى عشرة آلاف مسلم ، وسار إلى حنين فى اثنى عشر ألفا وسار إلى حجة الوداع فى أربعين ألفًا ، وأنهم كانوا عند وفاته صلى الله عليه وآله وسلم مائة ألف وأربعة وعشرين ألفًا .

وأما مراتبهم ، فالمهاجرون أفضل من الأنصار على الإجمال ، وأما على التفصيل فَسُبَّاقُ الأنصار أفضل من متأخرى المهاجرين ، وقد رتب أهل التواريخ الصحابة على طبقات :

فالطبقة الأولى : أول الناس إسلامًا كخديجة وعلى وزيد وأبى بكر الصديق رضى الله عنهم ومن تلاهم ولم يتأخر إلى دار الندوة .

الطبقة الثانية : أصحاب دار الندوة وفيها أسلم عمر رضى الله عنه .

الطبقة الثالثة : المهاجرون إلى الحبشة .

(الطبقة) الرابعة : أصحاب العقبة الأولى وهم سُبَّاقُ الأنصار .

(الطبقة) الخامسة : أهل العقبة الثانية .

(الطبقة) السادسة : أهل العقبة الثالثة ، وكانوا سبعين .

(الطبقة) السابعة : المهاجرون الذين وصلوا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته وهو بقباء قبل بناء مسجده .

(الطبقة) الثامنة : أهل بدر الكبرى .

(الطبقة) التاسعة : الذين هاجروا بين بدر والحديبية .

(الطبقة) العاشرة : أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا [ق ٧٤ / أ] بالحديبية تحت الشجرة .

(الطبقة) الحادية عشرة : الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح .

(الطبقة) الثانية عشرة : الذين أسلموا يوم الفتح .

(الطبقة) الثالثة عشرة : صبيان أدركوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم ورأوه .

ومن الصحابة : أهل الصفة ، وكانوا أناسًا فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ينامون على عهد

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المسجد ، ويظلون فيه ، وكانت صفة المسجد مثواهم ، فنسبوا إليها ، وكان إذا تعشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو طائفة منهم يتعشون معه ويفرق طائفة منهم على الصحابة ليعشوهم ، وكان من مشاهيرهم : أبو هريرة ووائلة بن الأسقع وأبو ذر رضى الله عنهم .

ذكر خبر الأسود العَنْسى

[و] فى مدة مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل الأسود العَنْسى واسمه عبهلة ابن كعب ، ويقال له ذو الخمار ، لأنه كان يقول : يأتينى ذو خمار ، وكان الأسود المذكور يشعبذ ويُرى الجهال الأعاجيب ويُسْبِى بمنطقه قلب من يسمعه ، وهو ممن ارتد وتنبئ من الكذابين ، وكاتبه أهل نجران ، وكان هناك من المسلمين عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص ، فأخرجها أهل نجران وسلموها إلى الأسود ، ثم سار الأسود من نجران إلى صنعاء فملكها وصفا له [ملك] اليمن واستفحل أمره ، وكان خليفته فى مذحج عمرو بن معدى كرب ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بعث رسولاً إلى الأنباء وأمرهم أن يخاذلوا الأسود إما غيلة وإما مصادمة ، وأن يستنجدوا رجالاً من حمير وهمدان ، وكان الأسود قد تغير على قيس ابن عبد يغوث ، فاجتمع به جماعة ممن كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحدثوا معه فى قتل الأسود ، فوافقهم واجتمعوا بامرأة الأسود ، وكان الأسود قد قتل أباها فقالت : والله إنه لأبغض الناس إلىّ ، ولكن الحرس محيطون بقصره ، فأنقبوا عليه البيت ، فواعدوها على ذلك ونقبوا عليه البيت ، ودخل عليه شخص اسمه فيروز ، فقتل الأسود واحتز رأسه فخار خوار الثور ، فابتدر الحرس الباب ، فقالت زوجته : هذا النبى يوحى إليه ، فلما طلع الفجر أمروا المؤذن فقال : أشهد أن محمدًا رسول الله وأن عبهلة كذاب ، وكتب أصحاب النبى ﷺ بذلك ، فورد الخبر من السماء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعلم أصحابه بقتل الأسود المذكور ، ووصل الكتاب بقتل الأسود فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، فكان كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى عبدالله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أيها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ثم انتزعت منى ورأيت فى يدى سوارين من ذهب ، فكرهتهما فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب صنعاء ولن تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كل منهم يزعم أنه نبى .

وكان قتل الأسود المذكور قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيوم وليلة ، وكان

من أول خروج الأسود إلى أن قتل أربعة أشهر . وأما صاحب اليمامة ، فهو مسيلمة الكذاب وسنذكر خبره فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ذكر أخبار أبى بكر الصديق وخلافته رضى الله عنه

لما قبض الله نبيه ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات علوت رأسه بسيفى هذا وإنما ارتفع إلى السماء ، فقرأ أبو بكر : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾[1] فرجع القوم إلى قوله ، وبادروا سقيفة بنى ساعدة ، فبايع عمر أبا بكر رضى الله عنه وانثال [ق ٧٤ / ب] الناس عليه يبايعونه فى العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة خلا جماعة من بنى هاشم ، والزبير ، وعتبة بن أبى لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد ابن عمرو ، وسلمان الفارسى ، وأبا ذر ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبى بن كعب ، ومالوا مع على بن أبى طالب ، وقال فى ذلك عتبة بن أبى لهب :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منهم عن أبى حسن
عن أول الناس إيمانًا وسابقة ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهدًا بالنبى ومن ... جبريل عون له فى الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس فى القوم ما فيه من الحسن

وكذلك تخلف عن بيعة أبى بكر : أبو سفيان من بنى أمية . ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى على ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضى الله عنها ، وقال : إن أبوا عليك فقاتلهم ، فأقبل عمر بشىء من نار على أن يضرم الدار ، فلقيته فاطمة رضى الله عنها ، وقالت : إلى أين يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا ، قال : نعم أَوْ تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة ، فخرج على حتى أتى أبا بكر فبايعه ، كذا نقله القاضى جمال الدين بن واصل ، وأسنده إلى ابن عبد ربه المغربى . وروى الزهرى عن عائشة قالت : لم يبايع عليًّا أبا بكر حتى ماتت فاطمة وذلك بعد ستة أشهر لموت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، فأرسل على إلى أبى بكر رضى الله عنها ، فأتاه فى منزله فبايعه ، وقال علىٌ : ما نَفِسْنَا عليك ما ساقه الله إليك من فضل وخير ، ولكنا نرى أن لنا فى هذا الأمر شيئًا ، فاستبددت به دوننا وما ننكر فضلك .

---

(١) آل عمران : من الآية ١٤٤ .

ولما تولى أبو بكر ، كان أسامة بن زيد مبرزًا ، وكان عمر بن الخطاب من جملة جيش أسامة على ما عينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عمر لأبى بكر إن الأنصار تطلب رجلًا أقدم سنًا من أسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالسًا وأخذ بلحية عمر وقال : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب : استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرنى أن أعزله ، ثم خرج أبو بكر إلى معسكر أسامة وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والله لتركبن أو لأنزلن ، فقال أبو بكر : والله لاتنزل ولا ركبت وما علىَّ أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله ، ولما (أراد) الرجوع ، قال أبو بكر لأسامة : إن رأيت أن تعيننى بعمر فافعل ، فأذن لعمر بالمقام .

وفى أيام أبى بكر ادعت سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية واتبعها بنو تميم وأخوالها من تغلب وغيرهم من بنى ربيعة ، وقصدت مسيلمة ، ولما وصلت إليه قصدت الاجتماع به فقال لها : ابعدى أصحابك ، ففعلت فنزل وضرب لها قبة وطيبها بالبخور واجتمع بها وقالت له : ماذا أوحى إليك ، فقال : ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى .أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وغشا ، قالت : وما أنزل الله عليك أيضًا ،.ألم تر أن الله خلق النساء أفواجًا وجعل الرجال لهم أزواجًا فنولج فيهن إيلاجًا ثم نخرج ما شئنا إخراجا فينتجن لنا إنتاجًا ، فقالت أشهد أنك نبى ،. فقال : هل لك أن أتزوجك ، قالت : نعم ، فقال لها :

ألا قومى إلى النيك ... فقد هُيِّىءْ لك المضجع
فإن شئت ففى البيت ... وإن شئت ففى المخدع
وإن شئت سلقناك ... وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلثيه ... وإن شئت به أجمع

فقالت : بل به أجمع يا رسول الله ، فقال : بذلك أوحى إلىّ ، فأقامت عنده ثلاثًا ثم انصرفت إلى قومها ، ولم تزل سجاح فى أخوالها من تغلب حتى نفاهم معاوية عام بويع فيه ، فأسلمت سجاح وحسن إسلامها وانتقلت إلى البصرة وماتت بها .

وفى أيام أبى بكر قتل مسيلمة الكذاب ، وكان أبو بكر قد أرسل إلى قتاله [ق ٧٥ / أ] جيشًا ، وقَدَّمَ عليه خالد بن الوليد ، فجرى بينهم قتال شديد ، وآخره انتصر المسلمون وهزم المشركون وقتل مسيلمة الكذاب ، قتله وحشى بالحربة التى قتل بها حمزة عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشاركه فى قتله رجل من الأنصار ، وكان مقام مُسيلمة باليمامة ، وكان مسيلمة قد قدم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وفد بنى حنيفة فأسلم ، ثم ارتد وادعى النبوة استقلالًا ، ثم مشاركة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وقتل من المسلمين فى قتال مسيلمة جماعة من القراء من المهاجرين والأنصار ، ولما رأى

أبو بكر كثرة من قتل ، أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال وجريد النخيل والجلود ، وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ولما تولى عثمان ورأى اختلاف الناس فى القرآن ، كتب من ذلك المكتوب الذى كان عند حفصة نُسَخًا وأرسلها إلى الأمصار وأبطل ما سواها .

وفى أيام أبى بكر ، منعت بنو يربوع الزكاة ، وكان أميرهم مالك بن نويرة ، وكان مالك فارسًا مطاعًا شاعرًا ، قدم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم ، فولاه صدقة قومه ، فلما منع الزكاة أرسل أبو بكر إلى مالك المذكور خالد بن الوليد فى مانعى الزكاة ، فقال مالك : أنا آتى بالصلاة دون الزكاة ، فقال خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معًا لا تقبل واحدة دون الأخرى ، فقال مالك : قد كان صاحبكم يقول ذلك ، قال خالد : أو ماتره لك صاحبًا ؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك ، ثم تجاولا فى الكلام فقال له خالد : إنى قاتلك ، فقال له : أو بذلك أمرك صاحبك ؟ قال : وهذه بعد تلك ، وكان عبدالله بن عمر وأبو قتادة الأنصارى حاضرين ، فكلما خالدًا فى أمره فكره كلامهما ، فقال مالك : يا خالد ابعثنا إلى أبى بكر ، فيكون هو الذى يحكم فينا ؛ فقال خالد : لا أقالنى الله إن أَقَلْتُكَ ، وتقدم إلى ضرار بن الأزور يضرب عنقه ، فالتفت مالك إلى زوجته ، وقال لخالد : هذه التى قتلتنى – وكانت فى غاية الجمال – فقال خالد : بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام ، فقال مالك : أنا على الإسلام ، فقال خالد : يا ضرار اضرب عنقه ، فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لِقدْرٍ ، وكان من أكثر الناس شعرًا ، وقبض خالد امرأته ، قيل إنه اشتراها من الفىء وتزوج بها ، وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض وتزوج بها ، وقال لابن عمر ولأبى قتادة : احضرا النكاح ، فأبيا ، وقال له ابن عمر : نكتب إلى أبى بكر ونعلمه بأمرها وتتزوج بها ، فأبى وتزوجها ، وفى ذلك يقول أبو نمير السعدى :

ألا قل لحى أوطئوا بالسنابك	تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيًا عليه بعرسه	وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف	عنان الهوى عنها ولا متمالك
فأصبح ذا أهل وأصبح مالك	إلى غير أهل هالكًا فى الهوالك

ولما بلغ ذلك أبو بكر وعمر قال عمر لأبى بكر : إن خالدًا قد زنى فارجمه ، قال : ما كنت أرجمه ، فإنه تأول فأخطأ ، قال : فإنه قد قتل مسلمًا فاقتله ، قال : ما كنت أقتله ، فإنه تأول فأخطأ ، قال : فاعزله ، قال : ما كنت أغمد سيفًا سله الله عليهم ، ولما بلغ متمم بن نويرة أخا مالك المذكور مقتل أخيه بكاه وندبه بالأشعار الكثيرة ، فمن ذلك قصيدة متمم العينية المشهورة التى منها :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا   أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وفى أيام أبى بكر فتحت الحيرة بالأمان على الجزية [ق ٧٥ / ب] .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وسنة ثلاثة عشرة :

فيها : كانت وقعة اليرموك وهى الوقعة العظيمة التى كانت سبب فتوح الشام ، وكانت سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وكان هرقل إذ ذلك بحمص ، فلما بلغه هزيمة الروم باليرموك ، رحل عن حمص وجعلها بينه وبين المسلمين . ولما فرغ خالد بن الوليد وأبو عبيدة من وقعة اليرموك قصدا بصرى، فجمع صاحب البصرى الجموع للملتقى ، ثم إن الروم طلبوا الصلح فصولحوا على كل رأس دينار وجريب حنطة .

ذكر وفاة أبى بكر رضى الله عنه

وقد اختلف فى سبب موته ، فقيل إن اليهود سمته فى أرز ، وقيل فى حسو ، فأكل هو والحارث بن كلدة، فقال الحارث: أكلنا طعامًا مسمومًا سُمَّ سنة فماتا بعد سنة، وعن عائشة رضى الله عنها أنه اغتسل وكان يومًا باردًا ، فحم خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى الصلاة ، وأمر عمر أن يصلى بالناس وعهد بالخلافة إلى عمر ، ثم توفى مساء ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وعمره ثلاث وستون سنة ، وغسلته زوجته أسماء بنت عميس ، وحمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصلى عليه عمر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين القبر والمنبر ، وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فحفر له وجعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان حسن القامة ، خفيف العارضين ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتئ الجبهة ، أحنى عارى الأشاجع ، يخضب بالحناء والكتم .

ذكر خلافة عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى رضى الله عنه

بويع بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر الصديق رضى الله (تعالى) عنه ، وأول خطبة خطبها قال : يا أيها الناس والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه ، ثم أول شىء أمر به أن عزل خالد بن الوليد عن الإمرة وولى أبا عبيدة على الجيش والشام[1] ، وأرسل بذلك إليهما . وهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، وكان أبو بكر يخاطب بخليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم سار أبو عبيدة ونازل دمشق ، وكانت منزلته من جهة باب الجابية ، ونزل خالد من جهة (باب) توما وباب شرقى ، ونزل عمرو بن العاص بناحية أخرى وحاصروها قريبًا من سبعين ليلة ، وفتح خالد ما يليه بالسيف ، فخرج أهل دمشق وبذلوا الصلح لأبى عبيدة من الجانب الآخر وفتحوا له الباب ، فأمنهم ودخل والتقى مع خالد فى وسط البلد وبعث أبو عبيدة بالفتح إلى عمر .

وفى أيامه ، فتح العراق ..

ثم دخلت سنة أربع عشرة :

فيها : فى المحرم أمر عمر ببناء البصرة فاختطت ، وقيل فى سنة خمس عشرة . وفيها توفى أبو قحافة أبو أبى بكر وعمره سبع وتسعون سنة ، وكانت وفاته بعد وفاة ابنه أبى بكر .

ثم دخلت سنة خمس عشرة :

فيها : فتحت حمص بعد دمشق بعد حصار طويل حتى طلب الروم الصلح ، فصالحهم أبو عبيدة على ما صالح أهل دمشق ، ثم سار إلى حَماة ، قال القاضى جمال الدين بن واصل رحمه الله (تعالى) فى التاريخ الذى نقلنا هذا منه « أن حماة كانت فى زمن داود وسليمان عليهما السلام مدينة عظيمة ، قال : وجدت ذكرها فى أخبار داود وسليمان فى كتاب أسفار الملوك الذى بأيدى اليهود ، وكذلك كانت فى زمن اليونان إلا أنها فى زمن الفتوح وقبله كانت صغيرة هى وشيزر ، وكانا من عمل حمص ، وكانت [ق ٧٦ / أ] حمص كرسى مملكة هذه البلاد » وقد ذكرهما امرؤ القيس فى قصيدته التى أولها :

---

(١) كذا وفى المطبوع : بالشام .

* سمالك سوق بعدما كان أقصرا *

ويقول من جملتها :

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

قال بعض الشراح : حماة وشيزر قريتان من قرى حمص .

ولما وصل أبو عبيدة إلى حماة ، خرجت الروم التى بها إليه يطلبون الصلح ، فصالحهم على الجزية لرءوسهم ، والخراج على أرضهم وجعل كنيستهم العظمى جامعًا ، وهو جامع السوق الأعلى من حماة ، ثم جدد فى خلافة المهدى من بنى العباس ، وكان على لوح منه مكتوب أنه جدد من خراج حمص . ثم سار أبو عبيدة إلى شيزر فصالحه أهلها على صلح أهل حماة ، وكذلك صالح أهل المعرة ، وكان يقال لها معرة حمص ، ثم قيل لها معرة النعمان بن بشير الأنصارى ، لأنها كانت مضافة إليه مع حمص فى خلافة معاوية .

ثم سار أبو عبيدة إلى اللاذقية ففتحها عنوة . وفتح جبلة وأنطرسوس . ثم سار أبو عبيدة إلى قِنَّسْرِين، وكانت كرسى المملكة المنسوبة اليوم إلى حلب ، وكانت من جملة أعمال قنسرين ، ولما نازلها أبو عبيدة وخالد بن الوليد كان بها جمع عظيم من الروم ، فجرى بينهم قتال شديد انتصر فيه المسلمون ، ثم بعد ذلك طلب أهلها الصلح على صلح أهل حمص ، فأجابهم على أن يخربوا المدينة ، فخربت . ثم فتح بعد ذلك حلب وأنطاكية ومنبج ودلوك وسرمين وتنزين وعزاز ، واستولى على الشام من هذه الناحية . ثم سار خالد إلى مرعش ففتحها وأجلى أهلها وأخربها ، وفتح حصن الحدث .

وفى هذه السنة : لما فتحت هذه البلاد وهى سنة خمس عشرة ، وقيل ست عشرة أيس هرقل من الشام وسار إلى قسطنطينية من الرها . ولما سار هرقل علا على نشز من الأرض ، ثم التفت إلى الشام ، وقال : السلام عليك يا سوريا ، سلام لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومى بعدها إلا خائفًا حتى يولد الولد المشئوم ، وليته لم يولد ، فما أجل فعله وأمر فتنته على الروم . ثم فتحت قيسارية ، وصبصطية وبها قبر يحيى بن زكريا ، ونابلس ، واللّد ، ويافا ، وتلك البلاد جميعها ، وأما بيت المقدس فطال حصاره وطلب أهله من أبى عبيدة أن يصالحهم على صلح أهل الشام بشرط أن يكون عمر بن الخطاب متولى أمر الصلح ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك فقدم عمر رضى الله عنه إلى القدس وفتحها ، واستخلف على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وفى هذه السنة : أعنى سنة خمس عشرة ، وضع عمر بن الخطاب الدواوين وفرض العطاء للمسلمين ولم يكن قبل ذلك ، وقيل كان ذلك سنة عشرين فقيل له ابدأ بنفسك ، فامتنع ، وبدأ بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ففرض له خمسة وعشرين ألفًا ، ثم بدأ

بالأقرب فالأقرب من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ، وفرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض لمن بعدهم إلى الحديبية وبيعة الرضوان أربعة آلاف أربعة آلاف ، ثم لمن بعدهم ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، وفرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ، وفرض لمن بعد [ق ٧٦ / ب] القادسية واليرموك ألفًا ألفًا ، ولروادفهم خمسمائة خمسمائة ، ثم ثلثمائة ثلثمائة ، ثم مائتين وخمسين مائتين وخمسين .

وكان فى هذه السنة : أعنى سنة خمس عشرة – وقعة القادسية ، وكان المتولى لحرب الأعاجم فيها سعد بن أبي وقاص ، وكان مقدم العجم رستم ، وجرى بين المسلمين وبين الأعاجم إذ ذاك قتال عظيم دام أيامًا . فكان اليوم الأول « يوم أغواث » ، ثم « يوم غماس » ، ثم « ليلة الهرير » لتركهم الكلام فيها ، وإنما كانوا يهرون هريرًا حتى أصبح الصباح ودام القتال إلى الظهيرة وهبت ريح عاصفة ، فمال الغبار على المشركين ، فانكسروا ، وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم وقد قام رستم عنه واستظل تحت بغال عليها مال وصلت من كسرى للنفقة . فلما شدوا على رستم (هرب) ولحقه هلال بن علقمة ، فأخذ برجله وقتله ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال وصعد السرير ، ونادى : قتلتُ رستم ورب الكعبة ، وتمت الهزيمة على العجم وقتل منهم ما لا يحصى ، ثم ارتحل سعد ونزل (غربى) دجلة على نهر شير قبالة مدائن كسرى وإيوانه المشهور ، ولما شاهد المسلمون إيوان كسرى كبروا وقالوا : هذا أبيض كسرى ، هذا ما وعد الله ورسوله .

ثم دخلت سنة ست عشرة :

وأقام سعد على نهر شير إلى أيام (من) صفر ثم عبروا دجلة ، وهربت الفرس من المدائن نحو حلوان ، وكان يزدجرد قد قدم عياله إلى حلوان ، وخرج هو ومن معه بما قدروا عليه من المتاع ، ودخل المسلمون المدائن وقتلوا كل من وجدوه ، واحتاطوا بالقصر الأبيض ونزل به سعد واتخذوا إيوان كسرى مصلى واحتاطوا على أموال من الذهب والآنية والثياب تخرج عن الإحصاء ، وأدرك بعض المسلمين بغلًا وقع فى الماء فوجد عليه حلية كسرى من التاج والمنطقة والدرع وغير ذلك (كله) مكلل بالجوهر ، ووجدوا أشياء يطول شرحها ، وكان لكسرى بساط طوله ستون ذراعًا فى ستين ذراعًا ، وكان على هيئة روضة قد صورت فيه الزهور بالجوهر على قضبان الذهب ، فاستوهب سعد ما يخص أصحابه منه وبعث به إلى عمر ، فقطعه وقسمه بين المسلمين ، فأصاب على بن أبى طالب منه قطعة فباعها بعشرين ألف درهم .

وأقام سعد بالمدائن ، وأرسل جيشًا إلى جلولاء وكان قد اجتمع بها الفرس ، فانتصر المسلمون وقتلوا من الفرس مالا يحصى ، وهذه الوقعة هى المعروفة بوقعة جلولاء ، وكان

يزدجرد بحلوان ، فسار عنها وقصدها المسلمون واستولوا عليها . ثم فتح المسلمون تكريت والموصل . ثم فتحوا ما سندان عنوة وكذلك قرقيسيا .

وفى هذه السنة : أعنى سنة ست عشرة للهجرة ، قدم جبلة بن الأيهم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فتلقاه جماعة من المسلمين ودخل فى زى حسن وبين يديه جنائب مقادة ، ولبس أصحابه الديباج ، ثم خرج عمر إلى الحج فى هذه السنة ، فحج جبلة معه ، فبينا جبلة طائفًا إذ وطئ رجل من فزارة على إزاره فلطمه جبلة ، فهشم أنفه ، فأقبل الفزارى إلى عمر وشكاه فأحضره عمر ، وقال افْتَد نفسك وإلا أمرته أن يلطمك ، فقال جبلة : كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال عمر : إن الإسلام جمعكما وسوى بين الملك والسوقة فى الحد ، فقال جبلة كنت أظن أنى بالإسلام أعز منى فى الجاهلية ، فقال عمر دع [ق ٧٧ / أ] عنك هذا ، فقال جبلة : أتنصر ، فقال عمر إن تنصرت ضربت عنقك ، فقال : أنظرنى ليلتى هذه ، فأنظره ، فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجله إلى الشام ، ثم صار إلى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم ، وفرح هرقل بهم وأكرمه ، ثم ندم جبلة على فعله ذلك وقال :

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها لجاج ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى ... رجعت إلى القول الذى قاله عمر

وكان قد مضى رسول عمر إلى هرقل وشاهد ما هو فيه جبلة من النعمة ، فأرسل جبلة خمسمائة دينار لحسان بن ثابت وأوصلها عمر إليه ومدحه حسان بأبيات منها :

إن ابن جفنة من بقية معشر ... لم يعرهم آباؤهم باللوم
لم ينسنى بالشام إذْ هو ربها ... كلا ولا متنصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده ... إلا كبعض عطية المذموم

ثم دخلت سنة سبع عشرة :

فيها : اختطت الكوفة وتحول سعد إليها .

وفى هذه السنة : اعتمر عمر وأقام بمكة عشرين ليلة ، ووسع فى المسجد الحرام ، وهدم منازل قوم أبوا أن يبيعوها وجعل أثمانها مع بيت المال ، وتزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وأمها فاطمة رضى الله عنها .

وفى هذه السنة : كانت واقعة المغيرة بن شعبة ، وهى أن المغيرة كان عمر قد ولاه البصرة ، وكان فى قبالة العِلِّية التى فيها المغيرة بن شعبة عِلية فيها أربعة وهم : أبو بكرة مولى

النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه لأمه زياد بن أبيه ونافع بن كَلَدَة وشبل بن مَعْبد ، فرفعت الريح الكوة عن العلية فنظروا إلى المغيرة وهو على أم جميل بنت الأرقم بن عامر بن صعصعة وكانت تغشى المغيرة ، فكتبوا إلى عمر بذلك فعزل المغيرة واستقدمه مع الشهود ، وولى البصرة أبا موسى الأشعرى ، فلما قدم إلى عمر شهد أبو بكرة ونافع وشبل على المغيرة بالزنا ، وأما زياد ابن أبيه فلم يفصح شهادة الزنا ، وكان عمر قد قال قبل أن يشهد : أرى رجلًا أرجو أن لا يفضح الله به رجلًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال زياد : رأيته جالسًا بين رجلى امرأة ، ورأيت رجلين مرفوعتين كأذنى حمار ، ونفسًا يعلو ، وإستاتنبو عن ذكر ، ولا أعرف ما وراء ذلك ؛ فقال عمر : هل رأيت الميل فى المكحلة ؛ قال : لا ؛ فقال : هل تعرف المرأة ؟ ؛ قال : لا ، ولكن أشبهها ؛ فأمر عمر بالثلاثة الذين شهدوا بالزنا أن يحدوا حَدَّ القذف ، فجلدوا ، وكان زياد أخا أبى بكرة لأمه فلم يكلمه أبو بكرة بعدها .

وفيها : فتح المسلمون الأهواز ، وكان قد استولى عليها الهرمزان ، وكان من عظماء الفرس ، ثم فتحوا رَامَ هُرْمز وتُسْتَر ، وتحصن الهرمزان فى القلعة وحاصروه ، فطلب الصلح على حكم عمر ، فأنزل على ذلك ، وأرسلوا به إلى عمر مع وفد منهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ، فلما وصلوا به إلى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ، ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون ، فطلبوا عمر [ق ٧٧ / ب] فلم يجدوه ، فسألوا عنه ، فقيل جالس فى المسجد ، فأتوه وهو نائم فجلسوا دونه ، فقال الهرمزان أين هو عمر ، قالوا : هو ذا ، قال : فأين حرسه وحجابه ، قالوا : ليس له حارس ولا حاجب ، واستيقظ عمر لجلبة الناس (فنظر إلى) الهرمزان ، وقال : الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشباهه ، وأمر بنزع ما عليه فنزعوه وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال له عمر : كيف رأيت عاقبة الغدر ، وعاقبة أمر الله ، فقال الهرمزان : نحن وإياكم فى الجاهلية لما خلى الله بيننا وبينكم غلبناكم ، ولما كان الله الآن معكم غلبتمونا ، ودار بينهما الكلام ، وطلب الهرمزان ماء ، فأتى به وقال : أخاف أن تقتلنى وأنا أشرب ، فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرب ، فرمى بالإناء فانكسرت ، فطلب عمر قتله ، فقالت الصحابة : إنك قد أمنته بقولك لا بأس عليك إلى أن تشرب ولم يشرب ذلك الماء ، وآخر الأمر أن الهرمزان أسلم وفرض له عمر ألفين .

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة :

فيها : حصل فى المدينة والحجاز قحط عظيم ، فكتب عمر إلى سائر الأمصار يستعينهم ، فكان ممن قدم عليه أبو عبيدة من الشام بأربعة آلاف راحلة من الزاد ، وقسم عمر ذلك على المسلمين حتى رخص الطعام بالمدينة . ولما اشتد القحط خرج عمر ومعه العباس وجمع الناس ،

واستسقى متشفعًا بالعباس ، فما رجع الناس حتى تداركت السحب وأمطروا ، وأقبل الناس يتمسحون بأذيال العباس رضى الله عنه .

وفى هذه السنة : أعنى سنة ثمانى عشرة – كان طاعون عَمَوَاسْ بالشام مات به أبو عبيدة بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله [بن] الجراح الفهرى ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، واستخلف أبو عبيدة على الناس معاذ بن جبل الأنصارى فمات أيضاً بالطاعون ، واستخلف عمرو بن العاص ، ومات من الناس فى هذا الطاعون خمسة وعشرون ألف نفس ، وطال مكثه شهراً ، وطمع العدو فى المسلمين وأصاب الناس بالبصرة مثله .

وفى هذه السنة : سار عمر إلى الشام ، فقسم مواريث الذين ماتوا ، ثم رجع إلى المدينة فى ذى القعدة .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وسنة عشرين :

فيها : فتحت مصر والإسكندرية على يد عمرو بن العاص والزبير بن العوام فنزلا عين شمس وهو بقرب المطرية وكان بها جمعهم ، ففتحاها ، وبعث عمرو بن العاص أبرهة بن الصباح إلى الفرما ، وضرب عمرو فسطاطه موضع جامع عمرو بمصر الآن ، واختطت مصر ، وبنى موضع الفسطاط الجامع المعروف بجامع عمرو بن العاص ، ثم توجه إلى الاسكندرية ففتحها عنوة بعد قتال كثير .

وفيها : أعنى سنة عشرين ، توفى بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ وهو مولى أبى بكر الصديق ، واسم أمه حمامة وهو من مولد الحبشة ، أسلم بعد إسلام أبى بكر الصديق ، ولم يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فطلب من أبى بكر أن يرسله إلى الجهاد ، فسأله عمر ذلك ، فأبى بلال وسار إلى دمشق وأقام بها حتى مات ، ودفن عند الباب الصغير .

ثم دخلت سنة احدى وعشرين :

فيها : كانت وقعة نهاوند مع الأعاجم ، وكان قد اجتمعوا فى مائة وخمسين [ألفًا ومقدمهم] الفيرزان ، فجرى بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة آخرها أن المسلمين هزموا الأعاجم وأفنوهم قتلاً ، وهرب الفيرزان مقدم جيش الأعاجم ، فلما وصل إلى ثنية همذان وجد بغالاً محملة عسلا ، فلم يقدر على المضى ، فنزل عن فرسه وهرب فى الجبل ، فتبعه القعقاع راجلاً وقتله ، فقال المسلمون : إن لله جندا من عسل .

وفى هذه السنة : فتحت الدِّينَوَر والصَّمَرَة وهمدان وأصفهان .

وفى هذه السنة : توفى خالد بن الوليد واختلف فى [ق ٧٨ / أ] موضع قبره ، فقيل بحمص ، وقيل بالمدينة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين :

فيها : فتحت أذربيجان والرَّى وجرجان وقزوين وزنجان وطَبَرِسْتان .

وفيها : سار عمرو بن العاص إلى برقة ، فصالحه أهلها على الجزية . ثم سار إلى طرابلس المغرب فحاصرها وفتحها عنوة .

وفى هذه السنة : غزى الأحنف بن قيس خراسان وحارب يزدجرد وافتتح هراة عنوة . ثم سار إلى مرو وكتب يزدجرد إلى ملك الترك يستمده وإلى ملك الصُّغْد وإلى ملك الصين يستمدهما ، وانهزم يزدجرد إلى بلخ ثم سار إليه المسلمون فهزموه ، وعبر يزدجرد نهر جيحون ثم إن يزدجرد اختلف هو وعسكره ، فإنه أشار بالمقام مع الترك ، وأشار عسكره بمصالحة المسلمين والدخول فى حكمهم ، فأبى يزدجرد ذلك ، فطرده عسكره وأخذوا خزانته ، وسار يزدجرد مع الترك فى حاشيته ، وأقام بفرغانة زمن عمر كله ، وبقى عسكره فى أماكنهم ، وصالحوا المسلمين .

وفيها : [توفى] أبى بن كعب بن قيس ، وهو من ولد مالك بن النجار ، وكان يكنى أبا المنذر أحد كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذى أمر الله تعالى رسوله عليه [الصلاة] والسلام أن يقرأ القرآن على أبى بن كعب المذكور ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أقرأ أمتى أبى – بعدى ، وقيل مات فى سنة ثلاثين فى خلافة عثمان .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين :

ذكر مقتل عمر رضى الله عنه

فى هذه السنة : طعن أبو لؤلؤة واسمه فيروز عبد المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب وهو فى الصلاة بخنجر فى خاصرته وتحت سرته ، وذلك لست بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة ، وتوفى يوم السبت سلخ ذى الحجة ، ودفن عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وعهد بالخلافة إلى النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو عنهم راض ، وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد رضى الله عنهم بعد أن عرضها على عبد الرحمن بن عوف ، فأبى .

وكان عمر رضى الله عنه طويل القامة ، أبيض ، أصلع ، أشيب ، وكان عمره خمسًا وخمسين سنة ، وقيل ستين ، وقيل ثلاثا وستين ، وكان له من الفضل والزهد والعدل والشفقة على المسلمين القدر الوافر ، فمن ذلك أنه جاء إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلى فى بيته

ليلًا ، فقال عبد الرحمن : ما جاء بك يا أمير المؤمنين فى هذه الساعة ، فقال : إن رفقة نزلوا فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة ، فانطلق لنحرسهم ، فأتيا السوق وقعدا على نشز من الأرض يتحدثان ويحرسانهم . وعمر أول من سمى بأمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأرخ من السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأول من عسس بالليل ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يكبرون أربعًا وخمسًا وستًا ، وأول من جمع الناس على إمام يصلى بهم التراويح فى رمضان ، وكتب بذلك إلى سائر البلدان وأمرهم به ، وأول من حمل الدِّرَّة وضرب بها ، ودون الدواوين وخطب مرة الناس وعليه إزار فيه [ق ٧٨ / ب] اثنتى عشرة رقعة ، وكان مرة فى بعض حجاته فلما مر بضَجْيَان قال : لا إله إلا الله المعطى ما شاء من شاء ، كنت أرعى إبل الخطاب فى هذا الوادى فى مدرعة صوف ، وكان فَظًّا يرهبنى إذا عملت ، ويضربنى إذا قصرت ، وقد أصبحت وليس بينى وبين الله أحد ، وفضائله رضى الله عنه أكثر من أن تحصر .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين :

فيها : عقب موت عمر ، اجتمع أهل الشورى وهم على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر رضى الله عنه ، وكان قد شرط عمر أن يكون ابنه عبد الله شريكًا فى الرأى ولا يكون له حظ فى الخلافة ، وطال الأمر بينهم ، وكان قد جعل لهم عمر مدة ثلاثة أيام وقال : لا يمضى اليوم الرابع إلا ولكم أمير ، وإن اختلفتم فكونوا مع الذى معه عبد الرحمن ، فمضى على إلى العباس رضى الله عنهما ، وقال له عَدَل عنا لأن سعدًا لا يخالف عبد الرحمن لأنه ابن عمه ، وعبد الرحمن صهر عثمان فلا يختلفون فيوليها أحدهم الآخر ، فقال العباس : لم أدفعك عن شىء إلا رجعت إلى مستأخراً ، أشرت عليك قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تسأله فيمن [يجعل] هذا الأمر ، فأبيت ، وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل هذا الأمر فأبيت ، وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لا تدخل فيهم فأبيت ، وهذا الرهط لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم له غيرنا ، وايم الله لا يناله إلا بشر لا ينفع معه خير .

ثم جمع عبد الرحمن الناس بعد أن أخرج نفسه عن الخلافة ، فدعا عليًّا فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ، فقال : أرجو أن أفعل وأعمل مبلغ علمى وطاقتى ، ودعا بعثمان وقال له مثل ما قال لعلى ، فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده فى يد عثمان ، وقال : اللهم اسمع واشهد اللهم إنى جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان وبايعه ، فقال على : ليس هذا أول يوم تظاهرتم علينا فيه ، فصبر جميل

والله المستعان على ما تصفون ، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمرِ إليك ، والله كل يوم هو فى شأن ، فقال عبد الرحمن : يا على لا تجعل على نفسك حجة وسبيلا ، فخرج على وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله ، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن : والله لقد تركته - يعنى عليًا - وأنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، فقال : يا مقداد ! لقد اجتهدت للمسلمين ، فقال المقداد : إنى لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلًا ما أقول ولا أعلم أن رجلًا أقضى بالحق ولا أعلم منه ، فقال عبد الرحمن : يا مقداد ! اتق الله ، فإنى أخاف عليك الفتنة .

ثم لما أحدث عثمان رضى الله عنه ما أحدث من توليته الأمصار للأحداث من أقاربه ، روى أنه قيل لعبد الرحمن بن عوف ، هذا كله فعلك ، فقال : لم أظن هذا به ، لكن لله على أن لا أكلمه أبداً ، ومات عبد الرحمن وهو هاجر لعثمان رضى الله عنهما ، ودخل عليه عثمان عائداً فى مرضه ، فتحول إلى الحائط ولم يكلمه .

ذكر خلافة عثمان رضى الله عنه

وبويع عثمان رضى الله عنه لثلاث مضين من المحرم من هذه السنة - أعنى سنة أربع وعشرين ، وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة ، رقى المنبر وقام خطيباً فحمد الله وتشهد ثم أرتج عليه فقال : إن أول كل أمر صعب ، وإن أعش فسيأتيكم الخطب على وجهها ، ثم نزل . وأقر عثمان ولاة عمر سنة ، وكان [ق ٧٩ / أ] أوصى بذلك ، ثم عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن أبى وقاص ثم عزله ، وولى الكوفة الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان أخا عثمان من أمه .

[ثم دخلت سنة خمس وعشرين :

فيها : توفى أبوذر الغفارى ، واسمه جندب بن جنادة ، وكان بالشام ينكر على معاوية جمع المال ، ويتلو : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ﴾[1] الآية ، فكتب معاوية إلى عثمان يشكوه ، فكتب إليه عثمان : أن أقدم المدينة ، فقدم إلى المدينة واجتمع الناس عليه فصار يذكر ذلك ، ويكثر الشناعة على من كنز الذهب والفضة ، فنفاه عثمان إلى الرَّبَذَة ، وقيل كانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين .

---

(١) التوبة : من الآية ٢٤ .

ثم دخلت سنة ست وعشرين :

فيها : عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، وولاها عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى ، وكان أخا عثمان من الرضاعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أهدر دم عبد الله بن سعد المذكور يوم الفتح وشفع فيه عثمان حتى أطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى أيام عثمان فتحت إفريقية وكان المتولى لذلك عبد الله بن سعد بن أبى سرح المذكور وبعث بالخمس إلى عثمان فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار ، فوضعها عنه عثمان ، وهذا من الأمور التى أنكرت عليه . ولما فتحت إفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين أن يسير إلى جهة الأندلس ، فغزا تلك الجهة وعاد عبد الله بن نافع إلى إفريقية ، فأقام بها من جهة عثمان ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين :

فيها : استأذن معاوية عثمان [فى] غزو البحر ، فأذن له ، فسير معاوية إلى قبرس جيشاً ، وسار إليها أيضاً عبد الله بن سعد من مصر ، فاجتمعوا عليها ، وقاتلوا أهلها ثم صولحوا على جزية سبعة آلاف دينار فى كل سنة ، وكان هذا الصلح بعد قتل وسبى كثير من أهل قبرس .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين :

فيها : عزل عثمان أبا موسى الأشعرى عن البصرة وولاها ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز ، ثم عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة بسبب أنه شرب الخمر وصلى بالمسلمين الفجر أربع ركعات وهو سكران ، ثم التفت إلى الناس وقال : هل أزيدكم ، فقال ابن مسعود : مازلنا معك فى زيادة منذ اليوم ، وفى ذلك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد فرغت صلاتهم ... أأزيدكم[1] سكراً ومايدرى
فأبوا أباوهب ولو أذنوا ... لقرنت بين الشفع والوتر

---

(١) أزيدكم هكذا فى الأصل والصحيح إضافة همزة الاستفهام أأزيدكم ؟ .

ثم دخلت سنة ثلاثين :

فيها : بلغ عثمان ما وقع فى أمر القرآن من أهل العراق ، فإنهم يقولون : قرآننا أصح من قرآن أهل الشام ، لأنا قرأنا على أبى موسى الأشعرى ، وأهل الشام يقولون قرآننا أصح لأنا قرأنا على المقداد بن الأسود ، وكذلك غيرهم من الأمصار ، فأجمع رأيه ورأى الصحابة على أن يحمل الناس على المصحف الذى كتب فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وكان مودعاً عند حفصة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحرق ما سواه من المصاحف التى بأيدى الناس ، ففعل ذلك ونسخ من ذلك المصحف مصاحف ، وحمل كلا منها إلى مصر [ق ٧٩ / ب] من الأمصار ، وكان الذى تولى نسخ المصاحف العثمانية بأمر عثمان : زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، وقال عثمان : إن[1] اختلفتم فى كلمة فاكتبوها بلسان قريش ، فإنما نزل القرآن بلسانهم .

وفى هذه السنة : سقط من يد عثمان خاتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من فضة فيه ثلاثة أسطر محمد رسول الله ، وكان النبى يتختم به ويختم به الكتب التى كان يرسلها إلى الملوك ، ثم تختم به بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان إلى أن سقط فى بئر أَرِيس[2] .
إن أحببتما أن تبايعا [لى] بايعا وإن أحببتما بايعتكما، فقالا: بل نبايعك، وقيل: إنهما قالا
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين :

ذكر مهلك يَزْدجِرْد بن شهريار بن برويز وهو آخر ملوك الفرس

فى هذه السنة : هلك يزدجرد وقد اختلف فى ذلك ، فقيل إنه نزل بمروفتار عليه أهلها وقتلوه ، وقيل : بغته الترك وقتلوا أصحابه ، فهرب يزدجرد إلى بيت رجل ينقر الأرحاء ، فقتله ذلك الرجل واتبع الفرس أثر يزدجرد إلى بيت النقار وعذبوا النقار ، فأقر بقتله فقتلوه .

وفيها : عصت خراسان واجتمع أهلها فى خلق عظيم ، وسار إليهم المسلمون وذلك فى أيام عثمان ففتحوها فتحًا ثانيا .

وفى هذه السنة : مات أبو سفيان بن حرب بن أمية أبو معاوية .

---

(١) فى الأصل : إذا .
(٢) كذا فى الأصل وقد وجدنا فى لسان العرب لابن منظور مادة أرس أريس بفتح الهمزة وكسر الراء مع تخفيفها وهى بئر معروفة قريبًا من مسجد قباء عند المدينة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين :

فيها : توفى عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن [شمخ] من ولد مدركة بن إلياس بن مضر ، وفى مدركة يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد جاء فى بعض الروايات أن عبد الله بن مسعود المذكور أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة ، والذى روى أنه من العشرة أسقط أباعبيدة بن الجراح وجعل عبد الله المذكور بدله ، وكان جليل القدر عظيماً فى الصحابة ، وهو أحد القراء رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين :

فيها : تكلم جماعة من الكوفة فى حق عثمان بأنه ولى جماعة من أهل بيته ولا يصلحون للولاية ، فكتب سعيد بن العاص والى الكوفة من قبل عثمان إليه بذلك ، فأمره عثمان بأن يسير إلى الذين تكلموا بذلك إلى معاوية بالشام ، فأرسلهم وفيهم الحارث بن مالك المعروف بالأشتر النخعى ، وثابت بن قيس النخعى ، وجميل بن زياد ، وزيد بن صوحان العبدى وأخوه صعصعة ، وجندب بن زهير وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق ، فقدموا على معاوية ، وجرى بينهم كلام كثير وحذرهم الفتنة ، فوثبوا وأخذوا بلحية معاوية ورأسه ، فكتب بذلك إلى عثمان ، فكتب إليه عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص ، فردهم إلى سعيد ، فأطلقوا ألسنتهم فى عثمان واجتمع إليهم أهل الكوفة .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين :

فيها : قدم سعيد إلى عثمان وأخبره بما فعله أهل الكوفة وأنهم يختارون أبا موسى الأشعرى ، فولى عثمان أبا موسى الكوفة ، فخطبهم أبو موسى وأمرهم بطاعة عثمان ، فأجابوا إلى ذلك ، وتكاتب نفر من الصحابة بعضهم إلى بعض أن أقدموا ، فالجهاد عندنا ، ونال الناس من عثمان وليس أحد من الصحابة ينهى عن ذلك ولا يذب إلا نفر ، منهم : زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ، ومما نقم الناس عليه رده الحكم بن العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وطريد أبى بكر وعمر أيضاً ، وأعطى مروان بن الحكم خمس غنائم إفريقية وهو خمسمائة ألف دينار ، وفى ذلك يقول عبد الرحمن الكندى :

سأحلف بالله جهد اليميـ ـن ما ترك الله أمراً سدى
[ق ٨٠ / أ]

ولكن خلقت لنا فتنة لكى نبتلى بك أو تبتلى
فإن الأمينين قد بينا منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهما غيلة وما جعلا درهما فى الهوى
دعوت اللعين فأدنيته خلافا لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العبا د ظلماً لهم وحميت الحما

وأقطع مروان بن الحكم فدك ، وهى صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى طلبتها فاطمة ميراثا ، فروى أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ماتركناه صدقة » ، ولم تزل فدك فى يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة .

وفى هذه السنة : توفى المقداد بن الأسود ، وهو المقداد بن عمرو بن تعلبة ، ونسب إلى الأسود بن عبد يغوث لأنه كان قد حالف الأسود المذكور فى الجاهلية ، فتبناه فعرف بالمقداد بن الأسود ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ – قيل له المقداد بن عمرو ، ولم يكن فى يوم بدر من المسلمين صاحب فرس غير المقداد فى قول ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد كلها ، وكان عمره (نحو) سبعين سنة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين :

وفيها : قدم من مصر جمع قيل ألف وقيل سبعمائة وقيل خمسمائة ، وكذلك قدم من الكوفة جمع وكذلك من البصرة ، وكان هوى المصريين مع على وهوى الكوفيين مع الزبير وهوى البصريين مع طلحة ، فدخلوا المدينة ، ولما جاءت الجمعة التى تلى دخولهم (المدينة) خرج عثمان فصلى بالناس ، ثم قام على المنبر وقال للجموع المذكورة . يا هؤلاء الله يعلم وأهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام محمد بن مسلمة الأنصارى وقال : أنا أشهد بذلك وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجهم من المسجد وحُصِبَ عثمان حتى خر عن المنبر مغشيًا عليه ، فأدخل داره وقاتل جماعة من أهل المدينة عن عثمان منهم سعد بن أبى وقاص والحسن بن على بن أبى طالب وزيد بن ثابت وأبو هريرة رضى الله عنهم ، فأرسل إليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا ، وصلى عثمان بالناس بعدما نزلت الجموع المذكورة فى المسجد ثلاثين يوماً ، ثم منعوه الصلاة فصلى بالناس أميرهم الغافقى أمير جمع مصر ، ولزم أهل المدينة بيوتهم وعثمان محصور فى داره ، ودام ذلك أربعين يوماً وقيل خمسين ، ثم إن عليًا اتفق مع عثمان على ما يطلبه الناس منه من عزل مروان عن كتابته وعبد الله بن أبى سرح عن مصر ، فأجاب عثمان إلى ذلك وفرق على الناس عنه ، ثم اجتمع عثمان بمروان فرده عن ذلك ، ثم اضطره الحال حتى عزل ابن أبى سرح عن مصر ،

وولاها محمد بن أبى بكر الصديق ، وتوجه مع محمد بن أبى بكر عدة من المهاجرين والأنصار ، فبينما هم فى أثناء الطريق وإذا بعبد على هجين يجهده ، فقالوا له إلى أين ؟ قال إلى العامل بمصر ، فقالوا : هذا عامل مصر يعنون محمد بن أبى بكر ، فقال : إلى العامل الآخر يعنى ابن أبى سرح ، فأمسكوه وفتشوه فوجدوا معه كتابا مختوماً بختم عثمان يقول : إذا جاءك محمد بن أبى بكر ومن معه بأنك معزول فلا تقبل واحتل لقتلهم وأبطل كتابهم وقر فى عملك ، فرجع محمد (بن أبى بكر) ومن معه من المهاجرين والأنصار إلى المدينة وجمعوا الصحابة وأوقفوهم على الكتاب ، وسألوا عثمان عن ذلك ، فاعترف بالختم وخط كاتبه وحلف بالله أنه لم يأمر بذلك فطلبوا منه مروان ليسلمه إليهم [ق ٨٠ / ب] بسبب ذلك ، فامتنع فازداد حنق الناس على عثمان وجدوا فى قتاله ، فأقام علىّ ابنه الحسن يذب عنه ، وأقام الزبير ابنه عبد الله وطلحة ابنه محمداً (يذبون عنه) بحيث خرج الحسن وانصبغ بالدم ، وآخر الحال أنهم تسوروا على عثمان من دار لزق فى داره ونزل عليه جماعة فيهم محمد بن أبى بكر فقتلوه .

وكان عثمان رضى الله عنه حين قتل صائماً ، يتلو فى المصحف وكان مقتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً . واختلف فى عمره ، فقيل خمس وسبعون ، وقيل اثنتان وثمانون ، وقيل تسعون ، وقيل غير ذلك ، ومكث ثلاثة أيام لم يدفن لأن المحاربين له منعوا من ذلك ، ثم أمر على بدفنه .

وكان عثمان معتدل القامة ، حسن الوجه ، بوجهه أثر جدرى ، عظيم اللحية ، أسمر اللون ، أصلع ، يصفر لحيته ، وتزوج ابنتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبسبب ذلك قيل له : ذو النورين . وكان كاتبه مروان بن الحكم بن العاص ابن عمه ، وقاضيه زيد بن ثابت . وأما فضائله ، فإنه الذى جهز جيش العسرة بجملة من المال ، وكان قد أصاب الناس مجاعة فى غزوة تبوك ، فاشترى عثمان طعاماً يصلح العسكر وجهز به عيراً ، فلما وصل ذلك إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم إنى قد رضيت عن عثمان فارض عنه . وروى الشعبى أن عثمان دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل ثوبه عليه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف لا أستحيى ممن تستحيى منه الملائكة ، وانفتح بقتل عثمان باب الشر والفتن .

ذكر أخبار على بن أبى طالب
[رضى الله عنه]

واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأم على فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فهو هاشمى ابن هاشميين ، بويع بالخلافة يوم قتل عثمان ،

وقد اختلف فى كيفية بيعته ، فقيل : اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم طلحة والزبير ، فأتوا علياً وسألوه البيعة له ، فقال : لا حاجة لى فى أمركم ، مَنْ اخترتم رضيتُ به ، فقالوا : ما نختار غيرك ، وترددوا إليه مراراً ، وقالوا : إنا لا نعلم أحداً أحق بالأمر منك ، ولا أقدم منك سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً ، فأبوا عليه ، فأتى المسجد ، وقيل بايعوه فى بيته ، وأول من بايعه طلحة بن عبيد الله ، وكانت يد طلحة مشلولة من نوبة أحد ، فقال حبيب بن ذؤيب : إنا لله أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر ، وبايعه الزبير ، وقال على لهما : إن أحببتما أن تبايعـا [لى] بايعا وإن أحببتما بايعتكما ، فقالا : بل نبايعك ، وقيل : إنهما قالا [بعد ذلك] إنما بايعنا خشية على نفوسنا ، ثم هربا إلى مكة بعد مبايعة على بأربعة أشهر وجاءوا بسعد بن أبى وقاص [رضى الله عنهم] فقال له على : بايع ، فقال : لا حتى يبايع الناس ، والله ما عليك منى بأس ، فقال : خلوا سبيله . وكذلك تأخر عن البيعة عبد الله بن عمر . وبايعته الأنصار إلا نفراً قليلاً منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدرى والنعمان بن بشير ومحمد بن مسلمة وفضالة بن عبيد وكعب بن عُجْرة وزيد بن ثابت ، وكان هؤلاء قد ولاهم عثمان على الصدقات وغيرها . وكذلك لم يبايع علياً سعيد بن زيد وعبد الله بن سلام [ق ٨١ / أ] وصهيب بن سنان وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة وسموا هؤلاء المعتزلة لاعتزالهم بيعة على ، وسار النعمان بن بشير إلى الشام ومعه ثوب عثمان الملطخ بالدم ، فكان معاوية يعلق قميص عثمان على المنبر ليحرض أهل الشام على قتال على وأصحابه ، وكلما رأى أهل الشام ذلك ازدادوا غيظًا .

وقد روى فى بيعة على غير ذلك ، فقيل : لما قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام والغافقى أمير المصريين ومن معه يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، ووجدوا طلحة فى حائط له ، ووجدوا سعداً والزبير قد خرجا من المدينة ، ووجدوا بنى أمية قد هربوا ، وأتى المصريون علياً فباعدهم ، وكذلك أتى الكوفيون الزبير ، والبصريون طلحة فباعداهم ، وكانوا مع اجتماعهم على قتل عثمان مختلفين فيمن يلى الخلافة حتى غشى الناس علياً ، فقالوا : نبايعك ، فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به ، فامتنع على فألحوا عليه فقال : قد أجبتكم ، واعلموا أنى إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وإن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم ، وافترق الناس على ذلك وتشاوروا فيما بينهم وقالوا : إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت البيعة ، فبعث البصريون إلى الزبير حكيم بن جبلة ومعه نفر ، [فجاءوا بالزبير كرهًا بالسيف فبايع] ، وبعثوا إلى طلحة الأشتر ومعه نفر] ، فأتوا بطلحة ولم يزالوا به حتى بايع ، ولما أصبحوا يوم الجمعة اجتمع الناس فى المسجد وصعد علىٌّ المنبر واستعفى من ذلك فلم يعفوه ،

فبايعه أولاً طلحة وقال : أنا أبايع مكرهًا ، وكانت يد طلحة شلاء ، فقيل : هذا الأمر لا يتم كما ذكرنا . وبايعه أهل المدينة من المهاجرين والأنصار خلا من لم يبايع ممن ذكرنا . وكان ذلك اليوم يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة فى سنة خمس وثلاثين .

ثم فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة ، واتفقا مع عائشة رضى الله عنهم ، وكانت قد مضت إلى الحج وعثمان محصور ، وكانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه ، وكانت تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشعره وتقول : هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بلى دينه ، لكنها لم تظن أن الأمر ينتهى إلى ما انتهى إليه . وكان ابن عباس بمكة لما قتل عثمان ، ثم قدم المدينة بعد البيعة لعلى ، فوجد عليا مستخليا بالمغيرة بن شعبة ، قال : فسألته ما قال له ، فقال على : أشار على بإقرار معاوية وغيره من عمال عثمان إلى أن يبايعوا ويستقر الأمر ، فأبيت ثم أتانى الآن وقال : الرأى ما رأيته ، فقال ابن عباس : نصحك فى المرة الأولى وغشك فى الثانية ، وإنى لأخشى أن ينتقض عليك الشام مع أنى لا آمن طلحة والزبير أن يخرجا عليك ، وأنا أشير عليك أن تقر معاوية فإن بايع لك فعلىّ أن أقتلعه لك من منزله متى شئت ، فقال علىّ والله لا أعطيه إلا السيف ثم تمثل :

وما ميتة إن مُتُّها غير عاجز   بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقلت يا أمير المؤمنين : أنت رجل شجاع ولست صاحب رأى ، فقال علىّ : إذا عصيتك فأطعنى ، فقال ابن عباس : أفعل [إن] أيسر مالك عندى الطاعة ، وخرج المغيرة ولحق بمكة .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين :

فيها : أرسل على إلى البلاد عماله ، فبعث إلى الكوفة عمارة بن شهاب ، وكان من المهاجرين . وولى عثمان بن حنيف الأنصارى البصرة ، وعبيد الله بن عباس اليمن ، وكان [ق ٨١ / ب] من المشهورين بالجود . وولى قيس بن مسعد بن عبادة الأنصارى مصر ، وسهل بن حنيف الأنصارى الشام ، فلما وصل تبوك لقيته خيل فقالوا : من أنت ، قال : أمير على الشام ، فقالوا : إن كان بعثك غير عثمان فارجع ، قال : أو ما سمعتم بالذى كان ، قالوا : بلى ، فرجع إلى على ، ومضى قيس بن سعد إلى مصر فوليها ، واعتزلت عنه فرقة كانوا عثمانية ، وأبوا أن يدخلوا فى طاعة على إلا أن يقتل قاتل عثمان ، ومضى عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخلها ، واتبعته فرقة وخالفته فرقة ، ومضى عمارة إلى الكوفة ، فلقيه طلحة بن خويلد الأسدى الذى كان ادعى النبوة فى خلافة أبى بكر فقال [له] : إن أهل الكوفة لا يستبدلون بأميرهم ، فرجع إلى على ، وكان على الكوفة من قبل عثمان أبو موسى

الأشعرى ، ومضى عبيد الله إلى اليمن وكان العامل بها من جهة عثمان يعلى بن منبه فوليها عبيد الله ، وخرج يعلى وأخذ ما كان حاصلاً من المال ولحق بمكة وصار مع عائشة وطلحة والزبير وسلم إليهم المال .

ذكر مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة

ولما بلغ عائشة قتل عثمان أعظمت ذلك ودعت إلى الطلب بدمه وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجماعة من بنى أمية ، وجمعوا جمعاً عظيماً واتفقوا رأيهم على المضى إلى البصرة للاستيلاء عليها ، وقالوا : معاوية بالشام قد كفانا أمرها ، وكان عبد الله بن عمر قد قدم من المدينة فدعوه إلى المسير معهم فامتنع وساروا ، وأعطى [يعلى بن] منبه عائشة الجمل المسمى بعسكر اشتراه بمائة دينار وقيل بثمانين ديناراً فركبته وضربوا فى طريقهم مكان يقال له الحوأب فنبحتهم كلابه ، فقالت عائشة : أى ماء هو هذا فقيل هذا ماء الحوأب فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعرى أيتكن ينبحها كلاب الحوأب ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت : ردونى أنا والله صاحبة ماء الحوأب فأناخوا يوماً وليلة ، وقال لها عبد الله بن الزبير : إنه كذب يعنى ليس هذا ماء الحوأب ، ولم يزل بها وهى تمتنع ، فقال لها النجا النجا فقد أدرككم على بن أبى طالب ، فارتحلوا نحو البصرة ، فاستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف ، فقتل من أصحاب عثمان بن حنيف أربعون رجلاً ، وأمسك عثمان بن حنيف فنتِفَتْ لحيته وحواجبه وسجن ثم أطلق .

ذكر مسير علىّ إلى البصرة

ولما بلغ عليًا مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة سار نحوهم فى أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجرة وثمانمائة من الأنصار ورايته مع ابنه محمد بن الحنفية وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين ، وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبى بكر الصديق وعلى مقدمته عبد الله بن العباس ، وكان مسيره فى ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، ولما وصل على إلى ذى قار أتاه عثمان بن حنيف ، وقال له : يا أمير المؤمنين بعثتنى ذا لحية وجئتك أمرد ، فقال : أصبت أجراً وخيراً ، وقال على : إن الناس وليهم قبلى رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا فى حقه وفعلوا ثم بايعونى وبايعنى طلحة

والزبير ثم نكثا ومن العجب انقيادهما لأبى بكر وعمر وعثمان وخلافهما علىّ ، والله إنهما يعلمان أنى لست بدون رجل ممن تقدم .

ذكر وقعة الجمل

واجتمع إلى على من أهل الكوفة جمع ، واجتمع إلى عائشة وطلحة والزبير جمع ، وسار بعضهم إلى بعض [ق ٨٢ / أ] والتقوا بمكان يقال الحزينة فى النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودعا علىّ الزبير إلى الاجتماع به ، فاجتمع به فذكره على ، وقال أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بنى غنم [فنظر إلى] فضحكت وضحك إلى فقلت : لا يدع ابن أبى طالب زهوه ، فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنه ليس بمُزْهٍ ولتقاتلنه وأنت ظالم له ، فقال الزبير : اللهم نعم ولو ذكرته ما سرت مسيرى هذا ، فقيل إنه اعتزل القتال ، وقيل بل عيره ولده عبد الله وقال : خفت من رايات ابن أبى طالب ، فقال الزبير: إنى حلفت أن لا أقاتله، فقال له ابنه: كفر عن يمينك، فعتق غلامه مكحولاً وقاتل . ووقع القتال وعائشة راكبة الجمل المسمى عسكراً فى هودج وقد صار كالقنفذ من النشاب ، وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة وطلحة والزبير ، ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم فقتله وكلاهما كانا مع عائشة ، قيل إنه طلب بذلك أخذ تأر عثمان منه لأنه نسبه إلى أنه أعان على قتل عثمان ، وانهزم الزبير طالباً المدينة ، وقطعت على خطام الجمل أيد كثيرة وقتل أيضاً بين الفريقين خلق كثير ، ولما كثر القتل على خطام الجمل قال على : اعقرو الجمل ، فضربه رجل فسقط ، فبقيت عائشة فى هودجها إلى الليل ، وأدخلها محمد بن أبى بكر أخوها إلى البصرة ، وأنزلها فى دار عبد الله بن خلف ، وطاف على على القتلى من أصحاب الجمل وصلى عليهم ودفنهم ، ولما رأى طلحة قتيلاً قال إنا لله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى ، أنت والله كما قال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى عليه ، ولم ينقل عنه أنه صلى على قتلى الشام بصفين .

ولما انصرف الزبير من وقعة الجمل طالباً المدينة مر بماء لبنى تميم وبه الأحنف بن قيس ، فقيل للأحنف – وكان معتزلاً القتال – هذا الزبير قد أقبل ، فقال : قد جمع بين هذين العارين يعنى العسكرين وتركهم ، وأقبل فى مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعى فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبع الزبير حتى وجده بوادى السباع نائماً فقتله ، ثم أقبل برأسه إلى على بن أبى طالب ، فقال على : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : بشر [وا] قاتل الزبير بالنار فقال عمرو بن جرموز المذكور لعنه الله تعالى :

أتيت عليًّا برأس الزبير وقد كنت أحسبها زلفة
فبشر بالنار قبل العيان فبئس البشارة والتحفة
وسيان عندى قتل الزبير وضرطة عير بذى الجحفة

ثم أمر على عائشة بالرجوع إلى المدينة وأن تقر فى بيتها ، فسارت مستهل رجب من هذه السنة ، وشيعها الناس وجهزها على بما احتاجت إليه وسير معها أولاده مسيرة يوم ، وتوجهت إلى مكة فأقامت للحج تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة ، وقيل : كانت عدة القتلى يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف .

واستعمل على على البصرة عبد الله بن عباس ، وسار إلى الكوفة فنزلها ، وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ، ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام وفيه معاوية وأهل الشام مطيعون له ، فأرسل إليه على جرير بن عبد الله البجلى ليأخذ البيعة على معاوية [ق ٨٢ / ب] ويطلب منه الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار ، فسار جرير إلى معاوية فماطله معاوية ، وكان عمرو بن العاص بفلسطين – حتى قدم عمرو إلى معاوية ، فوجد أهل الشام يحضون على الطلب بدم عثمان ، فقال لهم عمرو : أنتم على الحق ، واتفق عمرو ومعاوية على قتال على ، وشرط عمرو على معاوية إذا ظفر أن يوليه مصر ، فأجابه إلى ذلك ، وكان قيس بن سعد بن عبادة متولياً على مصر من جهة على على ما ذكرناه ، وقد اعتزل عنه جماعة عثمانية إلى قرية من بلد مصر يقال لها خربتا ، وكان قيس المذكور من دعاة العرب فرأى من المصلحة مداهنة المذكورين وكف الحرب لئلا ينضموا إلى معاوية ، وكتب معاوية إلى قيس المذكور يستميله ويبذل له الولايات العظام فلم يُفد فيه ، فزور عليه معاوية كتابًا وقرأه على الناس يوهمهم أن قيساً معه ولذلك لم يقاتل المعتزلين عنه بخربتا ، فبلغ علياً ذلك فعزل قيساً عن مصر وولى عليها محمد بن أبى بكر ، ولحق قيس بالمدينة ووصل إلى على وحضر معه حرب صِفِّين وحكى لعلى ما جرى له مع معاوية ، فعلم صحة ذلك وبقى قيس المذكور مع على ثم مع الحسن على ذلك إلى أن سلم الأمر إلى معاوية . وأما محمد بن أبى بكر فوصل إلى مصر وتولى عليها ووصاه قيس فى أنه لا يتعرض إلى أهل خربتا فلم يقبل محمد ذلك ، وبعث إلى أهل خربتا يأمرهم بالدخول فى بيعة على أو الخروج من أرض مصر فأجابوه أن لا نفعل ودعنا ننظر إلى ما يصير إليه أمرنا فأبى عليهم .

ذكر وقعة صِفِّين

ولما قدم عمرو إلى معاوية كما ذكرنا واتفقا على حرب على ، قدم جرير بن عبد الله البُجَلِى على على فأعلمه بذلك ، فسار على من الكوفة إلى جهة معاوية وقدم عليه عبد الله بن عباس

ومن معه من أهل البصرة ، فقال على رضى الله عنه :

لأصبحن العاص وابن العاصى سبعين ألفاً عاقدى النواصى
مجنبين الخيل بالقلاص مستحقبين حلق الدلاص

وحدا بعلى نابغة بنى جعد [ة] الشاعر ، فقال :

قد علم المصران والعراق أن عليًا فحلها العتاق
أبيض جحجاح له رواق أن الألَى جاروك لا أفاقوا
لكم سباق ولهم سباق قد سلمت ذلك الرفاق

وسار عمرو ومعاوية من دمشق بأهل الشام إلى جهة على ، وتأنى معاوية فى مسيره حتى اجتمعت الجموع بصفين ، وخرجت سنة ست وثلاثين والأمر على ذلك .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين :

والجيشان بصفين ، ومضى المحرم ولم يكن بينهم قتال ، بل مراسلات يطول ذكرها لم ينتظم بها أمر ، ولما دخل صفر وقع بينهم القتال فيه ، وكانت بينهم وقعات كثيرة بصفين ، قيل كانت تسعين وقعة ، وكان مدة مقامهم بصفين مائة وعشرة أيام ، وكانت عدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً ، منهم ستة وعشرون رجلاً من أهل بدر ، وكان على [قد] تقدم إلى أصحابه أن [لا] يقاتلوهم حتى يبدءوهم بالقتال وأن لا يقتلوا مدبراً ولا يأخذوا شيئاً من أموالهم وأن لا يكشفوا عورة ، قال معاوية : أردت الانهزام بصفين ، فتذكرت قول ابن الإطنابة فثبت وكان جاهلياً ، والإطنابة [اسم] امرأة ، وهو قوله : [ق ٨٣ / أ] .

أبت لى همتى وحياء نفسى وإقدامى على البطل المسيح
وإعطائى على المكروه مالى وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وقولى كلما جشأت وجاشت رويدك تحمدى أو تستريحى

وقاتل عمار بن ياسر رضى الله عنه مع على قتالاً عظيماً ، وكان قد نيف عمره على تسعين سنة ، وكانت الحربة فى يده ويده ترعد ، وقال : هذه حربة قاتلت بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة ؛ ودعا بقدح من لبن فشرب منه ، ثم قال : صدق الله ورسوله اليوم ألقى الأحبة : محمداً وحزبه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن آخر رزقى من الدنيا ضيحة لبن ، والضيح اللبن الرقيق الممزوج ، وروى أنه كان يرتجز :

نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله

ضـــربـــا يــزيـــل الهـــام عـــن مـقـيـلـه
ويـــذهـــل الخـــليـــل عـــن خـــليـــله

ولم يزل عمار المذكور يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه ، وفى الصحيح المتفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] قال : يقتل عماراً الفئة الباغية ، قيل إن الذى قتله أبو عادية برمح فسقط عمار ، فجاء آخر فاحتز رأسه وأقبلا يختصمان إلى عمرو ومعاوية كل منهما يقول : أنا قتلته ، فقال عمرو : إنكما فى النار ، فلما انصرفا : قال معاوية لعمرو : ما رأيت مثل ما [رأيت اليوم] صرفت قوماً بذلوا أنفسهم دوننا ، فقال عمرو هو والله ذلك والله إنك لتعلمه ولوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة .

وبعد قتل عمار رضى الله عنه ، انتدب على اثنى عشر ألفاً وحمل بهم على عسكر معاوية ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وعلى يقول :

أقتلهـــم ولا أرى معـــاويـــه الجاحظ العين العظيم الحاويه

ثم نادى يا معاوية : علام تقتل الناس ما بيننا ، هلم أحاكمك إلى الله ، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال عمرو : أنصفك ابن عمك ، فقال معاوية : ما أنصف إنك تعلم أنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله ، فقال عمرو : وما يحسن بك ترك مبارزته ، فقال معاوية : طمعت فى الأمر بعدى .

ثم تقاتلوا ليلة الهرير ، شبهت بليلة القادسية ، وكانت ليلة الجمعة ، واستمر القتال إلى الصبح ، وقد روى أن علياً كبر تلك الليلة أربعمائة تكبيرة ، وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلاً كبر ودام القتال إلى ضحى يوم الجمعة . وقاتل الأشتر قتالاً عظيما حتى انتهى إلى معسكرهم وأمده على بالرجال ، ولما رأى عمرو ذلك ، قال لمعاوية : هلم نرفع المصاحف على الرماح ونقول هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، ففعلوا ذلك ، ولما رأى أهل العراق ذلك قالوا لعلى : ألا نجيب إلى كتاب الله ؛ فقال على : امضوا على حقكم وصدقكم فى قتال عدوكم ، فإن عمراً ومعاوية وابن أبى معيط وابن أبى سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم ، ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ومكيدة ؛ فقالوا : لا تمنعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى ؛ فقال على إنى إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم كتاب الله ، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، فقال له مسعود بن فدك التميمى وزيد بن حصين الطائى فى عصابة من الذين صاروا خوارج ياعلى : أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم وتفعل بك ما فعلنا بابن عفان ، فقال على : إن تطيعونى فقاتلوا وإن تعصونى فافعلوا ما بدالكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر فليأتك ، فبعث إليه يدعوه ، فقال الاشتر : [ق ٨٣ / ب] ليس هذه الساعة التى ينبغى أن تزيلنى عن موقفى ، فرجع الرسول وأخبره بالخبر وارتفعت

الأصوات ، وكثر الرهج من جهة الأشتر ، [فقالوا لعلى : ما نراك أمرته إلا بالقتال ، فقال : هل رأيتمونى ساررت الرسول إليه ، أليس كلمته وأنتم تسمعون] ، فقالوا : فابعث إليه ليأتك وإلا اعتزلناك ، فرجع الرسول إلى الأشتر وأعلمه ، فقال : قد علمت والله أن رفع المصاحف يوقع اختلافاً وأنها مشورة ابن العاهرة ، فرجع الأشتر إلى على وقال : خدعتم فانخدعتم ، وكان غالب تلك العصابة الذين نهوا عن القتال قراء ، ولما كفوا عن القتال سألوا معاوية لأى شىء رفعت المصاحف ، فقال : تنصبوا حكماً منكم وحكمًا منا ونأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليه ، فوقعت الإجابة من الفريقين إلى ذلك ، فقال الأشعث بن قيس وهو من أكبر الخوارج : إنا قد رضينا بأبى موسى الأشعرى ، فقال على : قد عصيتمونى فى أول الأمر ، فلا تعصونى الآن لا أرى أن أولى أبا موسى ، فقالوا : لا نرضى إلا به ، فقال على : إنه ليس بثقة فقد فارقنى وخذل عنى الناس ثم هرب منى حتى أمنته بعد أشهر ولكن ابن عباس أولى منه ، فقالوا ابن عباس ابن عمك ولا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، قال على : فالأشتر ، فأبوا وقالوا : هل أسعرها إلا الأشتر ، فاضطر على إلى إجابتهم ، وأخرج أبا موسى ، وأخرج معاوية عمرو بن العاص بن وائل ، واجتمع الحكمان عند على رضى الله عنه وكتب بحضوره كتاب القضية ، وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى أمير المؤمنين على » .

فقال عمرو : هو أميركم وأما أميرنا فلا ، فقال الأحنف : لا تمح اسم أمير المؤمنين ، فقال الأشعث بن قيس : امح هذا الاسم ، فأجابه على ومحاه ، وقال على : الله أكبر سنة بسنة والله إنى لكاتب رسول الله يوم الحديبية، فكتبت محمدًا رسول الله، فقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه ، فقلت : لا أستطيع ، فقال : فأرنى ، فأريته ، فمحاه بيده ، فقال لى : إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب ، فقال عمرو : سبحان الله تشبهنا بالكفار ونحن مؤمنون ، فقال على رضى الله عنه : يا ابن الباغية ومتى لم تكن للفاسقين وليًا وللمؤمنين عدواً ، فقال عمرو : والله لا يجمع بينى وبينك مجلس بعد اليوم ، فقال على : إنى لأرجو أن يطهر الله مجلسى منك ومن أشباهك ، وكتب الكتاب فمنه :

« هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، قاضى علىّ على أهل الكوفة ومن معهم ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم ، إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ، نحيى ما أحيا ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان فى كتاب الله – وهما أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص – عملا به ، وما لم يجدا فى كتاب الله فبالسنة العادلة ، وأخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجندين المواثيق أنهما أمينان على أنفسهما وأهلهما والأمة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه ، وأجلا القضاء إلى رمضان من هذه السنة ، وإن أحبا أن

يؤخرا ذلك أخراه ، وكتب فى يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على أن يوافى علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل فى رمضان فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا فى العام المقبل بأَذْرُح » . ثم سار على إلى العراق وقدم إلى الكوفة ، ولم تدخل الخوارج معه إلى الكوفة واعتزلوا عنه .

ثم فى هذه السنة : بعث على للميعاد أربعمائة رجل فيهم أبو موسى الأشعرى وعبد الله بن عباس [ق ٨٤/أ] ليصلى بهم ، ولم يحضر على . وبعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة رجل ثم جاء معاوية ، واجتمعوا بأَذْرُح ، وشهد معهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ، والتقى الحكمان ، فدعى عمرو أبا موسى إلى أن يجعل الأمر إلى معاوية ، فأبى وقال : لم أكن لأوليه وأدع المهاجرين الأولين ، ودعى أبو موسى عمرًا إلى أن يجعل الأمر إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأبى عمرو ، ثم قال عمرو : ما ترى أنت ، فقال : أرى أن نخلع عليا ومعاوية ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فأظهر له عمرو أن هذا هو الرأى ووافقه عليه ، ثم أقبلا إلى الناس وقد اجتمعوا ، فقال أبو موسى : إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو به صلاح هذه الأمة ، فقال عمرو : صدق ، تقدم فتكلم يا أبو موسى ، فلما تقدم لحقه عبد الله بن عباس ، وقال له : ويحك والله إنى أظن أنه خدعك ، إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك ، فإنى لا آمن أن يخالفك ، فقال أبو موسى : إنا قد اتفقنا ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنا لم نر أصلح لأمر هذه الأمة من أمر قد اجتمع عليه رأيى ورأى عمرو وهو أن نخلع عليًا ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا ، وإنى قد خلعت عليًا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحى ، وأقبل عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبى فإنه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ، فقال له أبو موسى مالك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ، وركب أبو موسى ولحق بمكة حياء من الناس ، وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ، ومن ذلك الوقت أخذ أمر على فى الضعف وأمر معاوية فى القوة .

ولما اعتزلت الخوارج علياً دعاهم إلى الحق فامتنعوا وقتلوا كل من أرسله إليهم ، فسار إليهم وكانوا أربعة آلاف ووعظهم ونهاهم عن القتال ، فتفرقت منهم جماعة وبقى مع عبد الله بن وهب جماعة على ضلالتهم وقاتلوا فقتلوا عن آخرهم ، ولم يقتل من أ صحاب على سوى تسعة أنفس أولهم : يزيد بن نويرة وهو ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة أحد ، ولما رجع على إلى الكوفة حض الناس على المسير إلى قتال معاوية ، فتقاعدوا وقالوا : نستريح ونصلح عدتنا ، فاحتاج لذلك على أن يدخل الكوفة .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين :

فيها : جهز معاوية عمرو بن العاص بعسكر إلى مصر ، وكتب محمد بن أبي بكر يستنجد علياً فأرسل إليه الأشتر ، فلما وصل الأشتر إلى القلزم سقاه رجل عسلاً مسموماً فمات منه ، فقال معاوية : إن لله جنداً من عسل ، وسار عمرو حتى وصل إلى مصر وقاتله أصحاب محمد بن أبي بكر ، فهزمهم عمرو ، وتفرق عن محمد أصحابه ، وأقبل محمد يمشي حتى انتهى [إلى] خربتا فقبض عليه وأتوا به [إلى] معاوية بن خُدَيْج فقتله وألقاه في جيفة حمار وأحرقه بالنار ، ودخل عمرو مصر وبايع أهلها لمعاوية ، و [لما] بلغ عائشة قتل أخيها محمد ، جزعت عليه وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو بن العاص ، وضمت عيال أخيها محمد إليها ، ولما بلغ عليا مقتله ، جزع عليه وقال : عند الله نحتسبه ، وكان ذلك في هذه السنة أعني سنة ثمان وثلاثين ثم بث [ق ٨٤ / ب] معاوية سراياه بالغارات على أعمال عليّ ، فبعث النعمان بن بشير الأنصاري إلى عين التمر فنهب وهزم من كان بها من أصحاب علي ، وبعث سفيان بن عوف إلى هيت والأنبار والمدائن فنهب وحمل ما كان بالأنبار من الأموال ورجع بها إلى معاوية ، وسير عبد الله بن مسعدة الفزاري إلى الحجاز . فجهز إليه علي خيلاً فالتقوا بتيماء ، وانهزم أصحاب معاوية ولحقوا بالشام ، وتتباعت الغارات على بلاد علي رضي الله عنه وهو في ذلك يخطب الناس الخطب البليغة ويجتهد بحضهم على الخروج إلى قتال معاوية فيتقاعد عنه عسكره .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين : والأمر على ذلك.

وفيها : سير عبد الله بن عباس – وكان عامل البصرة – زياداً إلى فارس وكانت قد اضطربت لما حصل من قتال علي ومعاوية ، فوصل إليها زياد وضبطها أحسن ضبط حتى قالت الفرس : ما رأينا مثل سياسة أنوشروان إلا سياسة هذا العربي .

ثم دخلت سنة أربعين :

وعليّ بالعراق ومعاوية بالشام وله معها مصر ، وكان علي يقنت في الصلاة ويدعو على معاوية وعلى عمرو بن العاص وعلى الضحاك وعلى الوليد بن عقبة وعلى الأعور السُّلَمِي ، ومعاوية يقنت في الصلاة ويدعو على علي وعلى الحسن وعلى الحسين وعلى عبد الله بن جعفر .

وفي هذه السنة : سيرٍ معاوية بشر بن أرطاة في عسكر إلى الحجاز فأتى المدينة وبها أبو أيوب الأنصاري عاملاً لعلي ، فهرب ولحق بعلي ، ودخل بشر المدينة وسفك فيها الدماء

واستكره الناس على البيعة لمعاوية ، ثم سار إلى اليمن وقتل ألوفاً من الناس ، فهرب منه عبيد الله بن العباس عامل على باليمن فوجد لعبيد الله ابنين صبيين فذبحهما وأتى فى ذلك بعظيمة فقالت أمهما وهى عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان تبكيهما :

هامن أحسّ بابنيّ اللذين هما ... كالدُّرتين تشظى عنهما الصدف
هامن أحسّ بابنى اللذين هما ... قلبى وسمعى فقلبى اليوم مختطف
مِنْ ذُلٍّ والهة حَيْرى مدلهة ... على صبيين ذلا إذ غدا السلف
خيرت بِشْرًا وما صدّقت ما زعموا ... من إفكهم ومن القول الذى اقترفوا
أنْحَى على ودجى ابنى مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

ذكر مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه

قيل : اجتمع ثلاثة من الخوارج منهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى ، وعمرو بن بكر التميمى ، والبرك بن عبد الله التميمى ، ويقال إن اسمه الحجاج ، فذكروا إخوانهم من المارقة المقتولين بالنهروان ، فقالوا : لو قتلنا أئمة الضلالة أرحنا منهم البلاد ، فقال ابن مُلْجَم : أنا أكفيكم علياً ، وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، وتعاهدوا أن لا يفر أحد منهم من صاحبه الذى توجه إليه ، واستصحبوا سيوفاً مسمومة ، وتواعدوا لسبع عشرة ليلة تمضى من رمضان من هذه السنة – أعنى سنة أربعين – أن يثب كل واحد منهم بصاحبه ، واتفق مع عبد الرحمن بن ملجم رجلان ، أحدهما يقال له وردان من تيم الرباب ، والآخر شبيب من أشجع ، ووثبوا على على وقد خرج إلى صلاة الغداة ، فضربه شبيب فوقع سيفه فى الطاق فهرب فنجا فى غمار الناس [ق ٨٥ / أ] وضربه ابن ملجم فى جبهته ، وأما وردان فهرب ، وأمسك ابن ملجم وأحضر مكتوفا بين يدى على ، ودعا علىٌّ الحسن والحسين وقال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شىء زوى عنكما منها ، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضى الله عنه .

وأما البرك فوثب على معاوية فى تلك الليلة وضربه بالسيف ، فوقع فى إلية معاوية وأمسك البرك ، فقال له : إنى أبشرك فلا تقتلنى ، فقال : بماذا ؟ قال : إن رفيقى قتل عليًا هذه الليلة ، فقال معاوية : لعله لم يقدر ، فقال : بل إن عليًا ليس معه من يحرسه ، فقتله معاوية .

وأما عمرو بن بكر فإنه جلس تلك الليلة لعمرو بن العاص ، فلم يخرج عمرو إلى الصلاة ، وكان قد أمر خارجة بن أبى حبيبة صاحب شرطته أن يصلى بالناس ، فخرج خارجة ليصلى بالناس ، فشدّ عليه عمرو بن بكر وهو يظن أنه عمرو بن العاص ، فقتله ، فأخذه

الناس وأتوا به عمراً ، فقال من هذا ، قالوا : عمراً ، فقال : أى مَنْ قتلتَ ، قالوا : خارجة ، فقال عمرو : أردت عمراً وأراد الله خارجة .

ولما مات على ، أخرج عبد الرحمن بن ملجم من الحبس ، فقطع عبد الله بن جعفر يده ثم رجله وكحلت عيناه بمسمار محمى وقطع لسانه وأحرق لعنه الله .

ولبعض الخوارج وهو عمران بن حطان - لعنه الله - يرثى ابن ملجم المذكور لعنه الله :

لله در المرادى الذى فتكت — كفاه [مهجة] شر الخلق إنسانا
يا ضربة من ولى ما أراد بها — إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره يوماً فأحسبه — أوفى الخليقة عند الله ميزانا

واختلف فى عمر على رضى الله عنه ، فقيل كان ثلاثاً وستين وقيل خمسًا وستين وقيل تسعاً وخمسين ، وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وكان قتله كما ذكرنا - صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين ، واختلف فى موضع قبره ، فقيل دفن مما يلى قبلة المسجد بالكوفة ، وقيل عند قصر الإمارة ، وقيل حوله ابنه الحسن إلى المدينة ودفنه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة رضى الله عنها ، والأصح - وهو الذى ارتضاه ابن الأثير وغيره - أن قبره هو المشهور بالنجف وهو الذى يزار اليوم .

ذكر صفته رضى الله عنه

كان شديد الأدْمَةِ ، عظيم العينين ، بطينًا ، أصلع ، عظيم اللحية ، كثير شعر الصدر ، مائلاً إلى القصر ، حسن الوجه ، لا يغير شيبه ، كثير التبسم ، وكان حاجبه قنبر مولاه ، وصاحب شرطته نعثل بن قيس الرياحى ، وكان قاضيه شريحاً ، وكان قد ولاه عمر قضاء الكوفة ولم يزل قاضيًا بها إلى أيام الحجاج بن يوسف ، وأول زوجة تزوج بها على رضى الله عنه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يتزوج غيرها فى حياتها ، وولد له منها الحسن والحسين ومحسّن - مات صغيراً - وزينبُ وأم كلثوم التى تزوجها عمر بن الخطاب ، ثم بعد موت فاطمة تزوج أم البنين بنت حزام الكلابية ، فولد له منها : العباس وجعفر وعبد الله وعثمان - قتل هؤلاء الأربعة مع أخيهم الحسين ولم يُعَقِّبْ منهم غير العباس - ، وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد [ق ٨٥ / ب] النهشلى التميمى وولد له منها : عبيد الله وأبو بكر ، قتلا مع الحسين أيضًا ؛ وتزوج أسماء بنت عميس ، وولد له منها : محمد الأصغر ويحيى ولا عقب لهما ؛ وولد له من الصهباء بنت ربيعة التغلبية وهى من السبى الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر : عمر ورقية ، وعاش عمر المذكور حتى بلغ من العمر خمساً وثمانين سنة ، وحاز نصف ميراث أبيه على ومات بينبع وله عقب ، وتزوج على أيضاً أمامة بنت

أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وولد له منها : محمد الأوسط ولا عقب له ؛ وولد له من خولة بنت جعفر الحنفية : محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية وله عقب ؛ وكان له بنات من أمهات شتى منهن : أم حسن ورملة الكبرى من أم سعيد بنت عروة ، ومن بناته : أم هانى وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة ؛ فجميع بنيه الذكور أربعة عشر لم يعقب منهم إلا خمسة : الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية والعبّاس وعمر .

ذكر شيء من فضائله

من ذلك مشاهده المشهورة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ، وسَبْق إسلامه ، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه (فى غزوة خيبر) [لأبعثن الراية غدًا مع رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وقوله ﷺ له] : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » ، وقال عليه الصلاة والسلام : أقضاكم علىّ ، والقضاء يستدعى معرفة أبواب الفقه كلها ، بخلاف قوله : أفرضكم زيد وأقرأكم أبى ولم يبن على بناء أصلاً ، وكان قد ضاع لعلى درع فوجده مع نصرانى فأقبل به مع شريح القاضى وجلس إلى جانبه وقال : لو كان خصمى مسلماً لساويته ، وقال : هذه درعى ، فقال النصرانى : ما هى إلا درعى ، فقال شريح لعلى : ألك بينة ؟ فقال على : لا وهو يضحك ، فأخذ النصرانى الدرع ومشى يسيراً ثم عاد وقال : أشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من على عند مسيره إلى صفين ، ففرح على بإسلامه ووهبه الدرع وفرساً ، وشهد مع على قتال الخوارج فقتل رحمه الله تعالى ، وحمل على فى ملحفته تمراً اشتراه بدرهم فقيل له يا أمير المؤمنين : ألا نحمله عنك ، فقال أبو العيال أحق بحمله ، وكان يقسم ما فى بيت المال كل جمعة حتى لا يترك فيه شيئاً ، ودخل مرة إلى بيت المال فوجد الذهب والفضة ، فقال : يا صفراء اصفرى ويا بيضاء ابيضى وغرى غيرى لا حاجة لى فيك ، وقصده أخوه لأبيه وأمه عقيل بن أبى طالب يسترفده ، فلم يجد عنده ما يطلب ففارقه ولحق بمعاوية حباً للدنيا ، وكان مع معاوية يوم صفين ، فقال له معاوية يمازحه : يا أبا يزيد أنت اليوم معنا ، فقال عقيل ويوم بدر كنت أيضاً معكم ، وكان عقيل يوم بدر مع المشركين هو وعمه العباس .

أخبار الحسن ابنه

ولما توفى على رضى الله بايع الناس ابنه الحسن ، وكان عبد الله بن عباس قد فارق علياً قبل مقتله وأخذ من البصرة مالاً وذهب به إلى مكة [ق ٨٦ / أ] وجرت بينه وبين على مكاتبات فى ذلك . ولما تولى الحسن الخلافة كتب إليه ابن عباس يقوى عزيمته على جهاد عدوه ، وكان أول من بايع الحسن قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ، فقال : ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال المخالفين ، فقال الحسن : على كتاب الله وسنة رسوله فإنهما ثابتان ، وبايعه الناس ، وكان الحسن يشترط أنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت ، فارتابوا من ذلك وقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين :

ذكر تسليم الحسن الأمر إلى معاوية

قيل : كان علىٌّ قد بايعه - قبيل موته - أربعون ألفاً من عسكره على الموت ، وأخذ فى التجهز على قتال معاوية فاتفق مقتله ، ولما بويع الحسن بلغه مسير أهل الشام إلى قتاله مع معاوية ، فتجهز الحسن إلى ذلك الجيش الذين كانوا قد بايعوا أباه ، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية ووصل إلى المدائن ، وجعل الحسن على مقدمته قيس بن سعد فى اثنى عشر ألفاً ، وقيل بل الذى جعله على مقدمته عبيد الله بن عباس ، وجرى فى عسكره فتنة ، قيل حتى نازعوا الحسن بساطاً كان تحته ، فدخل المقصورة البيضاء بالمدائن وازداد لذلك العسكر بغضا ومنهم ذعراً ، ولما رأى الحسن ذلك كتب إلى معاوية واشترط عليه شروطاً ، وقال : إن أجبت إليها فأنا سامع مطيع ، فأجاب معاوية إليها ، وكان الذى طلبه الحسن أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة وخراج دَارْ بَجَـرْدُ من فارس وأن لا يسب علياً ، فلم يجبه إلى الكف عن سب على ، فطلب الحسن أن لا يشتم علياً وهو يسمع ، فأجابه إلى ذلك ، ثم لم يف له به ، وقيل إنه وصله بأربعمائة ألف درهم ولم يصل إلى شىء من خراج دَارْ بَجرْد . ودخل معاوية الكوفة ، فبايعه الناس ، وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بالدخول فى طاعة معاوية ، ثم جرت بين قيس وعبيد الله بن عباس وبين معاوية مراسلات ، وآخر الأمر أنهما بايعا ومن معهما وشرطا أن لا يطالبا بمال ولا دم ، ووفى لهما معاوية بذلك ، ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته ، وقيل كان تسليم الحسن الأمر إلى معاوية فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقيل فى ربيع الآخر ، وقيل فى جمادى الأولى ، وعلى هذا فتكون خلافته على القول الأول خمسة أشهر ونحو نصف شهر

وعلى الثانى ستة أشهر وكسراً وعلى الثالث سبعة أشهر وكسراً . روى سفينة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يعود ملكاً عضوضاً » ، وكان آخر الثلاثين يوم خلع الحسن نفسه من الخلافة .

وأقام الحسن بالمدينة إلى أن توفى بها فى ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة وهو أكبر من الحسين بسنة ، وتزوج الحسن كثيراً من النساء وكان مطلاقاً ، وكان له خمسة عشر ولداً ذكراً وثمانى بنات ، وكان يشبه جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رأسه إلى سرته ، وكان الحسين يشبه جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سرته إلى قدمه ، وتوفى الحسن من سُم [ق ٨٦ / ب] سقته زوجته جعدة بنت الأشعث ، قيل فعلت ذلك بأمر معاوية وقيل بأمر يزيد بن معاوية ووعدها أنه يتزوجها إن فعلت ذلك ، فسقته السم وطالبت يزيد أن يتزوجها فأبى ، وكان الحسن قد أوصى أن يدفن عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما توفى أرادوا ذلك ، وكان على المدينة مروان بن الحكم من قبل معاوية ، فمنع من ذلك وكاد يقع بين بنى أمية وبين بنى هاشم بسبب ذلك فتنة ، فقالت عائشة رضى الله عنها : البيت بيتى ولا آذن أن يدفن فيه ، فدفن بالبقيع . ولما بلغ معاوية موت الحسن خر ساجداً ، فقال بعض الشعراء :

أصبح اليوم ابن هند شامتًا	مظهر النخوة إذ مات الحسن
يا ابن هند إن تذق كأس الردى	تك فى الدهر كشىء لم يكن
لَسْتَ بالباقى فلا تشمت به	كل حى للمنايا مرتهن

ومن فضائل الحسن فى الصحيح قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » ، وروى أنه قال عن ا لحسن : « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » . وروى أنه مر بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما ، وقال : « نعم المطية مطيتهما ونعم الراكبان هما » .

ذكر خلفاء بنى أمية
وهم أربع عشرة خليفة

أولهم : معاوية بن أبى سفيان وآخرهم مروان الجعدى ، وكان مدة ملكهم نيفاً وتسعين سنة ، وهى ألف شهر تقريباً ، قال القاضى جمال الدين بن واصل رحمه الله إن ابن الأثير قال فى تاريخه : إنه لما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال : يا مسود وجوه المؤمنين ، فقال : لا تعذلنى فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُرِىَ فى منامه أن بنى أمية ينزون على

منبره رجلاً فرجلاً ، فساءه ذلك ، فأنزل الله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ و ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ يملكها بعد بنو أمية .

ذكر أخبار معاوية بن أبى سفيان

هو معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، وأمه هند بنت عتبة ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، وبويع بالخلافة يوم اجتماع الحكمين ، وقيل ببيت المقدس بعد قتل على ، وبويع البيعة التامة لما خلع الحسن نفسه وسلم الأمر إليه واستمر معاوية فى الخلافة .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسنة ثلاث وأربعين :

فيها : توفى عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعدّ بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى القرشى السهمى ، وعمرو المذكور هو أحد الثلاثة الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو : عمرو بن العاص وأبو سُفيان بن حرب وعبد الله بن الزبعرى ، وكان يجيبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيضًا ، وهم : حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ، وكانت مصر طعمة لعمرو من معاوية بعد رزق جندها حسب ما كان شرطه له معاوية عند اتفاقه معه على حرب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وفى ذلك يقول عمرو :

معاوىَّ لا أعطيك دينى ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فإن تعطنى مصراً ربحت بصفقة ... أخذت بها شيخًا يضر وينفع [ق ٨٧/أ]

ولما مات عمرو ولى معاوية مصر ابنه عبد الله بن عمرو ، ثم عزله عنها .

ذكر استلحاق معاوية زياداً

وفى هذه السنة : استلحق معاوية زياد بن سمية ، وكانت سمية جارية للحارث بن كَلَدَة الثقفى ، فزوجها بعبد له رومى يقال له عُبَيْد ، فولدت سمية زياداً على فراشه ، فهو ولد عبيد شرعًا ، وكان أبو سفيان قد سار فى الجاهلية إلى الطائف فنزل على إنسان يبيع الخمر يقال له أبو مريم ثم أسلم بعد ذلك وكانت له صحبة ، فقال له أبو سفيان : قد اشتهيت النساء فقال أبو مريم : هل لك فى سمية؟ فقال أبو سفيان: هاتها على طول ثدييها وذفر بطنها، فأتاه بها فوقع عليها ، فيقال إنها علقت منه بزياد ثم وضعته فى السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ، ونشأ زياد فصيحًا ، وحضر زياد يوماً بمحضر من جماعة من الصحابة فى خلافة عمر ، فقال عمرو بن العاص : لو كان أبو هذا غلاماً من قريش لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان لعلى بن أبى طالب : إنى لأعرف من وضعه فى رحم أمه ، فقال على : فما يمنعك من استلحاقه ، قال : أخاف الأصلع – يعنى عمر – أن يقطع إهابى بالدِّرَّةِ . ثم لما كان قضية شهادة الشهود على المغيرة بالزنا وجلدهم ومنهم أبو بكرة أخو زياد لأمه وامتناع زياد عن التصريح كما ذكرنا ، اتخذ المغيرة بذلك لزياد يداً . ثم لما ولى على بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافة ، استعمل زياداً على فارس ، فقام بولايتها أحسن قيام ، ولما سلَّم الحسن الأمر إلى معاوية ، امتنع زياد بفارس ولم يدخل فى طاعة معاوية ، وأهمَّ معاوية أمره وخاف أن يدعو إلى أحد من بنى هاشم ويعيد الحرب ، وكان معاوية قد ولى المغيرة بن شعبة الكوفة ، فقدم المغيرة على معاوية سنة اثنتين وأربعين فشكا إليه معاوية امتناع زياد بفارس ، فقال المغيرة : أتأذن لى فى المسير إليه ، فأذن له وكتب معاوية لزياد أماناً ، فتوجه المغيرة إليه لما بينهما من المودة وما زال عليه حتى أحضره إلى معاوية وبايعه ، وكان المغيرة يكرم زياداً ويعظمه من حين كان منه فى شهادة الزنا ما كان ، فلما كانت هذه السنة – أعنى سنة أربع وأربعين – استلحق معاوية زياداً ، فأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد بالنسب ، وكان ممن حضر لذلك أبو مريم الخمار الذى أحضر سُمية إلى أبى سفيان بالطائف ، فشهد بنسب زياد من أبى سفيان ، وقال : إنى رأيت أستكى سمية بقطران من منى أبى سفيان ، فقال زياد : رويدك طلبت شاهداً ولم تطلب شتاماً ، فاستلحقه معاوية ، وهذه أول واقعة خولفت فيها الشريعة علانية لصريح قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « الولد للفراشِ وللعاهر الحَجر »[١] ، وأعظم الناس ذلك وأنكروه خصوصاً بنو أمية لكون زياد بن عبيد الرومى صار من بنى أمية بن عبد شمس ، وقال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان فى ذلك :

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... لقد ضاقت بما تأتى اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زانِ [ق ٨٧ / ب]
وأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان

ثم ولَّى معاوية زياداً البصرة وأضاف إليه خراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

وفيها : أعنى سنة أربع وأربعين – توفيت أم حبيبة بنت أبى سفيان زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) الحَجَرُ : أى الخَيْبَةُ ، يعنى أن الولد لصاحب الفراش من السَّيِّد أو الزَّوج وللزانى الخَيْبةُ والحِرْمانُ ، انظر : لسان العرب مادة « حجر » ج ٢ طبعة دار المعارف .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين :

فيها : قدم زياد إلى البصرة فسدد أمر السلطنة وأكد الملك لمعاوية وجرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة ، فخافه الناس خوفاً شديداً وذكر أنه لم يخطب أحد بعد على بن أبي طالب رضى الله عنه مثل زياد ، ولما مات المغيرة سنة خمسين ، وكان عاملاً لمعاوية على الكوفة ، ولى معاوية الكوفة أيضاً زياداً فسار زياد إليها واستخلف على البصرة سَمُرَة بن جندب ، فحذا حذو زياد فى سفك الدماء ، وكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر وفى البصرة مثلها ، وهو أول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس خمسمائة لا يفارقون مكانه

وكان معاوية وعماله يدعون لعثمان فى الخطبة يوم الجمعة ويسبون علياً ويقعون فيه ، ولما كان المغيرة متولى الكوفة كان يفعل ذلك طاعة لمعاوية ، فكان يقوم حُجْرٌ وجماعة معه فيردون عليه سبه لعلى رضى الله عنه ، وكان المغيرة يتجاوز عنهم ، فلما ولى زياد دعا لعثمان وسب علياً وما كانوا يذكرون علياً باسمه ، وإنما كانوا يسمونه بأبي تراب ، وكانت هذه الكنية أحب الكنى إلى على ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنّاه بها ، فقام حُجْر ، وقال كما كان يقول من الثناء على علىَ ، فغضب زياد وأمسكه وأوثقه بالحديد وثلاثة عشر نفراً معه وأرسلهم إلى معاوية فشفع فى ستة منهم عشائرهم وبقى ثمانية منهم حُجْر ، فأرسل معاوية من قتلهم بعذراء ، وهى قرية بظاهر دمشق ، رضى الله عنهم ، وكان حُجْر من أعظم الناس دينا وصلاة ، وأرسلت عائشة تشفع فى حُجْر ، فلم يصل رسولها إلا بعد قتله .

قال القاضى جمال الدين بن واصل ، وروى ابن الجَوْزىّ بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال بأربع خصال كن فى معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة ، وهى : أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة وفى الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه يزيد وكان سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، وقتله حُجْر بن عدى وأصحابه ، فياويلا له من حجر وأصحاب حجر . وروى عن الشافعى رحمة الله عليه أنه أَسَرَّ إلى الربيع أنه [لا] يقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد .

فيها : أعنى سنة خمس وأربعين ، توفى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان أهل الشام قد مالوا إليه جدًّا ، فدس إليه معاوية سمًّا مع نصرانى يقال له أثال ، فاغتاله به .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وسنة سبع وأربعين :

فيها : توفى قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر وإليه ينسب ، فيقال المنقرى . وفد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وفد بنى تميم فأسلم ، وكان قيس المذكور موصوفًا بمكارم الأخلاق .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين : [ق ٨٨ / أ]

ذكر غزوة القسطنطينية

وفى هذه السنة : أعنى سنة ثمان وأربعين – سير معاوية جيشاً كثيفاً مع سفيان بن عوف إلى القسطنطينية [فأوغلوا فى بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية] ، وكان فى ذلك الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصارى وتوفى فى مدة الحصار ودفن بالقرب من سورها ، وشهد أبو أيوب مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم بدراً وأحداً ، وشهد مع على صِفّين وغيرها من حروبه .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسنة خمسين :

فيها : بنيت القيروان وكمل بناؤها فى سنة خمس وخمسين ، وكان من حديثها أن معاوية ولى عقبة بن نافع إفريقية ، وكان عقبة المذكور صحابياً من الصالحين . فوضع السيف فى أهل إفريقية ، لأنهم كانوا يرتدون إذا فارقهم العسكر ، وكان مقام الولاة بزَويلة وبرقة ، فرأى عقبة أن يتخذ مدينة بتلك البلاد تكون مقراً للعسكر واختار موضع القيروان ، وكان دَغَلَةً مشتبكة ، فقطع أشجارها وبناها مدينة وهى مدينة القيروان .

وفيها : أعنى فى سنة خمسين – توفى دحيةُ الكلبى ، وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة منسوب إلى كلب بن وبرة ، أسلم قديماً ولم يشهد بدراً ، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أشبه من رأيت بجبريل دحية الكلبى » .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين :

فيها : تُوفى سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضى الله عنهم .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسنة ثلاث وخمسين :

فيها : هلك زياد بن أبيه فى رمضان من أَكِلَةٍ[1] فى إصبعه وكان مولده عام الهجرة .

---

(١) الأكلة : مقصورٌ : داءٌ يقع فى العضو فيأتكل منه ، انظر لسان العرب مادة أكل المجلد الأول .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسنة خمس وخمسين وسنة ست وخمسين :

فيها : ولّى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، فقطع نهر جيحون إلى سمرقند والصُّغد وهزم الكفار وسار إلى ترمذ ففتحها صلحاً ، وممن قتل معه فى هذه الغزاة : قُثم بن العباس ودفن بسمرقند ، ومات أخوه عبد الله بن العباس بالطائف والفضل بالشام ، ومَعْبد بأفريقية ، فيقال لم ير قبور إخوة أبعد من قبور هؤلاء الإخوة بنى العباس .

وفى هذه السنة : بايع معاوية الناس لابنه يزيد بولاية العهد بعده ، وبايعه أهل الشام والعراق ، وكان المتولى على المدينة من جهة معاوية مروان بن الحكم ، فأراد البيعة له ، فامتنع من ذلك الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن الزبير ، وامتنع الناس لامتناعهم ، وآخر الأمر أن معاوية قدم بنفسه إلى الحجاز ، ومعه ألف فارس وتحدث مع عائشة فى أمرهم، وآخر الأمر أنه بايع ليزيد أهل الحجاز وتأخر المذكورون عن البيعة ،ويروى أن معاوية قال لابنه يزيد : إنى مهدت لك الأمور ولم يبق أحد لم يبايعك غير هؤلاء الأربعة ، فأما عبد الرحمن فرجل كبير تهابه اليوم أو غداً ، وأما ابن عمر فرجل قد غلب عليه الورع ، وأما الحسين فله قرابته ، فإن ظفرت به فاصفح عنه ، وأما ابن الزبير فإن ظفرت به فقطعه إرباً إرباً .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسنة ثمان وخمسين :

فيها : توفيت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم رضى الله عنها .

وفيها : توفى أخوها عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .

ثم [دخلت] سنة تسع وخمسين : [ق ٨٨ / ب]

فيها : توفى سعيد بن العاص بن أمية ، ولد عام الهجرة ، وقتل أبوه العاص يوم بدر كافراً ، وكان سعيد من أجواد بنى أمية .

وفى هذه السنة : أعنى سنة تسع وخمسين مات الحطيئة واسمه جرول بن مالك ، لقب الحطيئة لقصره ، أسلم ثم ارتدّ ثم أسلم ، وقال عند موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وارتداد العرب :

أطعنا رسول الله ما دام بيننا ... فيالعباد الله ما لأبى بكر
أيورثها بكر إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وفيها : توفى أبو هريرة واختلف فى اسمه ونسبه ، وهو ممن لازم خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وروى عنه الكثير فاتهمه بعض الناس لكثرة مارواه من الأحاديث والأكثر يصححون روايته ولايشكون فيها .

ثم دخلت سنة ستين :

ذكر وفاة معاوية

فيها : فى رجب توفى معاوية بن أبى سفيان ، وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً منذ اجتمع له الأمر ، وبايعه الحسن بن على ، وكان عمره خمساً وسبعين وقيل : سبعين ، وقيل غير ذلك ، وأنشد معاوية وقد تجلد للعائدين :

وتجلدى للشامتين أريهمُ   أنى لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لا تنفع

ولما توفى معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى أتى المنبر فصعده ومعه أكفان معاوية ، فأثنى على معاوية وأعلم الناس بموته وأن هذه أكفانه ، ثم صلى عليه الضحاك ، وكان يزيد غائباً بقرية حَوَّارِين من عمل حمص ، فكتبوا إليه وطلبوه ، فحضر بعد دفن أبيه فصلى على قبره .

ذكر أخبار معاوية

أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح ، واستكتبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، واستعمله عمر [على] الشام أربع سنين من خلافته ، وأقره عثمان مدة خلافته نحو اثنتى عشرة سنة ، وتغلب على الشام محاربًا لعلى أربع سنين ، فكان أميرًا وملكًا على الشام نحو أربعين سنة ، وكان حليمًا حازمًا داهية ، عالمًا بسياسة الملك ، وكان حلمه قاهرًا لغضبه وجوده غالباً على منعه ، يصل ولا يقطع ، ومما يحكى عن حلمه من تاريخ القاضى جمال الدين بن واصل أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم دخلت على معاوية وهى عجوز كبيرة ، فقال لها معاوية . مرحبًا بك يا خالة .. كيف أنت ، فقالت بخير يا ابن أختى .. لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك ، وكنا أهل البيت أعظم الناس فى هذا الدين بلاء حتى قبض الله نبيه مشكورًا سعيه مرفوعًا منزلته ، فوثبت علينا بعده تيم وعدى وأمية فابتزونا حقنا ووليتم [علينا] فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون ، وكان على بن أبى طالب بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ؛ فقال لها عمرو بن العاص : كفى

أيتها العجوز الضالة وأقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك ؛ فقالت : وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغى بمكة وأرخصهن أجرة وادّعاك خمسة من قريش فسئلت أمك عنهم ، [ق ٨٩/ أ] فقالت كلهم أتانى ، فانظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فألحقوك به ؛ فقال لها معاوية : عفا الله عما سلف هاتى حاجتك ، فقالت : أريد ألفى دينار لأشترى بها عينًا فوارة فى أرض خرارة تكون لفقراء بنى الحارث بن عبد المطلب ، وألفى دينار أخرى أزوج بها فقراء بنى الحارث ، وألفى دينار أخرى أستعين بها على شدة الزمان ، فأمر لها معاوية بستة آلاف دينار فقبضتها وانصرفت .

ومعاوية أول خليفة بايع لولده ، وأول من وضع البريد ، وأول من عمل المقصورة فى مسجد ، وأول من خطب جالسًا فى قول بعضهم .

وكان عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ممن يرى سماع الأوتار والغناء وهو رأى أهل المدينة ، وكان معاوية ينكر ذلك عليه ، فدخل ابن جعفر يومًا على معاوية ومعه بُدَيْح المغنى ، فقال ابن جعفر لبديح : غن ، فغنى بشعر كان يحبه معاوية وهو :

يا لبينى أوقدى النارا   إن من تَهْوَيْن قد حارا
ربّ نار بت أرمقها   تقضم الهندى والغارا
ولها ظبى يؤججها   عاقد فى الخصر زنارا

فطرب معاوية وتحرك وضرب برجله الأرض ، فقال له ابن جعفر : مه يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : إن الكريم لطروب .

وقال معاوية : أعنت على علىّ بثلاث ، كان رجلًا ظهرة علنة ، وكنت كتومًا لسرى ، وكان فى أخبث جند وأشده خلافًا ، وكنت فى أطوع جند وأقله خلافًا ، وخلا بأصحاب الجمل فقلت : إن ظفر بهم أعددت ذلك عليه وَهَنًا ، وإن ظفروا به كانوا أهون شوكة على منه .

أخبار يزيد ابنه
وهو ثانى خلفائهم

وأم يزيد ميسون بنت بحدل الكلبية ، بويع بالخلافة لمامات أبوه فى رجب سنة ستين ، ولما استقر يزيد فى الخلافة أرسل إلى عامله بالمدينة بإلزام الحسين وعبد الله بن الزبير وابن عمر بالبيعة ، فأما ابن عمر فقال : إن أجمع الناس على بيعته بايعته ، وأما الحسين وابن الزبير فلحقا بمكة ولم يبايعا ؛ وأرسل عامل المدينة جيشًا مع عمرو بن الزبير أخى عبد الله بن

الزبير ، وكان شديد العداوة لأخيه عبدالله لقتال أخيه عبد الله ، فانتصر عبد الله بن الزبير وهزم الجمع الذى مع أخيه وأمسك أخاه عمرًا وحبسه حتى مات فى حبسه .

ذكر مسير الحسين إلى الكوفة

وورد على الحسين مكاتبات أهل الكوفة يحثونه على المسير إليهم ليبايعوه ، وكان العامل عليها النعمان بن بشير الأنصارى ؛ فأرسل الحسين إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، ليأخذ البيعة عليهم ؛ فوصل إلى الكوفة وبايعه بها - قيل - ثلاثون ألفا وقيل ثمانية وعشرون ألف [ق ٨٩/ب] نفس ؛ وبلغ يزيد كلامًا عن النعمان بن بشير لا يرضيه ، فولى على الكوفة عبيد الله بن زياد ، وكان واليًا على البصرة ، فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه ، فخطبهم وحثهم على طاعة يزيد بن معاوية ، واستمر مسلم بن عقيل عند قدوم عبيد الله ابن زياد على ما كان ، ثم اجتمع إلى مسلم بن عقيل من كان بايعه للحسين وحصروا عبيد الله ابن زياد ، ولم يكن مع عبيد الله فى القصر أكثر من ثلاثين رجلًا ، ثم إن عبيد الله أمر أصحابه أن يشرفوا من القصر ويمنوا أهل الطاعة ويخذلوا أهل المعصية ، حتى إن المرأة ليأتى ابنها وأخاها فتقول ؛ انصرف إن الناس يكفونك ، فتفرق الناس عن مسلم ولم يبق مع مسلم غير ثلاثين رجلًا ، فانهزم واستتر ، ونادى منادى عبيد الله بن زياد : من أتى بمسلم بن عقيل فله ديته ، فأمسك مسلم وأحضر إليه ، ولما حضر مسلم بين يدى عبيد الله شتمه وشتم الحسين وعليًا وضرب عنقه فى تلك الساعة ورميت جيفته من القصر ، ثم أحضر هانىء بن عروة ، وكان ممن أخذ البيعة للحسين ، فضرب عنقه أيضًا ، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية ، وكان مقتل مسلم بن عقيل لثمان مضين من ذى الحجة سنة ستين .

وأخذ الحسين وهو بمكة فى التوجه إلى العراق ، وكان عبد الله بن عباس يكره ذهاب الحسين إلى العراق خوفًا عليه ، وقال للحسين : يا ابن العم إنى أخاف عليك أهل العراق ، فإنهم قوم أهل غدر ، وأقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز ، وإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها شيعة لأبيك وبها حصون وشعاب ؛ فقال الحسين : يا ابن العم إنى أعلم والله أنك ناصح مشفق ولقد أزمعت وأجمعت ، ثم خرج ابن عباس من عنده . وخرج الحسين من مكة يوم التروية سنة ستين واجتمع عليه جمائع من العرب ، ثم لما بلغه مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه أعلم الحسين من معه بذلك ، وقال : من أحب أن ينصرف فلينصرف ، فتفرق الناس عنه يمينًا وشمالًا ، ولما وصل الحسين إلى مكان يقال له سَرِف وصل إليه الحر صاحب شرطة عبيد الله بن زياد فى ألفى فارس حتى وقفوا مقابل الحسين فى حر الظهيرة ، فقال لهم الحسين : ما أتيت إلا بكتبكم إلى ، فإن رجعتم رجعت من هنا ، فقال له

صاحب شرطة ابن زياد : إنما أمرنا أن لا نفارقك حتى نوصلك الكوفة بين يدى عبيد الله [بن زياد] ، فقال الحسين : الموت أهون من ذلك ، ومازالوا عليه حتى سار مع صاحب شرطة ابن زياد .

ثم دخلت سنة إحدى وستين :

ذكر مقتل الحسين

ولما سار الحسين مع الحر ورد كتاب ابن زياد إلى الحر يأمره أن يترك الحسين ومن معه على غير ماء ، فأنزلهم فى الموضع المعروف بكربلاء ، وذلك يوم الخميس ثانى المحرم من هذه السنة – أعنى سنة إحدى وستين – ولما كان من الغد قدم من الكوفة عمر بن سعد بن أبى وقاص بأربعة آلاف فارس أرسله ابن زياد لحرب الحسين ، فسأله الحسين فى أن يمكن إما من العود من حيث أتى [ق ٩٠/أ] وإما أن يجهز إلى يزيد بن معاوية ، وإما أن يمكن أن يلحق بالثغور ؛ فكتب عمر إلى (عبيد الله بن) زياد – لعنه الله – يسأله أن يجاب الحسين إلى أحد هذه الأمور ، فاغتاظ ابن زياد وقال : لا ولا كرامة ، فأرسل مع شمر بن ذى الجوشن إلى عمر بن سعد : إما أن تقاتل الحسين وتقتله وتطأ الخيل جثته ، وإما أن تعتزل ويكون الأمير على الجيش شَمَّر ، فقال عمر بن سعد : بل أقاتله ونهض عشية الخميس تاسع المحرم من هذه السنة ، والحسين جالس أمام بيته بعد صلاة العصر . فلما قرب الجيش منه سألهم مع أخيه العباس أن يمهلوه إلى الغد وأنه يجيبهم إلى ما يختارونه فأجابوه إلى ذلك ، وقال الحسين لأصحابه : إنى قد أذنت لكم فانطلقوا فى هذا الليل وتفرقوا فى سوادكم ومدائنكم ، فقال أخوه العباس : لم تفعل ذلك ؟ لنبقى بعد ! لا أرانا الله ذلك أبدًا : ثم تكلم إخوته وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر بنحو ذلك .

وكان الحسين وأصحابه يصلون الليل كله ويدعون ، فلما أصبحوا ركب عمر بن سعد فى أصحابه وذلك يوم عاشرواء من السنة المذكورة ، وعبأ الحسين أصحابه وهم اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلاً ثم حملوا على الحسين وأصحابه ، واستمر القتال إلى وقت الظهر من ذلك اليوم ، فصلى الحسين وأصحابه صلاة الخوف واشتد بالحسين العطش ، فتقدم ليشرب فرمى بسهم فوقع فى فمه ، ونادى شمر : ويحكم ! ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ، فضربه زرعة بن شريك على كتفه وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن أنس النخعى بالرمح ، فوقع فنزل إليه فذبحه ، واحتز رأسه ، وقيل إن الذى احتز رأسه هو شمر المذكور ، وجاء به إلى عمر بن

سعد فأمر عمر بن سعد جماعة فوطئوا صدر الحسين وظهره بخيولهم ، ثم بعث بالرءوس والنساء والأطفال إلى عبيد الله بن زياد ، فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب في يده ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب فو الذى لا إله إلا غيره لقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هاتين الشفتين ثم بكى ، وروى أنه قتل مع الحسين من أولاد على أربعة هم : العباس وجعفر ومحمد وأبو بكر ، ومن أولاد الحسين أربعة ، وقتل عدة من أولاد عبد الله بن جعفر ، ومن أولاد عقيل .

ثم بعث ابن زياد بالرءوس وبالنساء والأطفال إلى يزيد بن معاوية ، فوضع يزيد رأس الحسين بين يديه واستحضر النساء والأطفال ، ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم إلى المدينة ، فجهزهم إلى المدينة ، ولما وصلوا إليها لقيهم نساء بنى هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبى طالب وهى تبكى وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم　　ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى　　منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم　　أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

واختلف فى موضع رأس الحسين ، فقيل جهز إلى المدينة ودفن عند أمه، وقيل دفن عند باب الفراديس [ق ٩٠/ب]، وقيل إن خلفاء مصر نقلوا من عسقلان رأسًا إلى القاهرة ودفنوه بها وبنوا عليه مشهدًا يعرف بمشهد الحسين ، وقد اختلف فى عمره ، والصحيح أنه خمس وخمسون سنة وأشهر ، وقيل حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشيًا ، وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة .

وأما عبد الله بن الزبير ، فإنه استمر بمكة ممتنعًا عن الدخول فى طاعة يزيد بن معاوية .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسنة ثلاث وستين :

فيها : اتفق أهل المدينة على خلع يزيد بن معاويةوأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبى سفيان منها ، فجهز يزيد جيشًا مع مسلم بن عقبة وأمره يزيد أن يقاتل أهل المدينة ، فإذا ظفر بهم أباحها للجند ثلاثة أيام يسفكون فيها الدماء ويأخذون ما يجدون من الأموال وأن يبايعهم على أنهم خول وعبيد ليزيد ، وإذا فرغ من المدينة يسير إلى مكة ؛ فسار مسلم المذكور فى عشرة آلاف فارس من أهل الشام حتى نزل على المدينة من جهة الحرَّة ؛ وأصر أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم على قتاله ، وعملوا خندقًا ، واقتتلوا ، فقتل الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارس بن عبد المطلب بعد أن قاتل قتالاً عظيمًا ، وكذلك قتل جماعة من الأشراف والأنصار وداء قتالهم ، ثم انهزم أهل المدينة وأباح مسلم مدينة النبى صلى الله عليه

وآله وسلم ثلاثة أيام ، يقتلون فيها الناس ، ويأخذون ما بها من الأموال ، ويفسقون بالنساء .

وعن الزهرى أن قتلى الحرة كانوا سبعمائة من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والأنصار ، وعشرة آلاف من وجوه الموالى وممن لا يعرف ، وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ؛ ثم إن مسلمًا بايع من بقى من الناس على أنهم خول وعبيد ليزيد ابن معاوية ، ولما فرغ مسلم بن عقبة من المدينة سار بالجيش إلى مكة .

ثم دخلت سنة أربع وستين :

ذكر حصار الكعبة

ولما فرغ مسلم من المدينة وسار إلى مكة كان مريضًا ، فمات قبل أن يصل إلى مكة ، وأقام على الجيش مقامه الحصين بن نمير السكونى ، وذلك فى المحرم من هذه السنة ، فقدم الحصين مكة وحاصر عبد الله بن الزبير أربعين يومًا حتى جاءهم الخبر بموت يزيد بن معاوية على ما سنذكره بعد رمى البيت الحرام بالمنجنيق وإحراقه بالنار . ولما علم الحصين بموت يزيد ، قال لعبد الله بن الزبير : من الرأى أن ندع دماء القتلى بيننا وأقبل لأبايعك ، وأقدم إلى الشام ، فامتنع عبد الله بن الزبير من ذلك ، فارتحل الحصين راجعًا إلى الشام ، ثم ندم ابن الزبير على عدم الموافقة ، وسار مع الحصين من كان بالمدينة من بنى أمية وقدموا إلى الشام .

ذكر وفاة يزيد بن معاوية بحوَّارين من عمل حمص

لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة ، أعنى سنة أربع وستين ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وستة أشهر ؛ وكان آدَم[1] جَعْدًا ، أحْورَ العينين ، بوجهه آثار جدرىّ ، حسن اللحية خفيفها ، طويلًا ؛ وخلف عدة بنين وبنات ؛ وكانت أمه ميسون بنت بحدل الكلبية ، أقام يزيد معها بين أهلها فى البادية وتعلم الفصاحة ونظم الشعر هناك فى بادية بنى كلب ، وكان سبب إرساله مع أمه هناك أن معاوية سمع ميسون بنت بحدل تنشد هذه الأبيات وهى [ق ٩١/أ] :

لَلُبْسُ عباءة وتقرعينى   أحبّ إلىّ من لبس الشفوف
وبيت تَخْفُقُ الأرياح فيه   أحبّ إلىّ من قصر منيف
وبكر تتبع الأظعان صعب   أحبّ إلى من بغل زفوف

(١) الآدم من الناس : الأسْمَرُ ، انظر : مادة أدم فى لسان العرب .

وكلب ينبح الأضياف دوني أحبّ إلى من هر ألوف
وخرق من بني عمي فقير أحبّ إلى من علج[1] عنيف

فقال لها معاوية : مارضيت يا ابنة بحدل حتى جعلتني عِلْجًا عنيفًا ، الحقى بأهلك ؛ فمضت إلى بادية بني كلب ويزيد معها .

ذكر أخبار معاوية بن يزيد بن معاوية وهو ثالث خلفائهم

ولما توفى يزيد بويع بالخلافة ولده معاوية فى رابع عشر ربيع الأول من هذه السنة ، وكان شابًا دينًا ، فلم تكن ولايته غير ثلاثة أشهر وقيل أربعين يومًا ، ومات وعمره إحدى وعشرون سنة ، وفى أواخر أيامه جمع الناس ، وقال : قد ضعفت عن أمركم ولم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لأستخلفه ولا مثل أهل الشورى ، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا من أحببتم ، ثم دخل منزله وتغيب فيه حتى مات ؛ وقيل إنه أوصى أنه يصلى بالناس الضحاك بن قيس حتى يقوم لهم خليفة .

ذكر البيعة لعبد الله بن الزبير

ولما مات يزيد بن معاوية بايع الناس بمكة ابن الزبير ، وكان مروان بن الحكم بالمدينة ، فقصد المسير إلى عبد الله بن الزبير ومبايعته ، ثم توجه مع من توجه من بنى أمية إلى الشام ، وقيل إن ابن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن لا يترك بها من بنى أمية أحدًا ، ولو سار ابن الزبير مع الحصين إلى الشام أو صانع بنى أمية ومروان لاستقر أمره ، ولكن لا مرد لما قدره الله تعالى . ولما بويع عبد الله بن الزبير بمكة ، كان عبيد الله بن زياد بالبصرة فهرب إلى الشام ، وبايع أهل البصرة ابن الزبير ، واجتمعت له العراق والحجاز واليمن ، وبعث إلى مصر فبايعه أهلها وبايع له فى الشام سرًا الضحاك بن قيس ، وبايع له بحمص النعمان بن بشير الأنصارى ، وبايع له بقنسرين زفر بن الحارث الكلابى ، وكاد يتم له الأمر بالكلية ، وكان عبد الله بن الزبير شجاعًا كثير العبادة ، وكان به البخل وضعف الرأى .

---

(١) العِلْجُ : الرَّجُل الشديد الغليظ ، انظر لسان العرب مادة علج .

أخبار مروان بن الحكم
وهو رابع خلفائهم

وقام مروان بالشام فى أيام ابن الزبير واجتمعت إليه بنو أمية ، وصار الناس بالشام فرقتين : اليمانية مع مروان ، والقيسية مع الضحاك بن قيس وهم يبايعون لابن الزبير وجرت مقاولات وأمور يطول شرحها .

ذكر وقعة مرج راهط

وآخر ذلك أن الفريقين التقوا بمرج راهط فى غوطة دمشق ، واقتتلوا ، وكانت الكرة على الضحاك والقيسية وانهزموا أقبح هزيمة ، وقتل جمع كثير من فرسان قيس ، ولما انهزمت قيس يوم المرج نادى منادى مروان بن الحكم ألا لايتبعُ أحد ، ودخل دمشق مروان ونزل فى دار معاوية بن أبى سفيان واجتمع عليه الناس ، وتزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية لخوفه من خالد .

ولما انهزمت القيسية وقتل الضحاك ، وبلغ ذلك أهل حمص وعليها النعمان بن بشير الأنصارى ، خرج هاربًا بامرأته وأهله ، فخرج [ق ٩١/ب] أهل حمص وقتلوا النعمان بن بشير وردوا برأس النعمان وأهله إلى حمص . ولما بلغ زفر بن الحارث وهو بقنسرين يدعو لابن الزبير – خبر الهزيمة ، خرج من قنسرين وأتى قرقيسيا فغلب عليها . واستوثق الشام لمروان ابن الحكم ، ثم خرج إلى جهة مصر وبعث قدامه عمرو بن سعيد بن العاص ، فدخل مصر وطرد عامل ابن الزبير عنها ، وبايع لمروان بن الحكم أهلها . ولما ملك مروان مصر رجع إلى دمشق .

وخرجت سنة أربع وستين ومروان خليفة بالشام ومصر ، وابن الزبير خليفة فى الحجاز والعراق واليمن .

وفى هذه السنة – أعنى سنة أربع وستين – هدم ابن الزبير الكعبة ، وكانت حيطانها قد مالت من ضرب المنجنيق ، فهدمها وحفر أساسها ، وأدخل الحجر فيها ، وأعادها على ما كانت عليه أولاً .

ثم دخلت سنة خمس وستين :

ذكر وفاة مروان بن الحكم

وتوفى بأن خنقته أم خالد بن يزيد بن معاوية زوجته وصاحت : مات فجأة ، وذلك لثلاث خلون من رمضان من هذه السنة - أعنى سنة خمس وستين ، ودفن بدمشق وعمره ثلاث وستون سنة ، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً .

ذكر شيء من أخباره

كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد طرد أباه الحكم إلى الطائف ، ولم يزل طريدًا فى أيام أبي بكر وعمر إلى أن رده عثمان كما ذكرناه ، ومروان هو الذى قتل طلحة بسهم نشاب فى حرب الجمل .

ذكر أخبار عبد الملك
وهو خامس خلفائهم

لما مات مروان بويع ابنه عبد الملك بن مروان فى ثالث رمضان من هذه السنة - أعنى سنة خمس وستين - عقب موت مروان ، واستتب له الأمر بالشام ومصر ، وقيل إنه لمَّا أتته الخلافة كان قاعدًا والمصحف فى حجره فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك .

ثم دخلت سنة ست وستين :

ذكر خروج المختار بن أبي عبيد الثقفى

وفى هذه السنة : خرج المختار بالكوفة طالبًا بثأر الحسين ، واجتمع إليه جمع كثير واستولى على الكوفة ، وبايعه الناس بها على كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدم أهل البيت ، وتجرد

المختار لقتال قتلة الحسين وطلب شَمَّر بن ذى الجوشن حتى ظفر به وقتله ، وبعث إلى خولى الأصبحى ، وهو صاحب رأس الحسين ، فاحتاط بداره وقتله وأحرقه بالنار ، ثم قتل عمر بن سعد بن أبى وقاص صاحب الجيش الذين قتلوا الحسين ، وهو الذى أمر أن يداس صدر الحسين وظهره بالخيل ، وقتل ابن عمر المذكور واسمه حفص ، وبعث برأسيهما إلى محمد ابن الحنفية بالحجاز وذلك فى ذى الحجة من هذه السنة . ثم إن المختار اتخذ كرسيًا وادعى أن فيه سرًّا وأنه لهم مثل التابوت لبنى إسرائيل ، ولما سار المختار بالجنود لقتال عبيد الله بن زياد خرج بالكرسى على بغل يحمله فى القتال .

ثم دخلت سنة سبع وستين :

ذكر مقتل عبيد الله بين زياد

وفى هذه السنة : فى المحرم ، أرسل المختار الجنود لقتال عبيد الله بن زياد ، وكان قد استولى على الموصل وقدم على الجيش إبراهيم بن الأشتر النخعى ، فاقتتلوا قتالاً . وانهزمت أصحاب ابن زياد وقتل عبيد الله بن زياد ، قتله إبراهيم بن الأشتر فى المعركة وأخذ رأسه وأحرق جثته ، وغرق [فى الزاب] من أصحاب ابن زياد [ق ٩٢/ أ] المنهزمين أكثر ممن قتل ، وبعث إبراهيم برأس ابن زياد وبعدة رءوس معه إلى المختار . وانتقم الله للحسين بالمختار وإن لم تكن نية المختار جميلة .

وفى هذه السنة - أعنى سنة سبع وستين - ولى ابن الزبير أخاه مصعبًا البصرة ، ثم سار مصعب إلى البصرة بعد أن طلب المهلب بن أبى صفرة من خراسان ، فقدم إليه بمال وعسكر كثير ، فسارا جميعا إلى قتال المختار بالكوفة ، وجمع المختار جموعه والتقيا ، فتمت الهزيمة بعد قتال شديد على المختار وأصحابه ، وانحصر المختار فى قصر الإمارة بالكوفة ، ودخل مصعب الكوفة وحاصر المختار ومازال المختار يقاتل حتى قتل ، ثم نزل أصحابه من القصر على حكم مصعب ، فقتلهم جميعًا ، وكانوا سبعة آلاف نفس ، وكان مقتل المختار فى رمضان سنة سبع وستين وعمره سبع وستون سنة .

وفى هذه السنة - أعنى سنة سبع وستين للهجرة - وقيل سنة إحدى وسبعين وقيل سنة تسع وستين وقيل سنة ثمان وستين توفى بالكوفة أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة ، وكان يعرف الضحاك المذكور بالأحنف ، وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم ، وكان سيد قومه ، موصوفًا بالعقل والدهاء والعلم والحلم والذكاء ، أدرك عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصحبه ، ووفد على عمر بن الخطاب فى أيام خلافته ، وكان

من كبار التابعين ، وشهد مع على وقعة صفين ، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين ؛ والأحنف المائل سُمى بذلك لأنه كان أحنف الرجل يطأ على جانبها الوحشى ، وقدم الأحنف المذكور على معاوية فى خلافته وحضر عنده فى وجوه الناس ، فدخل رجل من أهل الشام وقام خطيبًا وكان آخر كلامه أن لعن على بن أبى طالب ، فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك فى لعن المرسلين للعنهم فاتق الله ودع عنك عليًا فقد لقى ربه وأفرد فى قبره ، وكان والله الميمونة نقيبته العظيمة مصيبته ، فقال معاوية : يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى ، فايم الله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعًا أو كرهًا ، فقال الأحنف : أو تعفينى فهو خير لك ، فألح عليه معاوية ، فقال الأحنف . أما والله لأنصفنك فى القول ، قال : وما أنت قائل ؟ قال : أحمد الله بما هو أهله وأصلى على رسوله وأقول : أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليًا ألا وإن عليًا ومعاوية اختلفا فاقتتلا وادعى كل منهما أنه مبغى عليه ، فإذا دعوت فأمنوا ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية ، اللهم العنهم لعنًا كثيرًا ، أمنوا رحمكم الله ، يا معاوية أقوله ولو كان فيه ذهاب روحى ، فقال معاوية : إذن نعفيك من ذلك ولم يلزمه به .

ثم دخلت سنة ثمان وستين :

فيها : توفى عبد الله بن عباس بالطائف ، وكان محمد ابن الحنفية مقيما بالطائف أيضًا ، فصلى على ابن عباس [ق ٩٢/ب] ، وأقام محمد ابن الحنفية بالطائف إلى أن قدم الحجاج بن يوسف إلى مكة ، وكان مولد عبد الله بن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه الكلمة والتأويل ، وكان يسمى الحبر لكثرة علومه .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومابعدها إلى سنة إحدى وسبعين :

ذكر مقتل مصعب بن الزبير

فى هذه السنة : أعنى سنة إحدى وسبعين ، تجهز عبد الملك وسار إلى العراق ، وتجهز مصعب لملتقاه واقتتل الجمعان وكان أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وصاروا معه فى الباطن فتخلوا عن مصعب ، وقاتل مصعب حتى قتل هو وولده ، وكان مقتل مصعب بدير الجاثِليق عند نهر دجيل ، وكان عمر مصعب ستاً وثلاثين سنة ، وكان مقتله فى جمادى الآخرة سنة إحدى

وسبعين ، وكان مصعب صديق عبد الملك بن مروان قبل خلافته ، وتزوج مصعب سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ، وجمع بينهما فى عقد نكاحه . ثم دخل عبد الملك الكوفة وبايعه الناس واستوثق له ملك العراقين .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين :

فيها : جهز عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى فى جيش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير ، فسار الحجاج فى جمادى الأولى من هذه السنة ونزل الطائف ، وجرى بينه وبين أصحاب ابن الزبير حروب كانت الكرة فيها على أصحاب ابن الزبير ، وآخر الأمر أنه حصر ابن الزبير بمكة ورمى البيت الحرام بالمنجنيق ودام الحصار حتى خرجت السنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين :

والحجاج محاصر لابن الزبير ، وأبى ابن الزبير أن يسلم نفسه وقاتل حتى قتل فى جمادى الآخرة من هذه السنة بعد قتال سبعة أشهر ، وكان عمر ابن الزبير حين قتل نحو ثلاث وسبعين سنة ، وهو أول من ولد من المهاجرين بعد الهجرة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين ، لأنه بويع له سنة أربع وستين لما مات يزيد بن معاوية ، وكان عبد الله بن الزبير كثير العبادة مكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره .

وفى هذه السنة : بعد مقتل ابن الزبير بويع لعبد الملك بالحجاز واليمن ، واجتمع الناس على طاعته .

وفى هذه السنة - أعنى سنة ثلاث وسبعين - توفى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وكان موته بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وعمره سبع وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين :

فيها : هدم الحجاج الكعبة وأخرج الحجر عن البيت وبنى البيت على ما كان عليه فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو على ذلك إلى الآن ، واستمر الحجاج أميراً على الحجاز .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين :

فيها : أرسل عبد الملك إلى الحجاج بولاية العراق ، فسار من المدينة إلى الكوفة ، وخرج - فى أيام ولاية الحجاج العراق - شبيب الخارجى ، وكثرت جموعه ، وجرى له مع الحجاج حروب كثيرة ، آخرها أن جموع شبيب تفرقت وتردى به فرسه من فوق جسر وسقط

شبيب فى الماء وغرق . وكذلك خرج على الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث واستولى على خراسان ، ثم سار إلى جهة الحجاج وغلب على الكوفة ، وكثرت جموعه وقويت شوكته ، وفى ذلك يقول بعض أصحابه [ق ٩٣/أ] :

شطت نوى من داره بالإيوان	إيوان كسرى ذى القرى والزنجان
من عاشق أضحى بزابلستان	أن ثقيفًا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان	إنا سمونا للكفور الفتان
حتى طغى فى الكفر بعد الإيمان	بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبا من قحطان	بجحفل جم شديد الأركان
فقال الحجاج ولى الشيطان	يثبت لجمع مذحج وهمدان
فإنهم ساقوه كأس الدهقان	وملحقوه بقرى ابن مروان

ثم أمد عبد الملك الحجاج بالجيوش من الشام ، وآخر الأمر أن جموع عبد الرحمن تفرقت وانهزم ولحق بملك الترك ، وأرسل الحجاج يطلبه من ملك الترك ويتهدده بالغزو إن أخره ، فقبض ملك الترك على عبد الرحمن المذكور وعلى أربعين من أصحابه وبعث بهم إلى الحجاج ، فلما نزل فى مكان فى الطريق ألقى عبد الرحمن نفسه من سطح فمات .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وما بعدها إلى إحدى وثمانين :

فيها : توفى أبو القاسم محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين :

فيها : توفى المهلب بن أبى صفرة الأزدى ، وكان من الأجواد المشهورين بالكرم والشهامة ، وكان الحجاج قد ولى المهلّب خراسان ، ومات المهلب بمرو الروذ واستخلف بعده ابنه يزيد بن المهلب ، ولما دنت من المهلب الوفاة أحضر السهام لأولاده وقال : أتكسرونها مجتمعة ، قالوا : لا ، قال : أتكسرونها متفرقة ؟ قالوا : نعم قال : هكذا أنتم .

وفى هذه السنة - أعنى سنة اثنتين وثمانين - توفى خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان من المعدودين فى بنى أمية بالسخاء والفصاحة والعقل .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين :

فيها : بنى الحجاج مدينة واسط .

ثم دخلت سنة أربع وسنة خمس وثمانين :

فيها - أعنى سنة خمس وثمانين - توفى عبد العزيز بن مروان بمصر .

ثم دخلت سنة ست وثمانين :

ذكر وفاة عبد الملك بن مروان

وفى منتصف شوال من هذه السنة توفى عبد الملك بن مروان وعمره ستون سنة ، وكانت مدة خلافته منذ قتل ابن الزبير واجتمع له الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر تنقص سبع ليال ، وكان شديد البخر ، وكنى لذلك بأبى الذبان ، وكان يلقب لبخله برشح الحجر ، وكان حازمًا عاقلًا فقيهًا عالمًا ، وكان دينًا ، فلما تولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك ، وفيه يقول الحسن البصرى : ماذا أقول فى رجل الحجاج سيئة من سيئاته .

ذكر ولاية الوليد بن عبد الملك وهو سادس خلفائهم

لما توفى عبد الملك بويع الوليد بالخلافة فى منتصف شوال من هذه السنة - أعنى سنة ست وثمانين - بعهد من أبيه إليه ، وكان [ق ٩٣/ب] مغرمًا بالبناء ، واستوثقت له الأمور ، وفتحت فى أيامه الفتوحات الكثيرة ، من ذلك جزيرة الأندلس وما وراء النهر ، وولى الحجاج خراسان مع العراقين فتغلغل فى بلاد الترك ، وتغلغل مسلمة بن عبد الملك فى بلاد الروم ففتح وسبى ، وفتح محمد بن القاسم الثقفى بلاد الهند .

وفى هذه السنة : أعنى سنة ست وثمانين - ولى الوليد ابن عمه عمر بن عبد العزيز المدينة ، فقدم إليها ونزل فى دار جده مروان ودعا عشرة من فقهاء المدينة وهم : عروة بن الزبير بن العوام وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وأبو بكر بن سليمان وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد ، فقال لهم عمر بن عبد العزيز : أريد أن لا أقطع أمرًا إلا برأيكم فما علمتموه من تعدى عامل أو من ظلامة فعرفونى به ، فجزوه خيرًا .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وسنة ثمان وثمانين :

فيها : كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهدم بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأن يدخل البيوت فى المسجد بحيث تصير مساحة المسجد مائتى ذراع فى مائتى ذراع ، وأن يضع أثمان البيوت فى بيت المال ، فأجابه أهل المدينة إلى ذلك ، وقدمت الفعلة والصناع من عند الوليد لعمارة المسجد وتجرد لذلك عمر ابن عبد العزيز .

وفى هذه السنة أيضًا - أعنى سنة ثمان وثمانين - أمر الوليد ببناء جامع دمشق ، فأنفق عليه أموالاً عظيمة تجل عن الوصف .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وما بعدها حتى دخلت سنة ثلاث وتسعين :

فيها : عِزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين :

فيها : قتل الحجاج سعيد بن جبير بسبب أن سعيدًا كان خلع الحجاج وصار مع عبد الرحمن بن الأشعث ، وكان سعيد بن جبير قد هرب من الحجاج وأقام فى مكة ، فأرسل الحجاج لطلب جماعة من الوليد قد التجئوا إلى مكة فكتب الوليد إلى عامله على مكة وهو خالد ابن عبد الله القسرى يأمره بإرسال من يطلبه الحجاج ، وطلب الحجاج سعيد بن جبير وغيره ، فبعث بهم إليه فضرب عنق سعيد بن جبير .

وسعيد بن جبير المذكور كان من أعلام التابعين ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، وعنه روى القرآن عمرة ، وقال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه .

وفى هذه السنة - أعنى سنة أربع وتسعين - توفى سعيد بن المسيب ، وكان من كبار التابعين وفقائهم .

وفيها - وقيل فى سنة خمس وتسعين - توفى على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف بزين العابدين [وكان مع أبيه الحسين لما قتل وسلم من القتل ، لأنه كان مريضًا على الفراش وكان كثير العبادة ، ولهذا قيل له زين العابدين][1] وتوفى بالمدينة ودفن بالبقيع وعمره ثمان وخمسون سنة .

---

(١) وردت على هامش المخطوط .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين :

فيها : توفى الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراقين وخراسان ، وعمره أربع وخمسون سنة ، وكانت مدة ولايته العراق نحو عشرين سنة ، وكان الحجاج أخفش[1] رقيق الصوت ، فى غاية الفصاحة ، قيل إنه أحصى [جملة] الذين قتلهم [ق ٩٤/أ] الحجاج فكانوا مائة ألف وعشرين ألفًا .

ثم دخلت سنة ست وتسعين :

ذكر وفاة الوليد

وفى جمادى الآخرة من هذه السنة – أعنى سنة ست وتسعين – توفى الوليد بن عبد الملك ابن مروان ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر ، وكانت وفاته بدير مروان ودفن بدمشق خارج الباب الصغير وصلى عليه ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر، وكان سائل الأنف جدًا ، وكان له من الولد ثمانية عشر ابناً ، وهو الذى بنى مسجد دمشق واحتمل له الصناع من بلاد الروم ومن سائر بلاد الإسلام ، وكان فى جانب الجامع كنيسة قد سلمت للنصارى بسبب أنها فى نصف البلد الذى أخذ بالصلح وكانت تعرف بكنيسة مارى حنا فهدمها الوليد وأدخلها فى الجامع ، وكان الوليد لحانًا ، دخل عليه أعرابى يشكو صهرًا له ، فقال له الوليد : ما شأنك – بفتح النون – فقال الأعرابى : أعوذ بالله من الشين ، فقال له سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين : يقول : ما شأنك – بالضم – فقال الأعرابى : ختنى ظلمنى ، فقال الوليد : من ختنك – بالفتح – فقال الأعرابى : إنما ختنى اللجام[*] ولست أريد ذا ، فقال سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين : يقول من ختنك – بالضم – فقال هذا وأشار إلى خصمه ، وكان أبوه عبد الملك فصيحًا وعرف بلحن ابنه ، فقال له : إنك يابنى لا تصلح للولاية على العرب وأنت تلحن ، وجعله فى بيت وجعل معه من يعلمه الإعراب ، فمكث الوليد كذلك مدة ثم خرج وهو أجهل مما دخل .

---

(١) الخفش : ضيق العينين مع قصر النظر .

(*) ط : الحجام .

ذكر أخبار سليمان بن عبد الملك بن مروان
وهو سابعهم

بويع بالخلافة لما مات أخوه الوليد فى جمادى الآخرة من هذه السنة - أعنى سنة ست وتسعين - وكان سليمان لما مات الوليد فى مدينة الرملة ، فلما وصل إليه الخبر بعد سبعة أيام ، سار إلى دمشق ودخلها وأحسن السيرة ورد المظالم ، واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرًا .

وفى هذه السنة : غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وسنة ثمان وتسعين :

فيها : خرج سليمان بن عبد الملك بالجيوش لغزو قسطنطينية ، ونزل بمرج دابق وسير أخاه مسلمة إلى قسطنطينية وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها ، فشتى مسلمة على قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان .

وفيها - أعنى سنة ثمان وتسعين - فتح يزيد بن المهلَّب بن أبى صفرة الوالى على خراسان من قبل سليمان بن عبد الملك - جرجان وطبرستان .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين :

ذكر وفاة سليمان بن عبد الملك

وفى هذه السنة - أعنى سنة تسع وتسعين - توفى سليمان بن عبد الملك] فى صفر ، وكانت مدة خلافته سنتين وثمانية أشهر ، وعمره خمس وأربعون سنة ، ومات بدابق من أرض قنسرين مرابطًا ، وأخوه مسلمة منازل قسطنطينية ، وكان سليمان طويلاً أسمر جميل الصورة ، وكان به عرج ، وكان حسن السيرة ، وكان مغرمًا بالنساء كثير الأكل ، حج مرة وكان الحر فى الحجاز إذ ذاك شديدًا فتوجه إلى الطائف طلبًا للبرودة ، وأتى برمان فأكل سبعين [رمانه] ، ثم أتى بجدى وست دجاجات [ق ٩٤/ب] فأكلها ، ثم أتى بزبيب من زبيب الطائف فأكل منه كثيرًا ونعس فنام ، ثم انتبه فأتوا بالغذاء فأكل على عادته .

وقيل : كان سبب موته أنه أتاه نصرانى وهو نازل على دابق بزنبيلين مملوءين تينًا وبيضًا ، فأمر من يقشر له البيض ، وجعل يأكل بيضة وتينة حتى أتى على الزنبيلين ، ثم أتوه بمخ وسكر فأكله ، فأتخم ومرض ومات وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ودفن ، وكان شديد الغيرة أمر بقتل المخنثين الذين كانوا بالمدينة فخصاهم عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو الأنصارى .

ذكر أخبار عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو ثامن خلفائهم

وأم عمر بن عبد العزيز بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وأوصى إليه بالخلافة سليمان بن عبد الملك لما اشتد مرضه بدابق ، وبويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة فى صفر من هذه السنة – أعنى سنة تسع وتسعين – بعد موت سليمان .

ذكر إبطال عمر بن عبد العزيز سب على بن أبى طالب على المنابر

كان خلفاء بنى أمية يسبون عليًا رضى الله عنه من سنة إحدى وأربعين ، وهى السنة التى خلع الحسن فيها نفسه من الخلافة إلى أول سنة تسع وتسعين آخر أيام سليمان بن عبد الملك ، فلما ولى عمر أبطل ذلك وكتب إلى نوابه بإبطاله ، ولما خطب يوم الجمعة أبدل السب فى آخر الخطبة بقراءة قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ فلم يُسَبَّ على بعد ذلك واستمر الخطباء على قراءة هذه الآية . ومدحه كثير عبد الرحمن الخزاعى ، فقال :

وَلِيتَ فلم تشتم عليًا ولم تخف بريـاً ولم تتبـع سجيـة مُجـرم
وقلتَ فصدقتَ الذى قلت بالذى فعلت فأضحى راضيا كـل مسلم

ثم دخلت سنة مائة وسنة إحدى ومائة :

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

وفى هذه السنة - أعنى سنة إحدى ومائة - توفى عمر بن عبد العزيز لخمس بقين من رجب يوم الجمعة بخُنَاصِرَة ، ودفن بدير سمعان ، وقيل توفى بدير سمعان ودفن به .

قال القاضى جمال الدين بن واصل مؤلف التاريخ المنقول هذا الكلام منه ، والظاهر عندى أن دير سمعان هو المعروف الآن بدير النقيرة من عمل معرة النعمان وأن قبره هو هذا المشهور ، وكان موته بالسم عند أكثر أهل النقل ، فإن بنى أمية علموا أنه إن امتدت أيامه أخرج الأمر من أيديهم وأنه لا يعهده بعده إلا لمن يصلح للأمر ، فعاجلوه وما أمهلوه ، وكان مولده بمصر على ما قيل سنة إحدى وستين ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، وكان عمره أربعين سنة وأشهرًا ، وكان فى وجهه شجة من رَمْح دابة وهو غلام ، ولهذا كان يدعى بالأشج ، وكان متحريًا سيرة الخلفاء الراشدين .

أخبار يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو تاسعهم

أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، بويع بالخلافة لما مات عمر بن عبد العزيز فى رجب سنة إحدى ومائة بعهد من سليمان بن عبد الملك إليه بعد عمر .

وفى أيام يزيد بن عبد الملك ، خرج يزيد بن المهلَّب بن أبى صفرة واجتمع إليه جمع ، وأرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فقاتله ، وقتل يزيد بن المهلب وجميع آل المهلب بن أبى صفرة ، وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة ، وفيهم يقول الشاعر :

نزلت على آل المهلَّب شاتيًا غريبًا عن الأوطان فى زمن المحل
فمازال بى إحسانهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلى

[ق ٩٥ / أ]

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة :

فيها - أعنى فى سنة اثنتين ومائة - توفى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وعبيد الله المذكور هو ابن أخى عبد الله بن مسعود الصحابى ،

وهؤلاء الفقهاء السبعة هم الذين انتشر عنهم الفقه والفتيا ، وقد نظم بعض الفضلاء أسماءهم ، فقال :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة فقسمته .ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجه

ولنذكرهم على ترتيبهم فى النظم :

فأولهم : عبيد الله المذكور ، وكان من أعلام التابعين ، ولقى خلقًا كثيرًا من الصحابة .

الثانى : عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشى ، أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأم عروة أسماء بنت أبى بكر وهى ذات النطاقين ، وهو شقيق عبد الله بن الزبير الذى تولى الخلافة ، وتوفى عروة [المذكور] فى سنة ثلاث وتسعين للهجرة ، وقيل أربع وتسعين ، وكان مولده سنة اثنتين وعشرين .

الثالث : القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وكان من أفضل أهل زمانه ، وأبوه محمد ابن أبى بكر الذى قتل بمصر على ما شرحناه .

الرابع : سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب القرشى ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة ، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وتوفى فى سنة إحدى وقيل اثنتين وقيل ثلاث وقيل أربع وقيل خمس وتسعين .

الخامس : سليمان بن يسار ، مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، روى عن ابن عباس وعن أبى هريرة وأم سلمة ، وتوفى فى سنة سبع ومائة ، وقيل غير ذلك ، وعمره ثلاث وسبعون سنة .

السادس : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى ، وكنيته اسمه ، كان من سادات التابعين ، وسمى راهب قريش ، وجده الحارث هو أخو أبى جهل بن هشام ، وتوفى أبو بكر المذكور فى سنة أربع وتسعين للهجرة ، وولد فى خلافة عمر ابن الخطاب .

السابع : خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى ، وأبوه زيد بن ثابت من أكابر الصحابة الذى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حقه « أفرضكم زيد » وتوفى خارجة المذكور فى سنة تسع وتسعين للهجرة ، وقيل سنة مائة بالمدينة ، وأدرك زمن عثمان بن عفان .

فهؤلاء السبعة هم المعروفون بفقهاء المدينة السبعة ، وانتشرت عنهم الفتيا والفقه ، وكان فى زمانهم من هو فى طبقتهم فى الفضيلة ، ولم يذكر معهم مثل : سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وغيره ، وتوفى سالم المذكور فى سنة ست ومائة وقيل غير ذلك ، وكان من أعلام

التابعين أيضًا ، وقد ذكر فى موضع آخر وفاة بعض المذكورين وإنما ذكرناهم جملة لأنه أقرب للضبط .

ثم دخلت سنة ثلاث وسنة أربع وسنة خمس ومائة :

ذكر وفاة يزيد بن عبد الملك

وفيها – أعنى سنة خمس ومائة لخمس بقين من شعبان – توفى يزيد بن عبد الملك وعمره أربعون سنة ، وقيل غير ذلك ، وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهرًا ، وكان يزيد المذكور قد عهد بالخلافة إلى أخيه هشام ثم من بعده إلى ابنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان يزيد صاحب لهو وطرب ، وهو صاحب حُبَابة وسلَّامة القس ، وكان مغرمًا بهما جدًا وماتت حبابة فمات بعدها بسبعة عشر يومًا ، وإنما سميت سلَّامة القَسّ لأن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار كان يسمى القس لعبادته ، وكان فقيها فمر بمنزل سلامة فسمع غناءها فهوته [ق ٩٥/ب] وهويها واجتمعا ، فقالت له سلَّامة : إنى أحبك ، فقال : وأنا أيضًا ، وقالت : وأشتهى أن أقبلك ، قال : وأنا أيضًا ، فقالت له : ما يمنعك ، قال : تقوى الله ، وقام وانصرف عنها ، فسميت سلَّامة القس بسبب عبد الرحمن المذكور .

أخبار هشام بن عبد الملك
وهو عاشرهم

وكان عمره لما ولى الخلافة أربعًا وثلاثين سنة وأشهرًا ، وكان هشام بالرُّصَافة لما مات يزيد ابن عبد الملك فى دويرة له صغيرة ، فجاءته الخلافة ، فركب من الرصافة وسار إلى دمشق .

ثم دخلت سنة ست ومائة وما بعدها حتى دخلت سنة عشر ومائة :

فيها : توفى الإمام المشهور الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وكان مولده فى خلافة عمر بن الخطاب ، وهو من أكابر التابعين .

وفيها : توفى محمد بن سيرين ، وكان أبوه سيرين عبدًا لأنس بن مالك ، فكاتبه أنس على مال وحمله سيرين وعتق ، وكان من سبى خالد بن الوليد ، وروى محمد بن سيرين المذكور عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، وكان من كبار التابعين ، وله اليد الطولى فى تعبير الرؤيا .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة ودخلت سنة أثنتى عشرة ومائة وما بعدها حتى دخلت سنة ست عشرة ومائة :

فيها : توفى الباقر محمد بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب المقدم ذكره ، وقيل كانت وفاته سنة أربع عشرة وقيل سنة سبع عشرة وقيل سنة ثمانى عشرة ومائة ، وكان عمر الباقر المذكور ثلاثًا وسبعين سنة وأوصى أن يكفن فى قميصه الذى كان يصلى فيه ، وقيل له الباقر لتبقره فى العلم أى توسعه فيه ، وولد الباقر المذكور فى سنة سبع وخمسين ، وكان عمره لما قتل جده الحسين ثلاث سنين ، وتوفى بالحَمِيمة من السراة ، ونقل ودفن بالبقيع .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة :

فيها -أعنى - فى سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشرين ومائة توفى نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أصابه عبدالله فى بعض غزواته ، وكان نافع من كبار التابعين ، سمع مولاه عبد الله وأبا سعيد الخدرى ، وروى عن نافع الزهرى ومالك بن أنس، وأهل الحديث يقولون : رواية الشافعى عن مالك [بن أنس] عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة .

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة وسنة تسع عشرة ومائة :

فيها : غزا المسلمون بلاد الترك فانتصروا وغنموا شيئًا كثيرًا وقتلوا من الأتراك مقتلة عظيمة ، وقتلوا خاقان ملك الترك ، وكان المتولى لحرب الترك أسد بن عبد الله القسرى .

ثم دخلت سنة عشرين ومائة :

فيها : توفى أبو سعيد عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة :

فيها : غزا مروان بن محمد بن مروان ، وكان على الجزيرة وأرمينية بلاد صاحب السرير ، فأجاب صاحب السرير إلى الجزية فى كل سنة سبعين ألف رأس يؤديها .

وفيها : غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم ، فافتتح حصونها وغنم .

وفيها : غزا نصر بن سيار بلاد ما وراء النهر وقتل ملك الترك ، تم مضى إلى فرغانة فسبى بها سبيًا كثيراً .

وفيها – أعنى سنة إحدى وعشرين – وقيل اثنتين وعشرين ومائة خرج زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم إلى الكوفة ، ودعا إلى نفسه وبايعه جمع كثير ، وكان الوالى على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفى [ق ٩٦/أ] ، فخرج العسكر وقاتل زيدًا ، فأصاب زيدًا سهم فى جبهته ، فأدخل بعض الدور ونزعوا السهم من جبهته ثم مات ، ولما علم يوسف بن عمر بمقتله تطلبه حتى دل عليه واستخرجه وصلب جثته وبعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك ، فأمر بنصب الرأس بدمشق ، ولم تزل جثته مصلوبة حتى مات هشام وولى الوليد ، فأمر بحرق جثته ، فأحرقت ، وكان عمر زيد لما قتل اثنتين وأربعين سنة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة :

فيها : توفى إياس بن معاوية بن قرة المزنى المشهور بالفراسة والذكاء ، وكان ولى [قضاء](*) البصرة فى أيام عمر بن عبد العزيز .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة وسنة أربع وعشرين ومائة :

فيها – وقيل غير ذلك – توفى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشى وعمره ثلاث وسبعون سنة المعروف بالزُّهْرى – بضم الزاى المنقوطة وسكون الهاء وبعدها راء – هذه النسبة إلى زُهْرة بن كلاب بن مرة ، وكان الزهرى المذكور من أعلام التابعين ، رأى عشرة من أصحاب النبى ، وروى عن الزهرى المذكور جماعة من الأئمة مثل مالك وسفيان الثورى وغيرهما ، وكان الزهرى إذا جلس فى بيته وضع كتبه حوله مشتغلا بها عن كل أحد ، فقالت له زوجته : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة :

ذكر وفاة هشام

وفى هذه السنة – أعنى سنة خمس وعشرين ومائة – توفى هشام بن عبد الملك بالرصافة لست خلون من ربيع الأول ، فكانت مدة خلافته تسع عشر سنة [وتسعة أشهر وكسراً ، وكان مرضه الذبحة ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة] ، ولما مات طلبوا له ما يسخنون فيه الماء فلم يعطهم عياض كاتب الوليد ما يسخنون فيه الماء ، فإنه ختم على جميع موجوده للوليد ،

(*) فى ص : بياض .

فاستعاروا له من الجيران قُمْقُمًا[1] ؟ لتسخين الماء ، ودفن بالرصافة ، وكان أحولاً بيّن الحَوَل ، وخلف عدة بنين منهم معاوية أبو عبد الرحمن الذى دخل الأندلس وملكها لمازال ملك بنى أمية ، وكان هشام حازمًا سديد الرأى غزير العقل عالما بالسياسة ، واختار هشام الرصافة وبناها وإليه تنسب فيقال رصافة هشام ، وكانت مدينة رومية ، ثم خربت وهى صحيحة الهواء ، وإنما اختارها لأن خلفاء بنى أمية كانوا يهربون من الطاعون وينزلون فى البرية ، فأقام هشام بالرصافة وهى [فى] برية صحيحة وابتنى بها قصرين وكان بها دير معروف .

ذكر أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو حادى عشر خلفاء بنى أمية

لما مات هشام نفذت الكتب إلى الوليد ، وكان الوليد مقيما فى البرية بالأزرق خوفا من هشام ، وكان الوليد وأصحابه فى ذلك الموضع فى أسوأ حال ، ولما اشتد به الضيق أتاه الفرج [بموت هشام] ، وكانت البيعة للوليد يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر من هذه السنة – أعنى سنة خمس وعشرين ومائة – وعكف الوليد على الخمر وسماع الغناء ومعاشرة النساء ، وزاد الناس فى أعطيتهم عشرات ، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة أخرى ، ولم يقل فى شىء سئله لا . انتهى النقل من تاريخ القاضى جمال الدين بن واصل وابتدأت من هنا من تاريخ ابن الأثير (الكامل) .

وفى هذه السنة – أعنى سنة خمس وعشرين ومائة – توفى القاسم بن أبى برة وهو من المتهورين بالقراءة .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة :

فيها : سلم الوليد [ق ٩٦/ب] بن يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسرى إلى يوسف بن عمر عامله على العراق فعذبه وقتله .

ذكر قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك

فى هذه السنة : قتل الوليد ، قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذى يقال له يزيد الناقص ، وكان مقتله فى جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، بسبب كثرة مجونه ولهوه وشربه الخمر ومنادمة الفساق ، فثقل ذلك على الرعية والجند ، وآذى ابنى عميه هشام

---

(١) القُمْقُم : هو ما يسخن فيه الماء وغيره ، ويكون ضيق الرأس انظر : لسان العرب ماده قمم .

والوليد ، فرموه بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه ، ودعا يزيد إلى نفسه ، واجتمعت عليه اليمانية ، ونهاه أخوه العباس بن الوليد بن عبد الملك عن ذلك وتهدده ، فأخفى يزيد الأمر عن أخيه ، وكان يزيد مقيمًا بالبادية لوخم دمشق ، فلما اجتمع له أمره قصد دمشق متخفيًا فى سبعة نفر ، وكان بينه وبينها مسيرة أربعة أيام ، ونزل بجَرُود[1] على مرحلة من دمشق ، ثم دخل دمشق ليلا وقد بايع أكثر أهلها ، وكان عامل الوليد على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج . وجاء الوباء بدمشق فخرج منها ونزل قرية قطنا ، وظهر يزيد فى دمشق واجتمعت عليه الجند وغيرهم وأرسل إلى قطنا مائتى فارس ، فأخذوا عبد الملك المذكور عامل الوليد على دمشق بالأمان ، ثم جهز يزيد جيشًا إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومقدمهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ولما ظهر يزيد بن الوليد بدمشق سار بعض موالى الوليد إليه وأعلمه وهو بالأغذف من عمان ، فسار الوليد حتى أتى البصرة إلى قصر النعمان بن بشير ، ونازله عبد العزيز وجرى بينه وبين الوليد قتال كثير ، وقصد العباس بن الوليد بن عبد الملك أخوه يزيد بالمذكور اللحوق بالوليد ونصرته على أخيه ، فأرسل عبد العزيز منصور بن جمهور إلى العباس ، فأخذه قهراً وأتى به إلى عبد العزيز ، فقال له : بايع لأخيك ، فبايع ونصب عبد العزيز راية ، وقال : هذه راية العباس قد بايع لأمير المؤمنين يزيد ، فتفرق الناس عن الوليد ، فركب الوليد بمن بقى معه وقاتل قتالاً شديداً ، ثم انهزم عنه أصحابه فدخل القصر وأغلقه وحاصروه ودخلوا إليه وقتلوه واحتزوا رأسه وسيروه إلى يزيد بن الوليد فسجد يزيد شكراً لله ، ووضع الرأس على رمح وطيف به فى دمشق ، وكان قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، فكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ، وقيل غير ذلك ، وكان الوليد من فتيان بنى أمية وظرفائهم منهمكا فى اللهو والشرب وسماع الغناء .

ذكر أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك
وهو ثانى عشر خلفائهم

استقر يزيد الناقص فى الخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وسمى يزيد الناقص لأنه نقص الناس العشرات التى زادها الوليد وقررهم على ما كانوا عليه أيام هشام ، ولما قتل الوليد وتولى يزيد الخلافة ، خالفه أهل حمص وهجموا دار أخيه العباس بحمص ونهبوا ما بها وسلبوا حرمه ، وأجمعوا على المسير إلى دمشق لحرب يزيد ، فأرسل إليهم

---

(١) جَرُودُ : قرية من إقليم معلولا من غوطة دمش ، انظر : معجم البلدان الجزء الثانى ص ١٣٠ .

يزيد معسكراً والتقوا قرب ثنية العقاب فاقتتلوا قتالاً شديدًا وانهزم أهل حمص واستولى عليها يزيد وأخذ البيعة عليهم . ثم اجتمع أهل فلسطين فوثبوا على عامل يزيد ، فأخرجوه من فلسطين وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك ، فجعلوه عليهم ودعا الناس إلى قتال الناقص فأجابوه إلى ذلك وبلغ يزيد ذلك ، فأرسل إليهم جيشًا مع سليمان بن هشام بن عبد الملك [ق ٩٧/أ] ووعد كبراء فلسطين ومناهم فتخاذلوا عن صاحبهم ، فلما قرب منهم الجيش تفرقوا وقدم سليمان جيشًا فى إثر يزيد بن سليمان بن عبد الملك فنهبوه ، وسار سليمان ابن هشام بن عبد الملك حتى نزل طبرية وأخذ البيعة بها ليزيد الناقص ، ثم سار حتى نزل الرملة وأخذ البيعة على أهلها أيضًا للمذكور ، ثم إن يزيد عزل يوسف بن عمر عن العراق واستعمل منصور بن جمهور وضم إليه مع العراق خراسان ، فامتنع نصر بن سيار فى خراسان ولم يجب إلى ذلك ، ثم عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز .

وفى هذه السنة - أعنى سنة ست وعشرين ومائة - أظهر مروان بن محمد الخلاف ليزيد ابن الوليد .

ذكر وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

وفى هذه السنة : توفى يزيد الناقص المذكور لعشر بقين من ذى الحجة ، وكانت خلافته خمسة أشهر واثنى عشر يومًا ، وكان موته بدمشق ، وكان عمره ستاً وأربعين سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل غير ذلك ، وكان أسمر طويلا صغير الرأس جميلاً .

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك(*)
وهو ثالث عشر خلفائهم

ولما مات يزيد بن الوليد قام بالأمر بعده إبراهيم أخوه وهو ثالث عشر خلفائهم ، غير أنه لم يتم له الأمر ، وكان يسلم عليه بالخلافة تارة وتارة بالإمارة، فمكث أربعة أشهر وقيل أربعين يومًا .

وفيها : توفى أبو جمرة صاحب ابن عباس جمرة - بالجيم والراء المهملة .

(*) العنوان من عندنا .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة :

فيها : سار مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أمير ديار الجزيرة إلى الشام لخلع ابراهيم ابن الوليد ، ولما وصل إلى قنسرين اتفق معه أهلها ، وساروا معه ، ولما وصل مروان إلى حمص بايعه أهلها وساروا معه أيضًا ، ولما قرب مروان من دمشق بعث إبراهيم إلى قتاله الجنود مع سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وكانت عدتهم مائة وعشرين ألفًا ، وعدة عسكر مروان بن محمد ثمانين ألفا ، فاقتتلوا من ارتفاع النهار إلى العصر وكثر القتل بينهم وانهزم عسكر إبراهيم ، ووقع القتل فيهم والأسر و[هرب سليمان] فيمن هرب إلى دمشق واجتمعوا مع إبراهيم وقتلوا ابنى الوليد بن يزيد وكانا فى السجن ، ثم هرب إبراهيم واختفى ، ونهب سليمان بن هشام بيت المال وقسمه فى أصحابه وخرج من دمشق .

ذكر بيعة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو رابع عشر خلفاء بنى أمية وآخرهم

وفى هذه السنة : أعنى سنة سبع وعشرين ومائة - بويع لمروان المذكور فى دمشق بالخلافة ، ولما استقر له الأمر رجع إلى منزله بحران ، وأرسل إبراهيم المخلوع بن الوليد وسليمان بن هشام ، فطلبا من مروان فأمنها ، فقدما عليه ومع سليمان إخوته وأهل بيته ، فبايعوا مروان بن محمد .

وفى هذه السنة ، عَصِىَ أهل حمص على مروان ، فسار مروان من حران إلى حمص ، وقد سد أهلها أبوابها ، فأحدق[1] بالمدينة ، ثم فتحوا له الأبواب وأظهروا طاعته ، ثم وقع بينهم قتال ، فقتل من أهل حمص مقتلة وهدم بعض سورها وصلب جماعة من أهلها ، ولما فتح حمص جاءه الخبر بخلاف أهل الغوطة وأنهم ولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وأنهم قد حصروا دمشق ، فأرسل مروان عشرة آلاف فارس مع أبى الورد بن الكوثر وعمرو بن الصباح وساروا [ق ٩٧/ب] من حمص ولما وصلوا قرب دمشق حملوا على أهل الغوطة وخرج من بالبلد عليهم أيضًا ، فانهزم أهل الغوطة ونهبهم العسكر وأحرقوا المزة وقرى غيرها . ثم عقيب ذلك خالفت أهل فلسطين ومقدمهم ثابت بن نعيم ، فكتب مروان إلى أبى الورد يأمره بالسير إليه ، فسار إليه وهزمه على طبرية ، ثم اقتتلوا على فلسطين ، فانهزم ثابت بن نعيم وتفرق أصحابه وأسر ثلاثة من أولاده ، فبعث بهم أبو الورد إلى مروان وأعلمه بالنصر ، ثم سار مروان بن

---

(١) فأَحْدَقَ بالمدينة : أى أحاط بها ، فكل شىء استدار بشىء وأحاط به فقد أحدق به ، انظر : لسان العرب مادة حدق .

محمد إلى قرقيسيا فخلعه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، واجتمع إليه من أهل الشام سبعون ألفاً وعسكر بقنسرين ، وسار إليه مروان من قرقيسيا والتقوا بأرض قنسرين وجرى بينهم قتال شديد ، ثم انهزم سليمان بن هشام وعسكره واتبعهم خيل مروان يقتلون ويأسرون ، فكانت القتلى من عسكر سليمان تزيد على ثلاثين ألفًا ، ثم إن سليمان وصل إلى حمص واجتمع إليه أهلها وبقية المنهزمين ، فسار إليهم مروان وهزمهم ثانية ، وهرب سليمان إلى تدمر وعصى أهل حمص فحاصرهم مروان مدة طويلة ، ثم طلبوا الأمان وسلموا إلى مروان من كان عليهم من الولاة من جهة سليمان ، فأجابهم إلى ذلك وأمنهم .

وفى هذه السنة – أعنى سنة سبع وعشرين ومائة – مات محمد بن واسع الأزدى الزاهد .

وفيها : مات عبد الله بن إسحق مولى الحضرمى من حلفاء عبد شمس ، وكنيته أبو بحر وكان إمامًا فى النحو واللغة ، وكان يعيب الفرزدق فى شعره وينسبه إلى اللحن، فهجاه الفرزدق بقوله :

ولو كان عبدالله مولى هجوته   ولكنَّ عبد الله مولى مواليا

فقال له عبد الله : وقد لحنت أيضًا فى قولك مولى مواليا بل ينبغى أنْ تقول مولى موالى .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة :

فيها : أرسل مروان بن محمد يزيد بن هبيرة إلى العراق لقتال من به من الخوارج ، وكان بخراسان نصر بن سيار والفتنة بها قائمة بسبب دعاة بنى العباس .

وفيها : مات عاصم بن أبى النجود صاحب القراءة ، والنجود الحمارة الوحشية .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة :

فيها : ظهرت دعوة بنى العباس بخراسان ، وكان يختلف أبو مسلم الخراسانى من خراسان إلى إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وكان يسمى إبراهيم الإمام ، ومنه إلى خراسان ليستعلم منه إبراهيم الأحوال ، فلما كانت هذه السنة استدعى إبراهيم أبا مسلم من خراسان ، فسار إليه ثم أرسل إليه إبراهيم أن ابعث إلى بما معك من المال مع قَحطَبة وارجع إلى أمرك من حيث وافاك كتابى ، ووافاه الكتاب بقُومِس ، فامتثل أبو مسلم ذلك ، وأرسل ما معه إلى ابراهيم مع قَحْطَبَة ، ورجع أبو مسلم إلى خراسان ، فلما وصل إلى مرو أظهر الدعوة لبنى العباس ، فأجابه الناس وأرسل إلى بلاد خراسان بإظهار ذلك بعد أن كان قد سعى فى ذلك سرًا مدة طويلة ، ووافقه الناس فى الباطن وأظهروا ذلك فى هذه السنة ، وجرى بين أبى مسلم وبين نصر بن سيار أمير خراسان من جهة بنى أمية مكاتبات ومراسلات يطول

شرحها ، ثم جرى بينهما قتال ، فقتل أبو مسلم بعض عمال نصر بن سيار على بعض بلاد خراسان واستولى على ما بأيديهم ، وكان أبو مسلم من أهل خُطَرْنِيَة من سواد الكوفة ، وكان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلى ، ثم صار إلى أن ولاه محمد بن على بن عبد الله بن عباس الأمر فى استدعاء الناس فى الباطن ، ثم مات محمد فولاه ابنه إبراهيم الإمام [ق ٩٨/أ] بن محمد ، ثم الأئمة من ولد محمد .

ولما قوى أبو مسلم على نصر بن سيار ورأى نصر أن أمر أبى مسلم كلما جاء فى قوة كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بالحال وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وكتب أبيات شعر وهى :

أرى تحت الرماد وميض نار ... وأوشك أن تكون لها ضِرَامُ
فإن لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعرى ... أأيقاظ أمية أم نيام ؟

وكأن مقام إبراهيم الإمام أهله بالشراة من الشام بقرية يقال لها الحُمَيْمة ، والحُمَيْمة بضم الحاء المهملة وميم مفتوحة وياء مثناة من تحتها ساكنة ثم ميم وهاء وهى عن الشوبك أقل من مسيرة يوم ، بينها وبين الشوبك وادى موسى ، وهى من الشوبك قبله بغرب ، وتلك البقعة التى هى من الشوبك إلى جهة الغرب والقبلة يقال لها الشراة - ولما بلغ مروان الحال أرسل إلى عامله بالبلقاء أن يسير إليه إبراهيم بن محمد المذكور ، فشده وثاقا وبعث به إليه ، فأخذه مروان وحبسه فى حران حتى مات إبراهيم فى حبسه ، وكان مولده فى سنة اثنتين وثمانين .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة :

فى هذه السنة : دخل أبو مسلم مدينة مرو ونزل فى قصر الإمارة فى ربيع الآخر ، وهرب نصر بن سيار من مرو ، ثم وصل قحطبة من عند الإمام إبراهيم بن محمد إلى أبى مسلم ومعه لواء كان عقده له ابراهيم ، فجعل أبو مسلم قحطبة فى مقدمته وجعل إليه العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بذلك .

وفيها : أعنى سنة ثلاثين ومائة ، وقيل سنة ست وثلاثين ، توفى ربيعة الرأى بن فروج فقيه أهل المدينة ، أدرك جماعة من الصحابة ، وعنه أخذ العلم الإمام مالك .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة :

فيها : مات نصر بن سيار بساوة قرب الرى ، وكان عمره خمساً وثمانين سنة .
وفيها أيضاً : توفى أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المعتزلى ، وكان مولده سنة ثمانين

للهجرة ، وكان يشتغل على الحسن البصرى ، ثم اعتزل عنه وخالفه فى قوله فى أصحاب الكبائر من المسلمين أنهم ليسوا مؤمنين ولا كافرين ، بل لهم منزلة بين المنزلتين ، فسمى وأصحابه معتزلة ، وكان واصل المذكور يلثغ بالراء ويتجنب اللفظ بالراء فى كلامه حتى ذكر ذلك فى الأشعار ، فمنه فى المديح :

نعم تجنب لا يـوم العـطاء كما　　تجنب ابن عـطاء لثغة الـراء

ولم يكن واصل بن عطاء غزالاً وإنما كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيحمل صدقته لهن .

وفيها - أعنى سنة إحدى وثلاثين ومائة - توفى بالبصرة مالك بن دينار من موالى بنى أسامة بن ثور القرشى العالم الناسك الزاهد المشهور ، وما أحسن ما روى باسم مالك المذكور واسم أبيه دينار بعض الشعراء فى مالك اقتتل مع أعدائه وانتصر عليهم وأسر الرجال وفرق الأموال ، فقال :

أعتقت من أمـوالهم مـا استعبـ　　ـدوا وملكت رقهم وهم أحـرار
حتى غـدا من كان منهم مـالكا　　متـمـنيـا لـو أنـه ديـنـار

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة :

فى هذه السنة - سار قحطبة فى جيش كثيف عن خراسان طالبًا يزيد بن هبيرة أمير العراق من جهة مروان آخر خلفاء بنى أمية ، وسار حتى قطع الفرات والتقيا [ق ٩٨/ب] فانهزم ابن هبيرة وعدم قحطبة ، فقيل غرق وقيل وجد مقتولا ، وقام بالأمر بعده ابنه الحسن ابن قحطبة .

وفى هذه السنة : بويع أبو العباس السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس بالخلافة فى ربيع الأول وقيل فى ربيع الآخر بالكوفة بعد مسيرة من الحُمَيْمَة ، وكان سبب مسيره من الحُمَيْمَة وكان مقامه بها أن إبراهيم الإمام لما أمسكه مروان نعى نفسه إلى أهل بيته وأمرهم بالمسير إلى أهل الكوفة مع أخيه أبى العباس السفاح وبالسمع له والطاعة ، وأوصى إبراهيم الإمام بالخلافة إلى أخيه السفاح ، وسار أبو العباس السفاح بأهل بيته منهم أخوه أبو جعفر المنصور وغيره إلى الكوفة ، فقدم إليها فى صفر واستخفى إلى شهر ربيع الأول فظهر وسلم عليه الناس بالخلافة وعزوه فى أخيه إبراهيم الإمام ودخل دار الإمارة بالكوفة صبيح يوم الجمعة ثانى عشر ربيع الأول من هذه السنة - أعنى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ثم

خرج إلى المسجد فخطب وصلى بالناس ، ثم صعد إلى المنبر ثانيًا وصعد عمه داود بن على فقاما دونه وخطب الناس وحضهم على الطاعة ، ثم نزل السفاح وعمه داود بن على أمامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبا جعفر المنصور فى المسجد يأخذ له البيعة على الناس ، ثم خرج السفاح فعسكر بحمام أعين وآستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن على وحاجب السفاح يومئذ عبد الله بن بسام .

ثم بعث السفاح عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس إلى شهرزور وأهلها مذعنون بالطاعة لبنى العباس ، وبها من جهة بنى العباس أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدى ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد إلى الحسن بن قحطبة وهو يومئذ يحاصر ابن هبيرة بواسط ؛ وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حميد بن قحطبة أخى الحسن بن قحطبة بالمدائن ، وأقام السفاح فى العسكر أشهراً ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية ، وهى هاشمية الكوفة بقصر الإمارة.

ذكر هزيمة مروان بالزاب وأخباره إلى أن قتل

كان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف آخر خلفاء بنى أمية ، وكان يقال له مروان الجعدى وحمار الجزيرة أيضاً بحران ، فسار منها طالباً أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدى المستولى على شهر زور من جهة بنى العباس ، فلما وصل مروان إلى الزاب نزل به وحفر عليه خندقاً ، وكان فى مائة ألف وعشرين ألفا ، وسار أبو عون من شهر زور إلى الزاب بما عنده من الجموع وأردفه السفاح بعساكر فى دفوع مع عدة مقدمين منهم سلمة بن محمد بن عبد الله الطائى وعم السفاح عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس كما ذكرناه ، ولما قدم عبد الله بن على على أبى عون تحول أبو عون عن سرادقه وخلاه له وما فيه .

ثم إن مروان عقد جسراً على الزاب وعبر إلى جهة عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس ، فسار عبد الله بن على إلى مروان وقد جعل على ميمنته أبا عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية ، وكان عسكر عبد الله عشرين ألفا ، وقيل أقل من ذلك والتقى الجمعان واشتد بينهم القتال ، وداخل عسكر مروان الفشل ، وصار لا يريد أمراً إلا وكان فيه الخلل حتى تمت الهزيمة على عسكر مروان فانهزموا وغرق من أصحاب مروان عدة كثيرة ، وكان ممن غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان المخلوع وهو [ق ٩٩ / أ] يومئذ مع مروان الحمار ، وكتب عبد الله بن على إلى السفاح بالفتح وحوى من عسكر مروان سلاحاً كثيراً .

وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ولما انهزم مروان من الزاب أتى الموصل فسبه أهلها وقالوا يا جعدى الحمد لله الذى أتانا بأهل بيت نبينا فسار عنها حتى أتى حران وأقام بها نيفاً وعشرين يوماً حتى دنا منه عسكر السفاح ، فحمل مروان أهله وخيله ومضى منهزماً إلى حمص ، وقدم عبد الله بن على بحران ، ثم سار مروان من حمص وأتى دمشق ثم سار عن دمشق إلى فلسطين ، وكان السفاح قد كتب إلى عمه عبد الله بن على باتباع مروان ، فسار عبد الله فى أثره إلى أن وصل إلى دمشق فحاصرها ودخلها عنوة يوم الأربعاء لخمس مضين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ولما فتح عبد الله بن على دمشق أقام بها خمسة عشر يوماً ثم سار من دمشق حتى أتى فلسطين ، فورد عليه كتاب السفاح يأمره أن يرسل أخاه صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى طلب مروان ، فسار صالح فى ذى القعدة من هذه السنة حتى نزل نيل مصر ومروان منهزم قدامه حتى أدركه فى كنيسة بوصير من أعمال مصر ، وانهزم أصحاب مروان وطعن إنسان مروان برمح فقتله وسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه ، وكان قتله لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ؛ ولما أحضر رأسه قدام صالح بن على بن عبد الله بن العباس أمر أن ينفض فانقطع لسانه فأخذته هر وأرسله صالح إلى السفاح وقال :

قد فتح الله مصرا عنوة بكم وأهلك الفاجر الجعدى إذ ظلما
وذاك مقوله هر يجرره وكان ربك فى ذى الكفر منتقما

ثم رجع صالح المذكور إلى الشام وخلف أبا عون بمصر ، ولما وصل الرأس إلى السفاح وهو بالكوفة سجد شكراً لله تعالى .

ولما قتل مروان هرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى أرض الحبشة ، فقاتلتهم الحبشة ، فقتل عبيد الله ونجا عبد الله فى عدة ممن معه وبقى إلى خلافة المهدى فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين فبعث به إلى المهدى .

ولما قتل مروان حملت نساؤه وبناته إلى بين يدى صالح بن على بن عبد الله بن عباس فأمر بحملهن إلى حران ، فلما دخلنها ورأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء . وكان عمر مروان لما قتل اثنتين وستين سنة ، وكانت مدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر ونصفا ، وكان يكنى أبا عبد الملك ، وكانت أمه أم ولد كردية ، وكان يلقب بالحمار وبالجعدى لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فى القول بخلق القرآن والقدر ، وكان مروان بن محمد الحكم المذكور أبيض أشهل ضخم الهامة كث اللحية أبيضها ربعة ، وكان شجاعاً حازماً إلا أن مدته انقضت ، فلم ينفعه حزمه وهو آخر الخلفاء من بنى أمية .

ذكر من قتل من بنى أمية

كان سليمان بن هشام بن عبد الملك قد أمنه السفاح وأكرمه، فدخل سديف على السفاح وأنشده :

لا يغرنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بقتل سليمان فقتل ، وكان قد اجتمع عند عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس عدة من بنى أمية نحو تسعين رجلا ، فلما اجتمعوا عند حضور الطعام دخل شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على عم السفاح المذكور وأنشده :

أصبح الملك ثابت الأساسى بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارًا واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها وبها منكم كحد المواسى
ولقد ساءنى وساء سوائى قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ـه بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وشهيد بجانب المهراس
والقتيل الذى بحران أضحى ثاويًا بين غربة وتناس

فأمر عبد الله بهم فضربوا بالعمد حتى وقعوا وبسط عليهم الأنطاع ومد عليهم الطعام وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم حتى ماتوا جميعًا ، وأمر عبد الله بنبش قبور بنى أمية بدمشق ، فنبش قبر معاوية بن أبى سفيان ونبش قبر يزيد ابنه ونبش قبر عبد الملك بن مروان ونبش قبر هشام بن عبد الملك فوجده صحيحاً فأمر بصلبه فصلب ثم أحرقه بالنار وذراه وتتبع يقتل بنى أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فلم يفلت منهم غير رضيع أو من هرب إلى الأندلس ، وكذلك قتل سليمان بن على بن عبد الله بن عباس بالبصرة جماعة من بنى أمية وألقاهم فى الطريق فأكلتهم الكلاب ، ولما رأى من بقى من بنى أمية ذلك تشتتوا واختفوا فى البلاد .

وفى هذه السنة - أعنى سنة اثنتين وثلاثين ومائة - خلع أبو الورد بن الكوثر - وكان من أصحاب مروان بن محمّد - طاعة بنى العباس بعد أن كان قد دخل فى طاعتهم ، فسار عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس إلى أبى الورد وهو بقنسرين فى جمع عظيم واقتتلوا

قتالا شديداً وكثر القتل فى الفريقين ثم انهزمت أصحاب أبى الورد وثبت أبو الورد حتى قتل ؛ ولما فرغ عبد الله بن على من أمر أبى الورد أَمَّنَ أهل قنسرين وجدد البيعة معهم ؛ ثم رجع إلى دمشق وكان قد خرج من بها عن الطاعة أيضاً ونهبوا أهل عبد الله بن على ، فلما دنا عبد الله من دمشق هربوا ثم أمنهم .

وفيها : ولى السفاح أخاه يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الموصل ، وكان أهلها قد أخرجوا الوالى الذى بها فسار يحيى إلى الموصل ، ولما استقر بها قتل من أهلها نحو أحد عشر ألف رجل ، ثم أمر بقتل نسائهم وصبيانهم ، وكان مع يحيى قائد معه أربعة آلاف زنجى فاستوقفت امرأة من أهل الموصل يحيى وقالت : ما تأنف للعربيات أن ينكحن الزنوج ، فعمل كلامها فيه وجمع الزنوج فقتلهم عن آخرهم .

وفى هذه السنة : أرسل السفاح أخاه أبا جعفر المنصور واليًا على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ، وولى عمه داود المدينة ومكة واليمن واليمامة ، وولى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الكوفة وسواها ، وكان على الشام عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس ، وعلى مصر أبو عون بن يزيد ، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة [ق ١٠٠/ أ]

فيها : استولى ملك الروم وكان اسمه قسطنطين على مَلَطِية وقَلْقِيلْيَا .

وفيها : ولى السفاح عمه سليمان بن على بن عبد الله بن عباس البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان ، واستعمل عمه إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس على الأهواز .

وفيها : مات عم السفاح داود بن على بالمدينة ، وولى السفاح مكانه زياد بن عبد الله الحارثى .

وفيها : عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل لكثرة قتله فيهم ، وولى عليها عمه إسماعيل بن على .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة :

فيها : تحول السفاح من الحيرة ، وكان مقامه بها إلى الأنبار فى ذى الحجة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة :

فيها : توفى يحيى أخو السفاح بفارس ، وكان قد ولاه إياه السفاح بعد عزله عن الموصل .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة :

فيها : استأذن أبو مسلم السفاح فى القدوم عليه وفى الحج ، فأذن له فحج أبو مسلم ، وحج أبو جعفر المنصور أيضًا ، وكان أبو جعفر هو أمير الموسم .

ذكر موت السفاح

فى هذه السنة : مات السفاح بالأنبار – فى ذى الحجة – بالجدرى ، وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، فمدة خلافته من لدن قتل مروان أربع سنين ، وكان قد بويع له بالخلافة قبل قتل مروان بثمانية أشهر ، وكان السفاح طويلا ، أقنى الأنف ، أبيض حسن الوجه واللحية ، وصلى عليه عمه عيسى بن على بن عبد الله بن عباس ودفنه بالأنبار العتيقة .

ذكر خلافة المنصور
وهو ثانى خلفاء بنى العباس

كان السفاح قد عهد بالخلافة إلى أخيه أبى جعفر المنصور ، ثم من بعده إلى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، فعقد العهد فى ثوب ، وختم عليه ، ودفعه إلى عيسى بن موسى ، ولما مات السفاح ، كان أبو جعفر فى الحج ، فأخذ له البيعة على الناس عيسى بن موسى ، وأرسل يعلمه بذلك ، وبموت السفاح ، وكان مع أبى جعفر أبو مسلم فى الحج ، فبايع أبو مسلم أبا جعفر وبايعه الناس .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة :

فيها : قد أبو جعفر المنصور من الحج إلى الكوفة ، فصلى بأهلها الجمعة وخطبهم ، وسار إلى الأنبار فأقام بها .

وفيها : بايع عم المنصور عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس لنفسه بالخلافة ، وكان أبو مسلم قد قدم من الحج مع أبى جعفر المنصور ، فأرسل أبو جعفر أبا مسلم ومعه الجنود إلى قتال عمه عبد الله بن على ، وكان عبد الله بأرض نصيبين ، فاقتتل هو وأبو مسلم عدة دفوع ، واجتهد أبو مسلم بأنواع الخدع فى قتاله ، وداموا كذلك مدة ، وفى آخر الأمر انهزم

عبد الله بن على وأصحابه فى جمادى الآخرة من هذه السنة إلى جهة العراق ، واستولى أبو مسلم على عسكره ، وكتب بذلك إلى المنصور .

ذكر قتل أبي مسلم الخراسانى

وفيها : قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراسانى ، بسبب وحشة جرت بينهما ، فإن المنصور كتب إلى أبي مسلم - بعد أن هزم عبد الله عمه - بالولاية على مصر والشام ، وصرفه على خراسان ، فلم يجب أبو مسلم إلى ذلك ، وتوجه أبو مسلم يريد خراسان ، وسار المنصور من الأنبار إلى المدائن ، وكتب إلى أبي مسلم يطلبه إليه ، فاعتذر عن الحضور إليه ، وطالت بينهما المراسلات فى ذلك وآخر الأمر أن أبا مسلم قدم على أبي جعفر المنصور بالمدائن فى ثلاثة آلاف رجل ، وخلف باقى عسكره بحلوان ، ولما قدم أبو مسلم دخل على المنصور وقبَّل يده وانصرف ، فلما كان من الغد ترك المنصور بعض حرسه خلف الرواق ، وأمرهم أنه إذا صفق بيده يخرجون ويقتلون أبا مسلم ، ودعا أبا مسلم ، فلما حضر أخذ المنصور يعدد ذنوبه ، وأبو مسلم يعتذر عنها ، ثم صفق المنصور فخرج الحرس وقتلوا أبا مسلم ، وكان قتله فى شعبان من هذه السنة - أعنى سنة سبع وثلاثين ومائة - وكان أبومسلم قد قتل فى مدة دولته ستمائة ألف صَبْرًا .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة :

فى هذه السنة : خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلاد الإسلام ، فأخذ ملطية عنوة ، وهدم سورها وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية ، وقد مر فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة نحو ذلك .

وفيها : وسع المنصور فى المسجد الحرام .

تم الجزء الأول من تاريخ أبى الفدا
ويليه الجزء الثانى الذى أوله :
ذكر ابتداء الدولة
الأموية بالأندلس

فهـرست الجزء الأول من تاريخ أبي الفدا

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع		١٩٩٨/١٦٣٣٦
الترقيم الدولى	977-02-5681-1	ISBN

١/٩١/١٣٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

Dhakhāir AL Arab 69

AL Mùkhtasar Fi Akhbar AL Bashar

Introduction by

Dr. Hussein Mou'nis

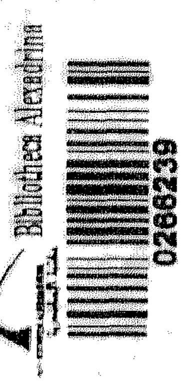
Editted by

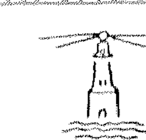
Dr. Mohammad Zeinhom

Yehia AL Sayed.

Dr. Mohammad Fakhry







DAR AL-MAAREF